ملخص فقه السيرة

للشيخ الشهيد سعيد رمضان البوطي

مشاركة الأخت فاطمة حكيمة

الطريقة في شرح السيرة النبوية هو استعراض الحادثة كما وقعت تاريخيا، ثم العودة إليها لاستنباط المبادئ والعبر، وهكذا نجمع بين دراسة السيرة تاريخا وتحليلا واستنباطًا للمبادئ والأحكام المختلفة. هذا هو المنهج الذي سنسير عليه.

المقدمة الأولى: 1 ـ أهمية السيرة النبوية في فهم الإسلام، السيرة النبوية كيف تطورت دراستها وكيف يجب فهمها. ونلخص ذلك كما يلي:

أ- فهم شخصية محمد صلى الله عليه وسلم، أهي شخصية نبي مرسل أم شخصية قائد، زعيم سياسي، قائد عسكري... وتتبين الحقيقة بدراسة السيرة

ب- يجد الإنسان نفسه أمام سيرة المصطفى أمام المثل الأعلى أي النموذج الأعلى، في الأخلاق والتعامل مع الآخرين سواء كانوا أعداء أو أصدقاء، في التعامل مع الأسرة في كل الأحوال. وبمقدار ما ندنو من سيرة المصطفى نشكر الله تعالى أننا أمام المثل الأعلى، وبقدر ما نبتعد عن سيرته لنعلم أننا متخلفين بعيدين عن الميزان السليم في التعامل مع الآخرين

ت- عند دراستنا لسيرة نجد أنفسنا في فهم كثير من غوامض القرءان الكريم ، لوجود علاقة كبيرة بين حياة النبي وآيات كتاب الله تعالى.

ث- تجمع قدر كبير من الثقافة العامة الإسلامية من خلال دراسة سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، أي التعرف على الإسلام إجمالاً معتقداته شرائعه أخلاقياته، تعامله مع الآخرين

ج- تبصرنا بقدر كبير من منهج الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى. كيف ندعو التائهين المارقين الأعداء، الأصدقاء... ورسول الله هو سيد الدعاة إلى الله تعالى.

ثم هناك مقدمة أخرى وهي مصادر فهم السيرة النبوية، وكيف تطورت دراستها وكيف يجب فهمها.

. من أهم مصادر السيرة النبوية:

أولا: كتاب الله تعالى حيث فيه مشاهد من سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم منها في سورة آل عمران، سورة الأنفال سورة التوبة، الفتح... والقرءان يضعنا أمام ملخصات من سيرة المصطفى غير مفصلة.

ثانيا: كتب السنة أي كتب الحديث مثل الكتب الستة البخاري الترمذي النسائي ابن ماجة ابن داود وتسمى كتب السنة، المساند مسند الإمام أحمد وغيره. في هذه الكتب نجد الكثير من حياة النبي في بيته مع أصحابه في الغزوات حواره مع الآخرين.

ثالثا: مؤلفات كتبت خصيصا لسيرة المصطفى منهم "عروة ابن الزبير" " ابن شهاب الزهري " " الإمام الطبري " وقد جمع محمد ابن اسحاق ما كتبه هؤلاء ولخصها ابن هشام.

كيف كتبت سيرة المصطفى وكيف تناقلها المسلمين حتى وصلت إلينا:

كتبت كما كتبت السنة بطريقة موضوعية دون أن يدخل الراوي رأيه فيها، يكون أمينا على نقلها كما هي معتمدًا على سند توفرت فيه شروط الصحة كاملة.

في أوائل القرن الماضي حصل تطور تراجعي في كتابة السيرة النبوية، حيث أحتلت بريطانيا مصر التي كانت آنذاك أم العالم الإسلامي ونأمل أن ترجع كذلك، وهذا بفضل أزهرها الذي كانت فيه القيادة السياسية، والقيادة الدينية، والقيادة الاجتماعية والحكومة المصرية لا تتصرف إلا بأمر الأزهر وتصرفه. وباحتلال بريطانيا العدو اللَّدود للإسلام، رأت أنه لن يقر لها قرار إن بقيت السلطة للأزهر وفكرت في أحد حلين وهما إما قطع الصلة ما بين الأزهر والمجتمع المصري، وهدا صعب لما سيحدثه من ضوضاء وإثارة عواطف في وجهه.

الحل الثاني هو أن ترسل بعض رسلها إلى داخل الأزهر فيغيروا عقلية الدراسة في الأزهر، ويغيروا طريقة دراسة العقيدة والسيرة وما إلى ذلك وهو طريق آمن لا يلفت النظر اعتمدته بريطانيا وهكذا شيئا فشيئا استطعوا أن يغيروا المناهج التعليمية في الأزهر خلال سنوات. واعتمدت بريطانيا لتحقيق ذلك على نقطة ضعف أساسية لمصر آنذاك، حيث كانت الدولة العثمانية في بداية انهيارها وبالمقابل الدول الأوروبية قد نهضت نهضتها وتألقت حياتها المادية الحضارية، ومن هنا شعر المسلمين بغضاضة كبيرة أنهم متخلفين وهي نقطة ضعف، فاستغلتها بريطانيا وكانت توحي عن طريق رسلها

أنَّ السر في تراجعكم وتقدم أوروبا هو التالي: طورت دينها حسب ما يقتضيه العلم وغيرت كل معتقداتها التي تتعارض مع العلم، وأبقت إلاَّ ما يتفق مع العلم، إن فعلتم ما فعلنا تطورتم، حيث أن الدين الإسلامي فيه كثير ما يتعارض مع العلم. هذه هي الطرقة التي بثتها بريطانيا في عقول المسلمين عن طريق عملائها. فتح هدا المجال للكتاب والمؤلفين وكلف أحدهم اسمه "سين هيكل " أن يؤلف كتاب في السيرة النبوية اسمه "حياة محمد " وكلف أن يكتب بطريقة التي تمليها بريطانيا كتابة بعيدة عن الغيبيات، وعن نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم، بعيدة عن المعجزات والخوارق تصور من محمد أنه رجل عظيم وزعيم.... وخرج الكتاب، وأقامت بريطانيا الدنيا وأقعدتها دعاية لهذا الكتاب. وكتب المؤلف في مقدمة الكتاب أنه تحدث عن سيرة محمد بطريقة علمية بعيدة عن الخوارق والمعجزات والكرامات التي هي أمور غيبية لا تتفق مع المنهاج العلمي، بعيد عن النبوة وأنه عظيم وزعيم وما إلى ذلك، انتشر الكتاب ومعه هذا النهج أيضا. وهكذا تجرأ المتجرءون إلى تغيير الكثير في سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم وتغيرت كتابات السيرة استجابة لرغبة بريطانيا التي اعتمدت في ذلك على نقطة ضعف، وبذلك سيطرت على الأزهر وأصبح ملجما لا يستطيع أن ينطلق انطلاقته الأولى.

وأصبح الحديث عن الإسراء والمعراج مثلا حادثة روحية لا أكثر من ذلك. وعن الملائكة التي نزلت يوم بدر أنها قوة روحية ورباطة جأش وقوة وشجاعة المسلمين لا ملائكة ولا شيء، وهكذا سار الأزهر وجل المفكرين على هذا النهج بوعد من بريطانيا أنه سبيل تقدمهم ورقيهم. ومع الأسف ازدادوا تراجعًا للوراء وازدادت بريطانيا تمكنا على مصر. راجت هذه الطريقة حين من الزمن وتحقق وعد الله تعالى في قوله: «الله غالب على أمره لكن أكثر النَّاس لا يعلمون » ونذكر قوله: تعالى «يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون» أنفقت أموال طائلة لنشر ذلك الفكر وأخفيت سيرة النبوة من حياته صلى الله عليه وسلم ومع الزمن اندثر ذلك كله وجاءت كتابات تبين حقيقة النبي وأنه قدم نفسه لناس أنه رسول الله من خلال قوله لهم: «ما جئتكم بما جئتكم به أبغي مالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم ولكن الله جعلني رسولا وأنزل عليَّا كتابًا فبلغتكموه، فإن تؤمنوا به فذلك حظكم مني وحظي منكم وإن ترفضوه أصبر لأمر الله حتى يقضي بيني وبينكم »

ويقول رحمة الله عليه أنه من أهم الأسباب التي جعلته يؤلف كتاب فقه السيرة هو تمزيق تلك النظرية التي جاء به "لورد كلوير " عند احتلاله لمصر.

المقدمة الثانية: سر اختيار الجزيرة العربية مهدا لرسالة النبوية:

الرسول محمد صلى الله عليه وسلم أرسل للعالم كافة، وسر اختيار الجزيرة العربية يعود لسببين اثنين:

1 . لوعدنا إلى خريطة العالم المعمور آنذاك لوجدنا أن الجزيرة العربية تقوم في نقطة الوسط، أي هي ممر للقوافل ما بين الشمال والجنوب وما بين الشرق والغرب.

2. شاء الله تعالى أن تكون اللغة العربية هي ترجمان لرسالة الربانية للعالم كافة «الله أعلم حيث يجعل رسالاته » واللغة العربية هي الأقدر على استيعاب المشاعر وعلى استيعاب المعاني ودقائق الأفكار، والجملة الواحدة تستبطن معنى واحد واثنين وثلاثة.

3 . جعل الله تعالى البيت الحرام أول بيت بني لناس وجدده نبي الله إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام، فكان من المناسب أن تكون بعثة النبي صلى الله عليه وسلم في ظل بيت الله الحرام.

4 . ولعل هناك حكمة هي أرجى وأحكم مما سبق هي أن البقعة الوحيدة التي تميز أهلها بالتخلف الحضاري والأمية والبساطة هي الجزيرة العربية. كانت آنذاك الحضارة الفارسية تقوم على مذهبين فلسفيين المذهب الزردشتي الذي يقوم على الموبقات سيئة جدا، أما المذهب المز دكي كان يقوم على اشتراكية متطرفة، الأموال مشاعة والأعراض أيضا هل من المعقول أن يبعث نبي في هذه الحضارة.

الحضارة الرومانية أيضا كانت متألقة في ذلك الزمان وعرفت بأنها حضارة عسكرية وكانت بلاد استعمارية حيث أن الشام ومصر من مستعمراتها وكان لها ماض في التشريع موسوعة جيستنيان القانونية المعروفة.

قد يقول قائل لتكن بعثته باليونان حضارة معروفة بالخيال والأسطورة والخرافات وآلهتها لا تعد ولا تحصى. فلو كانت بعثة النبي ببلاد الفرس لاختلطت دعوة المصطفى التي تنزلت وحيا من السماء بالفلسفة الأرضية ولجاء من قال أن بعثته هي طبعة جديدة لهذه الذاهب.

ولو أن بعثة النبي كانت في الرومان لقيل عن الفتح الإسلامي ليس بتوفيق من الله تعالى وإنما دفع جديد لسياسة الرومانية العسكرية والاستعمارية وامتزج هذا بذاك وقيل أن هذه الشريعة هي جزء جديد لموسوعة جستنيان .

ولو بعث النبي باليونان لجاء من يقول أن حديث القرءان عن الجنة والنار هي أخيلة أسطورية من ثمرات الحضارة اليونانية.

فشاءت حكمة رب العالمين لطفا بعباده أن تكون بعثة النبي في أرض لا يتسبب فيها أي إلتباس في شخصية الرسول صلى عليه وسلم النبوية، أرض مادتها خام أناس تغلب عليهم البساطة السذاجة الأمية وهو نفسه أمي «هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم »

مقدمة ثالثة: دعوة النبي صلى الله عليه وسلم وعلاقتها بالدعوات السابقة :

كلمة الدين تطلق على المعتقد، وسؤال المطروح هل الدين الذي بعث به النبي محمد هو نفسه الدين الذي بعث لرسل من قبله ؟ نقول نعم هو معتقد واحد لجميع الأنبياء والرسل لقوله تعالى: « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحًا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدِّين ولا تتفرقوا فيه » لكن الشرائع التي بعث بها الأنبياء والرسل،أي أحكام سلوكية قد تختلف بينهم وهي مرتبطة بالظروف ومصالح النَّاس، مثلا سيدنا عيسى عندما بعث إلى بني إسرائيل قال لهم « جئتكم ومصدقا لما بين يدي من الثورات ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم » أي في الاعتقاد ستجدون ما هو موجود في الثورات أما في السلوك ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم.

حياة النبي صلى الله عليه وسلم

نقسم دراسة سيرته صلى الله عليه وسلم إلى ثلاث أقسام، من مولده إلى البعثة،القسم الثاني من البعثة إلى الهجرة، القسم الثالث من الهجرة إلى وفاته صلى الله عليه وسلم.

القسم الأول: من مولده إلى البعثة:

﴿المشهد الأول﴾

نسبه صلى الله عليه وسلم وولادته

1. **نسبه صلى الله عليه وسلم:** هو ثابت وموثق إلى عدنان حيث ينتهي إلى الخليل إبراهيم عليه السلام وهو طاهر مطهر وهذا مما صح عنه صلى الله عليه وسلم حيث قال: «إنَّ الله اصطفى من إبراهيم ولده كنانة واختار قريش من كنانة واختار هاشمًا من قريش واختارني من هاشم فأنا خيار من خيار إلى خيار »

2. **ولادته:** ولد في عام الفيل العام الذي توجه فيه أبرهة إلى مكة قاصدا هدم الكعبة فارتد على أعقابه بجيشٍ من الطيور. وكان ذلك يوم الاثنين بعد اثنتا عشرة ليلة مضت من الربيع الأول، ولد يتيما حيث مات أبوه وأمه حامل به لشهرين، وعني به جده عبد المطلب، واسترضع له امرأة هي حليمة السعدية من قبيلة بني سعد لأبي بكر، وعاش طفولته هناك، وفي أعقاب ذلك حصلت له الخارقة التي وردت في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما أتى إليه مَلَكين وشقا بطنه وأخرجا من قلبه علقة سوداء وقالا له: هذا حظ الشيطان منك وكان آنذاك عمره بين الرابعة والخامسة، فخافت عليه حليمة السعدية فأرجعته إلى أمه، وهي مقدمة نبوته صلى الله عليه وسلم.

بادية بني سعد كانت في ذلك العام قاحلة وأرضها جافة ليس فيها عرق أخضر وأهلها يعانون من جدب آنذاك. ما إن حلَّ محمد صلى الله عليه وسلم في تلك البادية ومرت أيام حتى أصبحت تلك البادية أرضا ممرعة، جاءتها الأمطار وسرعان ما اخضرت الأرض، وامتلأت ضروع الأنعام، وتعجبوا قائلين لحليمة إن جئتِ بنسمة مباركة، ما إن حلَّ الطفل بالبادية حتى تحول الجدب إلى اخضرار وتحولت الأرض من جافة إلى ممرعة والضروع الجافة إلى ممتلئة بالألبان. عاد المصطفى إلى أمه وبعد مدة قصيرة ماتت وعمر محمد ست سنوات. هذه خلاصة المشهد.

﴿تحليل المشهد﴾

بداية علينا أن نجيب على الأسئلة التالية:

1. **كيف نوفق بين حديث رسول الله عن نسبه الشريف وحديثه أن لا فرق بين أعجمي وعربي وأبيض وأسود إلا بالتقوى ؟** الرسول يقصد بالأعجمي والعربي والأبيض والأسود من حيث هم ويتفاوتون بالتقوى والإنسان يسمو ويعز ويدل بعوارض بنو هاشم قريش كنانة شرفت بعارض النبي صلى الله عليه وسلم. ولولا ولادة الرسول في بلاد العرب لما وجدناها تعلوا بأي مكانة أخرى، لنفرض وعاءان متشابهان اتخذت أحدهم للمجوهرات الثمينة والأخر

للأقدر، رغم أنهما من نفس النوع فإن أحدهما شرف وسما والأخر هان فانحط. إذًا مصدر الخيار هو رسول الله صلى الله عليه وسلم.

2. **سؤال أخر فيما اختار الله تعالى لنبيه محمد اليتم رغم حبه له وقوله له ولسوف يعطيك ربك فترضى ؟** الجواب اختار الله تعالى له اليتم لتكون حياته بعيدة عن لغو اللاغين، بعيدة عن كدب المزيفين . كيف ؟ لو عاش أبوه وعاشت أمه وما لجده من مكانة الرفادة والسقاية، لجاء من قال أن النبي رضع حب الزعامة من أمه وأبيه والنبوة هي صدى عن هذه الرغبة في كيانه، وأراد أن يطورها بهذه الصبغة الدينية. والله عز وجل أسكتهم بأن نشأه في ظل اليتم. ومع ذلك هناك من قال عنه أنها رغبة في إحياء ميراث آبائه وأجداده، وأسكتهم الله تعالى حيث كانت حياة النبي مثال الزهد والتقشف من أولها إلى أخرها. وجاء أيضا من يطلب منه الزعامة والملك والمال والنساء، على أن يترك هذا الدين وهم صادقين فيما عرضوا عليه. وقال لهم ما جئتكم بما جئتكم به أبغي الشرف عليكم ولا ولا... ولكن بعثني الله إليكم برسالة منه فإن تؤمنوا به فذلك حظكم مني وحظي منكم، وإن ترفضوا أصبر حتى يحكم الله بيني وبينكم.

3. **المسألة الأخرى الملكين اللذين شقا صدره وأخرجا تلك الحبة وقالا له هذا حظ الشيطان منك،** يا ترى ما الحكمة ؟ كان الله تعالى قادرا أن يخلقه دون هذه العلقة السوداء دون اللجوء إلى عملية جراحية ؟ الواقع أن هذا الذي شاءه الله تعالى وصح من سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم هي مقدمة بعثة النبي صلى الله عليه وسلم، ويحفظ الناس هذا ويفسر عندما تأتيه النبوة، وجعل الله تعالى طُهره من حظ الشيطان مجسدا بهذا الذي حدث له وهو الطاهر المطهر. هذه الإرهاصات والحوادث الغريبة، هي التي تقرب إلينا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم. وأهل البادية كلهم آمنوا به لعلمهم بهذه الحادثة.

4. **أمر أخر هل صحيح أنه بين عشية وضحاها تتحول أرض جافة إلى ممرعة خضراء ؟** وإجابة للمبطلين نقول والله الذي لا إله إلا هو لو وجدت بادية أوت نبي الله وأرضعته وبقيت قاحلة لشككنا في نبوته، أما وأن جعل الله تعالى شبعه في تلك الأرض التي آوته وجعل فيها حنوه، والبارئ عز وجل أكرم من هؤلاء ومن الطبيعي أن يرسل لهم الأمطار وتخضر الأرض وينبت الزرع وتكثر الخيرات، والأمر بيد الله إذا أراد شيئا قال له كن فيكون. إذن كل هذا معرفة باللطف الله تعالى وبنبوة محمد صلى الله عليه وسلم. وهو تعالى مسبب الأسباب الذي جعل الغيوم تمطر بإذن

علام الغيوب.من الطبيعي أن يكرم الله تعالى أهل البادية لإكرامهم هذا الطفل الذي هو نبي الله وحبيبه صلى الله عليه وسلم.

﴿المشهد الثاني﴾

رحلة المصطفى إلى الشام وكدحه في سبيل الرزق

كان عمر النبي صلى اله عليه وسلم اثنتا عشرة عامًا، وكان مع عمه أبو طالب وهو الذي بقي له، أراد أن يسافر في رحلة تجارية، فأشفق العم على الطفل محمد فأخذه معه. وصل القوم إلى مصر ومروا هناك براهب اسمه بحيرة، وأخذ بحيرة ينظر إلى محمد ويكلمه، وسأل العم من يكون هذا الطفل منك ؟ فقال ابني. فقال الراهب لا ما ينبغي أن يكون والد هذا الطفل حيًا ؟ فقال صدقت توفي والده وأمه حامل به. فقال له عد به إلى مكة، واحذر منه اليهود فإن عرفوه ليبلغنه شرا. وسرعان ما عاد أبو طالب بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم إلى مكة.ولما كان حال عمه الفقر قرر الطفل أن يخرج للعمل ويكتسب ، وخرج يرعى الغنم مع غلام على قراريط، وبقي مدة من الزمن يشتغل هذه المهنة التي تدر له شيء من الرزق تحدث رسول الله عن هذه الفترة قائلا ما انحرفت عن شيء من دنس الجاهلية إلاَّ مرتين، حيث طلبت من الغلام الذي معي أن ينظر إلى أغنامي أيضا فأذهب إلى مكة وأسمر مع القوم كما يسمرون، وقال الطفل أفعل. وقال الرسول ذهبت وسمعت معازف في دار من الدور وقال فجلست لكن ما إن جلست حتى ضرب الله في أذني الرقاد فرقدت إلى وهج الشمس. وقال ومرة أخرى فعلت مثل ذلك وأكرمني الله تعالى بمثل ذلك، أي حجبني عن هذا الأمر. هذا ملخص المشهد الثاني.

﴿تحليل المشهد﴾

1. **رحلة المصطفى مع عمه إلى الشام:** ما لذي نفهمه من لقاء النبي مع الراهب وحديثه معهم؟ نفهم من ذلك أن الله تعالى قدم لنا إرهاص آخر لنفهم نبوة المصطفى صلى الله عليه وسلم . هذا الإرهاص هو شهادة الأنبياء الذين سبقوا شهادة الإنجيل وغيره بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم والمترجم هو بحيرة الدارس للإنجيل وهو نصراني وتبين الصحيح منها، ومن ثم عند السؤال والبحث تبين أن محمدا سيكون نبيا علم من كتاب الله الإنجيل و الثورات حيث أن البارئ عز وجل

شاء من حكمته الباهرة، أن يبرز لنا هوية محمد وهو لا يزال طفلاً. وهناك الأن من هو مثل بحيرة ولا يشهدون هذا، فالله تعالى أجابنا عن هذا في قوله: « ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلاَّ أماني وإن هم إلاَّ يظنون فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون » لولا تحريف تلك الكتب لوجدنا تناغم بينها والقرءان الكريم. عندما أسلم عبد الله بن سلامة وهو يهودي جاءه أحد الصحابة وقال له إن الله تعالى يقول: « الذين أتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم » فهل تعرف نبوة محمد كما تعرف بنوة أبنائك لك ؟ قال نعم وأشد أعرف أن الله أرسل أمينه في سمائه إلى أمينه في أرضه فبلغه الرسالة، فكان محمد آمين بعد أمانة جبريل.

اليهود الذين كانوا بالمدينة المنورة بني قريظة وبني قينقاع وبني النضير كانوا كلما اشتدت الأزمة بنهم والأوس والخزرج يقولون لهم لقد جانت بعثة نبي عما قريب فلسوف نتبعه ونقتلكم معه قتل عاد و إرم. ولما جاء هذا النبي هرع الأوس والخزرج بالإيمان به، ومن أهم أسباب الإيمان به اليهود وهم حرموا من هذا ويقول البارئ: « ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدقا لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا ولما جاءهم ما عرفوا كفروا به »

2. وعمره ثلاث عشرة سنة خرج لطلب الرزق برعي الأغنام على دراهيم زهيدة، لماذا ؟ كان النبي يعيش مع أولاد عمه في بيت أبو طالب الذي كان رقيق الحال. لا يريد محمد أن يكون كلاً على عمه فأصر على العمل وتقديم هذه القراريط إلى عمه، رغم أنها لا تفعل شيئاً لكنه الذوق الرفيع لسيدنا رسول الله كأنه يريد أن يقول هذا ما أستطيع ولا أريد أن أكون كلاً عليك.ياه إنه والله لخلق عظيم لأنه نبي.

3. أفصح النبي عن أمر محرج في الحقيقة حيث قال ما هممت بأمر كان يفعله أهل الجاهلية إلا مرتين. وهذا عندما أراد أن يسمر مع القوم وسمع معازف فجلس لكن الله تعالى ضرب على عينيه الرقاد. سؤال ألم يكن بالله سبحانه أن يبعد عنه هذا كله ؟ لماذا تركه لغريزته ومشاعره البشرية ويجعلها تتغلب عليه ويسوقه إلى ذلك المنزل لماذا ؟

- يريد ربنا عز وجل أن يبين لنا أن محمدا بشر وليس ملك من الملائكة تنزل بصورة إنسان.

- ويريد الله عز وجل أن يبين لنا أن الحماية التي متع الله بها نبيه هي حماية من الله عز وجل وليس شدوداً تكوينياً في كيانه. لنفرض أن النبي نشأ مند صغره لا يتشهى هذه الأمور التي تتشهها النفس

البشرية لقلنا أنه شدود في النشأة وليس فضلا من الله عليه. وبهذا بين الله تعالى لنا أنه بشر مثلكم يشعر بما تشعرون به ركبت فيه المقومات البشرية كلها دون نقص، لكن حماية الله أبعدته وعصمته، الدليل على هذا أنه حاول برغبة من تلك الرغبات أن يجلس في تلك المجالس ليطرب ويسمع صوت المغنيات إلى أخر ما هنالك ، ولكن سابقت رعوناته حماية الله سبحانه وتعالى.

﴿المشهد الثالث﴾

تجارته صلى الله عليه وسلم بمال خديجة وزواجه منها

لما كان عمره خمس وعشرون عاما، كانت خديجة بنت خويلد ذات مال وثراء، وعادة العرب في الجاهلية أن المرأة لا تمارس التجارة بنفسها، ولا ترث أيضا، وإن كان لها مال تنميه عن طريق الرجال. لما سمعت بالمصطفى صلى الله عليه وسلم وبأمانته، استدعته ليذهب بمالها تاجرا إلى الشام فوافق سيدنا رسول الله، وأرسلت معه خادم اسمه ميسرة ليكون رفيقا لرسول الله. حالف التوفيق رسول الله في هذه الرحلة، وربح مالً لم تعهد به خديجة من قبل، ولما عاد بالمال إلى السيدة خديجة، حدث ميسرة خديجة عن الأعاجيب التي رآها في هذه الرحلة مع سيدنا رسول الله، فأعجبت السيدة خديجة به وبما سمعته عنه.

فكلفت صديقة لها اسمها نفيسة بنت منية، أن تكلم رسول الله في الزواج منها. وكلمته في ذلك وسرعان ما وافق سيدنا رسول الله على ذلك، وكلم عمه أبا طالب فوافق، وخطبت خديجة لرسول الله، وهي قد تزوجت مرتين قبله، وناهز عمرها الأربعين وعمر النبي خمسة وعشرون.

﴿تحليل المشهد﴾

1. السيدة خديجة كانت تدعمه صلى الله عليه وسلم في غرة الدعوة إلى الله عز وجل، وكان لها أثر كبير جدا جدا في نصرة المصطفى صلى الله عليه وسلم وتثبيت فؤاده، كأن الله تعالى يرينا من خلالها مكانة المرأة في المجتمع، وهي التي تبثثه في أول الطريق، ولهذا كان الرسول يحب خديجة. وقال جابر لما توفيت خديجة حزن عليها رسول الله عليها حزنًا شديدًا حتى خشينا عليه. حتى أنه صلى الله عليه وسلم إذا ذبح ذبيحة قال أرسلوا منها إلى صاحبات خديجة. حتى قالت السيدة عائشة إني أغضبت الرسول يوما قائلة له أنت دائما خديجة خديجة خديجة فقال:

« إني رزقت حبها وهي التي أعانتني في السراء والضراء، ورزقت منها الولد ».

ممن يحترفون الغزو الفكري من أجل تحقيق مغانمهم و عصبيتهم، وتنفيذ الخطة الرامية إلى توقيف المد الإسلامي، إتهم المصطفى بأنه رجل شهواني، ولهذا تزوج بالعدد الذي تزوج به من النساء، ونحن لا نصِّم أذاننا عما يقال ولا عن كتاب الله. ونستند في معتقداتنا إلى العلم. ونقول لهؤلاء الرجل الشهواني لا يبقى إلى الخامس والعشرون عفيف الإزار، في مجتمع لا يلام فيه أحد، مجتمع جاهلي إباحي آنذاك، ومع ذلك بقي المصطفى صلى الله عليه وسلم نقي السمعة عفيفًا، طاهر السلوك. وتزوج من امرأة تزوجت قبله مرتين وتكبره بخمسة عشرة عامًا. وكل إمرأة تزوجها رسول الله بعد وفاة السيدة خديجة كان لها حكمة إنسانية، هؤلاء النسوة إجتمعن في حياته في السنوات الأخيرة من حياته من الخمسين إلى ثلاث وستون من عمره. كلها أدلة واضحة أنه بعيد كل البعد عما يصفونه به. ضف إلى ذلك أن بيت رسول الله كان مضرب المثل في الزهد والتقشف، وتمر الليالي الطويلة ولا يستوقد نار لطعام.

عندما اقترحن عليه أن يرتفع مستوى معيشتهن كبقية نساء الصحابة، لم يرد المصطفى عليهن لا بالسلب ولا بالإيجاب. نزل قول الله عز وجل: « يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحًا جميلاً وإن كنتن تردن الله ورسوله والدّار الآخرة فإن الله أعدّ للمؤمنات منكن أجرًا عظيما » وجمع المصطفى نساءه وأسمعهن كلام الله عز وجل وخيرهن وبدأ بعائشة رضي الله عنها فاختارت مباشرة الله ورسوله والدّار الآخرة. أهكذا يكون حال الرجل الشهواني ؟؟؟ لا يمكن لعاقل أن يتماسك برأيه ذاك إن استوعب عقله هذه الحقائق .

وأما لماذا تزوج بهذا العدد في حين أجاز الشرع بأربعة وبشروط ؟ نقول أن هذا شيء اختصه الله تعالى للمصطفى كما اختصه بعدة أشياء. منها قيام الليل له واجب. ونحن هنا لسنا بصدد الدفاع عن النبي والرسول ليس في وضع اتهام حتى يأتي إنسان تافه مثلي ليدافع عنه.

2. تجارته صلى الله عليه وسلم، مرة ثانية النبي يشتغل يكدح في سبيل الرزق، يشاء الله تعالى أن يبصرنا بأمر لا سيما أمثالنا، أن الداعي إلى الله لا ينبغي أن يكون رزقه عن طريق الدعوة لأن هذا من الصعب أن يثق الناس بإخلاصه.

﴿المشهد الرابع﴾

اشتراكه صلى الله عليه وسلم في بناء الكعبة

جاء سيل عرم إلى مكة وأصاب الكعبة فتصدعت جدرانها، فقام أهل مكة بجمع ما أمكن من المال لإعادة بناء الكعبة، وقام المشركون آنذاك يتعاونون في بناء الكعبة، وكان منهم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، حيث كان يحمل الحجارة على كتفه إلى مكان الكعبة، والقوم آنذاك يلبسون الأزر لم يكون هناك شيء مخيط قد شاع وداع في مكة آنذاك ونصح أبو طالب الرسول أن يجمع إزاره فوق كتفه حتى لا يتأثر كاهله من ثقل الحجر وأخذ إزاره ورفعه إليه، ولما رأى رسول الله أن شيء من العورة قد تتكشف بسبب ما فعله عمه جلس صلى الله عليه وسلم وقال أربي إزاري أربي إزاري. عندما أتموا بناء الكعبة اختلف القوم في من يضع الحجر الأسود في مكانه واشتد الخلاف وكاد أن يتحول إلى حرب، أثناء هذا الخلاف الذي استشرى فيما بينهم، أقبل المصطفى صلى الله عليه وسلم ليعمل معهم، فلما رأوه قالوا هذا هو الأمين سنحكمه. ولما سألوه عن الأمر حلَّ المصطفى صلى الله عليه وسلم هذه المشكلة، وكان حله سبب لدرء حرب كادت أن تشتعل والله أعلم كيف سيكون مداها كان الرأي:

أن يوضع الحجر الأسود في رداء كبير ويأتي المختلفون ويحملون جميعًا هذا الرداء كل في طرف إلى أن يوصل إلى الزاوية التي ينبغي أن يوضع فيها الحجر الأسود، فطابت نفسهم لهذا الرأي. وهكذا لما جيء به وضعه المصطفى في مكانه.

﴿ تحليل المشهد﴾

1. **الكعبة المشرفة ما موقعها من الإسلام ؟** محترفوا الغزو الفكري قالوا إن المسلمين طوروا عبادة الأصنام ولم يتجاوزوها حيث كان هياكل لأشخاص تحول الصنم إلى هيكل بناء، أي مازال المسلمون يمارسون عبادة الأصنام ولا يختلف الأمر عما كان عليه المشركين سابقًا.

علينا أن نعلم أن حجارة الكعبة التي نطوف حولها لا تضر ولا تنفع، ومن ظن ذلك فقد أشرك بالله تعالى وكفر. إذن لماذا نطوف حولها ؟ شاء البارئ عز وجل أنه لما أرسل أبو الأنبياء سيدنا إبراهيم حيث وفقه الله تعالى أن يقلع عبادة الأصنام من الجزيرة العربية آنذاك وتحطيمها. شاء الله

تعالى أن يبنى في مكانها بيت يعبد فيه الله تعالى وحده، وكان أول بيت بني لناس كما قال الله تعالى، هذا البيت الحرام الذي هو رمز التوحيد ورمز القضاء على كل أنواع الشرك جعل الله منه مثابة لناس وأمنًا، شاء الله تعالى لهذه الأمة ولهذا الدين أن ينتشر عبر أرجاء المعمورة وجعل لهم محور يجذبهم كلما اقتضت الضرورة ذلك، أي أراد الله تعالى أن يجسد قوله إنما المؤمنون إخوة في لقاء يتكرر. وأنت عندما تطوف بذلك البيت فهو انقيادا لأمر الله سبحانه وتعالى: وتقول كما كان المصطفى يقول: لبيك اللهم حقًا وصدق، لبيك اللهم تعبدًا ورقا ، أي أمرتني فاستجبت. تلاقيتم أيها المسلمين طائفيين ببيت الله الحرام أنبذوا الخلافات المستشرية بينكم ، مزقوا أسباب الفرقة التي جعلت منكم فئات، بعضها ضد بعض. أنا وضعت المحور وجعلته مثابة وسرًا جاذبًا لكم، إذًا بقي عليكم أن تُتَمِمُوا.

2. **أهم الأدوار التي تعاقبت على بناء البيت الحرام**: وهي أربعة أدوار لا نشك فيها إلا الدور الخامس

✓ ما اتفق عليه أن البيت الحرام بني للمرة الأولى على يد سيدنا إبراهيم عليه وعلى نبينا السلام والله تعالى يقول: «ويرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم » أي رفع البناء من أسسه. وحديث رواه البخاري: أن سيدنا إبراهيم قال لإسماعيل إن الله أمرني بأمر فقال فاصنع ما أمرك به ربك قال أفتعينني ؟ قال أعينك. فقال: أمرني الله سبحانه وتعالى أن أبني هاهنا بيتًا. أي البيت يبنى لأول مرة. وهكذا كان سيدنا إسماعيل يأتي بالحجارة وسيدنا إبراهيم يقوم بالبناء. حيث كان علو الكعبة فيما صح عن المؤرخين تسعة أدرع، من حيث الطول ثلاثين ذراع، العرض اثنان وعشرين ذراع .

✓ المرة الثانية عندما تصدعت بذلك السيل العرم، الذي أفاض مكة وتجمع عند البيت الحرام، وكانت النفقة غير كافية فأخرج مقدار ستة أذرع وجزء من الذراع وهو المقدار الذي يسمى بحجر إسماعيل.

✓ المرة الثالثة عندما نشب خلاف بين الزبير رضي الله عنه وزيد بن معاوية، وصل الأمر إلى قذف الكعبة بحجارة عن طريق المنجنيق أصاب البيت الحرام وتصدع مرة أخرى. وانتظر الزبير رضي الله عنه وجوه القوم عند موسم الحج والعلماء فيما ينبغي أن يفعلوه. أن يرمم أو ينقض ويعاد بناؤه، فالأكثرية رأت أن يرمم. والزبير لم يوافق وقال سأستخير ثلاثًا وأرى ما يشرح الله به صدري. وفعلاً

استخار فشرح الله صدره لنقضه وإعادة بنائه. وبناها على النحو الذي بناه سيدنا إبراهيم وأدخل الحجر إلى الكعبة وجعل ارتفاعها ثلاثين ذراعا وهكذا.

✓ جاء عصر الحجاج واستشار عبد الملك بن مروان، فقال إن ابن الزبير فعل كذا وكذا ماذا نصنع. فقال عبد الملك لسنا من تخليط ابن الزبير في شيء. أنقض الكعبة وابنيها على النحو الذي كانت عليه في عصر رسول الله. وانقضت للمرة الرابعة وأخرج حجر سيدنا إسماعيل.

ـ قيل أن هارون أراد أن يعيد بناءها على نحو الزبير، فجاءه الإمام مالك وقال له: أنشدك يا أمير المؤمنين أن لا تجعل الكعبة لعبة بين الناس تقودهم السياسة إلى أن يفعلوا ما يشاءون، استجاب هارون الرشيد إلى كلام الإمام مالك رمم وبقي على النحو الذي عليه الآن.

✓ قيل أنه بني منذ سيدنا آدم عليه السلام وهي رواية ضعيفة والأصح أنه أول من بناها أبو الأنبياء سيدنا إبراهيم عليه السلام والرواية التي سبق ذكرها.وهناك من يستشهد بالآية التي قال فيها عز وجل: « ربنا إني أسكنت من ذريتي بوادٍ غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » معنى ذلك أن ذلك البيت كان موجودًا، لكن نقول لمن يستشهد بهذه الأية أنه حسب سياق الأية أنه دعا الله بعد بناء هذا البيت، ولهذا قال وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون وكان سيدنا إسماعيل قد اشتد عوده وكبر.

3. مشاركة النبي في بناء الكعبة وحله الخلاف الذي كان بين المشركين

﴿المشهد الخامس﴾

اختلاء الرسول صلى الله عليه وسلم بغار حراء

لما أخذت سن المصطفى صلى الله عليه وسلم تدنو إلى الأربعين من العمر، حببَّ الله تعالى إليه العزلة من الناس، وسرعان ما تعرف على مكان طاب له الذهاب إليه بين الحين والأخر، وهي مغارة في قمة جبل النور، هو غار حراء في الشمال الغربي من مكة المكرمة، والصعود إليه صعب جدا، وهو بعيد عن ضجيج الناس، حيث كان يأخذ زاده وما يكفيه لعشرة أيام أو أسبوعين ولربما حتى شهر. وكانت السيدة خديجة خير عون له على ذلك، فلم تكن تضيق درعًا بهذا رغم محبتها الشديدة له. حيث كانت تؤثر هواه، وهذا هو منطق الحب. وهكذا إلى أن جاءه الوحي وهو في

ذلك الغار. الشيء الذي يلفت النظر هو طبيعة الغار، فهو لا يكاد يتسع لشخصين، به صخرة مائلة أشبه ما تكون مستند الإنسان وإلى جانبها نافذة أو ثقب الجالس أمامها يرى الكعبة الشريفة.

﴿تحليل المشهد﴾

- **السؤال هو لماذا حبب الله عز وجل لنبيه قبل أن تأتيه الرسالة هذا الاعتزال من الناس ؟** يأتي الجواب من مواقف سيدنا رسول الله بعد البعثة، ومن آيات كثيرة في كتاب الله تعالى. الحكمة هي أن الله عز وجل أراد أن يهيئ نفسية المصطفى صلى الله عليه وسلم ومشاعره لتلقي هذا الوحي، الذي وصفه الله تعالى بقوله: « إنَّ سنلقي عليك قولاً ثقيلا » وكل شيء يسير به مولانا رسوله فيه فإنما هو تعليم لنا وإرشادٌ لنا لأنه أرسل معلمًا، وأمرنا الله تعالى أن نحدو حدوه في أقواله وفي أفعاله، حيث قال: « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله و أطيعو الرسول» وقال: «قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله » إنه التشريع الذي يبين لنا أنه لا بد للمؤمن من ساعات يختلي به بنفسه، وهي من أهم أدوات التربية التي لا يمكن أن يستغني عنها الإنسان.

- الحاجة إلى هذه الخلوة، هي أن الإنسان مبتلى في دار التكليف هذه، حيث أمرنا الله تعالى بواجبات تعترضها عقبات وعراقيل، متمثلة في النفس الأمارة بالسوء، الرعونات،الأهواء الداخلية، والشيطان الذي يأتينا من الخارج، وأنت مكلف بتطهير قلبك من هذه الشوائب، وهذا بالعودة إلى قلبك فتطهره من الإستكبار والحسد، تطهره من الضغينة ومن حب الدنيا والتكالب عليها ومن المنافسة غير الشريفة مع الأقران. والإنسان مجبول على هذه، لكنه مكلف حيث قال تعالى: «وذروا ظاهر الإثم وباطنه » والسبيل إلى التطهر من باطن الإثم هما سبيلان اثنا ظاهر وباطن:

- الظاهر أن تصغي إلى تحذيرات الله عز وجل عندما يقول: «ولا يغتب بعضكم بعضا» «اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم » «زين لناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطر المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب » يحذرنا الله تعالى من كل ما يتعارض من تزكية النفس. تصغي إليها وتعاهده بتركها.
- السبيل الثاني الخلوة الجزئية، بها تطهر نفسك من هذه الأمراض، لأن نفسك أثناء هذه الخلوة تطلعك أنك عبد مملوك لله عز وجل، تفكر في مراقبته لك «ولقد خلقنا الإنسان و نعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد » وأفكر أن كل من حولي هم عبيد أدلاء لله عز وجل لن ينفعني أو يضروني بشيء إلا بحكم وقرار من الله عز وجل سبحانه وتعالى وهو النافع الضار لا إله إلا

هو. في الخلوة أهتف وأدعو الله قائلا يا ربي أنا ضعيف أنا بين يديك واقفا ببابك ملتصقا بأعتابك أنا الآن دخيل كرمك وجودك يا رب طهر قلبي من هذه السخائم . إذا من أراد أن يصلح حاله الداخلية عليه أن يخلو بنفسه من حين لأخر عندها يتجلى الله تعالى عليك، وأفضل وقت هو السحر، والكلمة التي تناجي بها ربك تسمع صداها في أذنيك والله يخاطبك قائلا لبيك عبدي يا الله. وهكذا حبيبنا المصطفى استمرت خلوته بعد البعثة حيث كان يناجي ربه في آخر الليل ثلثه أو نصفه في قوله تعالى:«إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل و نصفه و ثلثه وطائفة من الذين معك » إذا الخلوة الجزئية وظيفة أقامها الله تعالى لنبيه المصطفى وهي واجبة بالنسبة إليه. إذن الخلوة هي دواء للمؤمن لتزكية نفسه من الأدران.

والخلوة لها شروطها إذا اختل شاب امتلأت حياته بالملهيات وأراد التوبة، لا بد له في بداية الأمر من وسيلة، أن يمسك القرءان ويتدبر آياته ومعانيها أو تقرأ طائفة من أحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم، التي تشدك من خيالات الدنيا وضجيجها إلى وحدانية الله تعالى والتقرب إليه عندها ابدأ في التفكر وأنت تتأمل. إذن الخلوة لها شرائطها التي ينبغي أن تنضبط بها حتى لا تكون خلوتك بدعة.

﴿المشهد السادس﴾

بدأ الوحي

نقول الحديث عن بدأ الوحي كما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقد حاول المبطلون كثيرا التشكيك في الوحي لأنهم علموا أنه ينبوع الإسلام فإن نجحوا في إدخال الريبة في القلوب وشككوا المسلم، فقد أدخلوا الريبة بالدين كله.

أول ما بدأ به الوحي الرؤية الصادقة، كما يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم أنه ما رأى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح وهو مقدمة بين يدي الوحي. جاءه الملك فقال له إقرأ فجأة وهو بغار حراء، فقال ما أنا بقارئ وقال المصطفى فغطني أي عانقني وشدني، حتى بلغ مني الجهد فأرسلني فقال إقرأ، فقلت ما أنا بقارئ، فأخذني و غطني الثالثة فأرسلني فقال: إقرأ باسم ربك الذي خلق خلقَ الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم.... إذن لم يكن هذا رقادا بل في اليقظة. ثم غاب هذا الملك ولم يعلم المصطفى من هو. فرجع رأسا من الغار يرجف فؤاده، فدخل على السيدة خديجة رضي الله عنها وهو يقول زملوني، زملوني ، فزملته حتى ذهب

عنه الروع. فأخبرها الخبر قائلا لها لقد خشيت على نفسي أي من الجان، قالت خديجة كلا والله لا يخزيك الله أبدا، إنك لا تصل الرحم، وتحمل الكلى والمعدوم، وتقرئ الضيف، وتعين على نوائب الحق طمأنته. ثم انطلقت به إلى ورقة بن نوفل وهو ابن عم لها، وهذا ورقة بن نوفل كان قد تجاوز المائة وقد تنصر في الجاهلية، وكان يتقن اللغة العبرية.

فقالت خديجة يا ابن عمي اسمع من ابن أخوك ما يقول. فقال ورقة يا ابن أخي ماذا ترى ؟ فأخبره الرسول صلى الله عليه وسلم بما رأى. فقال له ورقة هذا هو الناموس أي الوحي أو جبريل، الذي نزل على موسى، يا ليتني كنت جذعًا أي شابًا قويًا ليتني أكون حيًا إذ يخرجك قومك. فقال الرسول صلى الله عليه وسلم أومخرجيا هم ؟؟ قال نعم لم يأتي رجل قط بمثل ما جئت به إلاَّ عودي، وإن يدركني يومك لأنصرنك نصرًا مؤزرًا. ثم لم يلبث ورقة أن توفي. وانقطع الوحي بعد ذلك مدة ستة أشهر.

﴿تحليل المشهد﴾

حادثة بدأ الوحي من أهم الأحداث التي كتب فيها المستشرقين كتب كثيرة بعضها ترجم لماذا ؟ لأنهم ان استطاعوا أن يعكروا صورة الوحي وحقيقته ويلبسوا على المسلم ذلك، فالقرءان والسنة النبوية كلها تبصير تابعة لذلك وينتهي الأمر. لهذا بدلوا جهودا شاقة لتفسير الظاهرة على النحو الذي يطيب لهم.

وتحليلنا للأمر من الأهمية بمكان. خبر بدأ الوحي تناقلته كتب التاريخ كلها، والسنة والسيرة أيضا، وتواتر توا ثرا معنويا لذلك لا يسع المستشرقون وغيرهم إنكار بدأ الوحي بل يأخذونه ويبنون وفقه تصوراتهم، ويفسرونه حسب ما يروق لهم.

ماذا قالوا في تفسير الوحي ؟ منهم من قال من كثرة خلوته بالغار صار عنده شفافية روحية، وصارت له أفكار داخلية نتيجة العزلة. أي الوحي شعور داخلي نتيجة استمرار البعد عن الناس. آخرون قالوا لا من الأصل محمد عبقري، له أفكار نادرة وقلما تجدها عند الآخرين، وتألقت بعد خلوته التي تعود عليها. رأي ثالث قال لا بل إنه يعاني من صرع.

نحن نقول لكم لماذا تنسبون إلى محمد حديث بدأ الوحي ؟ هل أرحتم أنفسكم وأنكرتم حديث بدأ الوحي ؟ و أنه لا يوجد في التاريخ شيء اسمه بدأ الوحي.

إذن لنجعل المقياس في تفسير الوحي هو بدأ الوحي مادمتم تؤمنون به، إذن ينبغي أن يكون تفسيركم لها غير متناقض معها.

ـ لنرى ما حدث لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومن هنا نستبين حكمة رب العالمين الغريبة والعجيبة ، الرسول محمد محبوب لدى ربَّ العالمين لماذا تركه ترتعد فرائسه مما رأى، وأنتقع وجهه معنى اصفرَّ، وقال زملوني، زملوني، لماذا ؟ نقول هل الإنسان الذي يتمتع بشفافية روحية وشعور داخلي تنتابه البُرَداء والخوف والرعب. ما رأينا من العباقرة إن انتابهم إلهام داخلي يصفر وجههم وتأخذهم البُرَداء. فربنا سبحانه وتعالى تركه لطبيعة البشرية ، ولم يربط على قلبه وهو قادر على ذلك، حتى يكون وضعه هذا تكذيبًا وتقطيعًا لألسنة من يتخرصون ويقولون هذا الكلام. وفي حادثة بدأ الوحي عندما التقى بالملك فاضت روحه ولم يستطع البقاء في مكانه، من شدة الخوف. إذن كيف نجمع بين هذا وقولكم أنه شعور داخلي. قصة بدأ الوحي التي تؤمنون بها تقول أن السيدة خديجة مضت به إلى ورقة بن نوفل، لحكمة إلاهية أراد المولى أن يستدل بالقصة برجل أربى المائة، وقد تنصر في الجاهلية، وعلم الكثير من الإنجيل ومن التَّوْرَاتْ، هذا هو الناموس أي الوحي أو جبريل، الذي نزل على موسى، يا ليتني كنت جذعًا أي شابًا قويًا ليتني أكون حيًا إذ يخرجك قومك. ثم قال لم يأتي رجل قط بمثل ما جئت به إلاَّ عودي، وإن يدركني يومك لأنصرنك نصرًا مؤزرًا. شاء الله تعالى أن يكون من كلام ورقة شهادة الإنجيل و التَّوْرَاتْ. لا يمكنكم تكذيب ورقة وهو نصراني قد تجاوز المائة.

ـ قد يقول قائل أن رسول الله كان يمثل بما رآه، نقول هل يمكن لأشهر ممثلي هوليهود أن يغير نظارة وجهه إلى منتقع بدون أصداء بدون ماكياج ؟؟ نقول أن رسول الله بلغت به القدرة التمثيلية أن يغير الدورة الدموية في كيانه ؟؟ ولله الحمد الذي أسكت المتخرصين بهذا الذي حدث لمحمد صلى الله عليه وسلم.

شاء الله تعالى أن يقطع الوحي عن نبيه قيل ثلاث سنوات وقيل ستة أشهر، خُيلَ لرسول الله أنه ارتكب وزراً لهذا تحولت النبوة عنه، ولهذا كان يضيق صدره جدًا. ما لحكمة من تأخر الوحي ؟ حتى يكون ذلك إسكاتٌ لهؤلاء المتقَولين. هل المتمتع بالشفافية والعبقرية ينتابه هذا الضيق ويعود إلى إلهامات نفسه، باحثا عن هذه الشفافية في شعاب الجبال وعندما لا يجدها محولاً أن يلقي نفسه

منها ؟؟ هل يحدث هكذا معهم ؟؟ فالأفكار الداخلية تأتي وتذهب، والشفافية الروحية إلهام يأتي ويغيب. إذا حادثة بدأ الوحي من أولها إلى أخرها تكذيبا لتفسيراتهم.

- حالة النبي وقت نزول الوحي وإخباره خديجة وقد انتابه الخوف والفزع دليل صدق المصطفى صلى الله عليه وسلم.
- شهادة التاريخ من خلال ورقة بن نوفل، وكان أكبر رجل بمكة آنذاك وهي شهادة النصرانية واليهودية و التاريخ.
- الكرب والهم والحزن الذي انتاب الحبيب المصطفى عند غياب الوحي. ظنا من نفسه أنه ارتكب ذنبا أو إثما فغاب الوحي عنه.

إذن قصة بدأ الوحي هي الحكم العدل

تعريف الوحي الذي فوجئ به محمد صلى الله عليه وسلم من خلال الحادثة التي رويناها هو:

«تلقٍ من محمد صلى الله عليه وسلم لنبأ عن طريق ملك لم يكن له حظٌ في دفعه إليه ولا في رده عنه »

أي ليست مكتسبة.من الأدلة القاطعة أيضا على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وأنه كان يأتيه الوحي:

- حادثة بدأ الوحي كما شرحت.
- الملك الذي رآه رسول الله بعد مدة انقطاع الوحي على شكل آخر، وهو جالس على كرسي وقد ملأ ما بين السماء والأرض، ويقول له أنت رسول الله إلى الناس، وأخذه الهلع مرة أخرى عائدا إلى بيته يقول دثروني، دثروني.
- من الأدلة أيضا اختلاف الأسلوب بين القرءان والحديث.
- كثيرا ما كان النبي يسأل في أمر من أمور الدين فا لا يجيب، لأنه لا يعلم ولا يريد أن يأتي بشيء من عنده لا يعلم أهو مطابق لعلم الله أم لا ، حتى يأتي الوحي ليجيب عن السائل. مثلا عندما أراد اليهود اختبار صدق نبوته سألوه: عن فتية خرجوا من الدار ولم يعودوا لهم قصة، وسلوه عن رجل جواب في الأفاق ملك، وسألوه عن الروح. ذهبوا إلى الرسول وسألوه الأسئلة الثلاثة. فقال لهم تعالوا غدا أجيبكم. فرجعوا إليه في الغد، لم ينزل الوحي بعد يومين، ومضت أيام قيل خمسة عشرة يومًا حتى أخذ المشركين يشمتون برسول الله صلى الله عليه وسلم. حتى

أنزلت سورة الكهف لتجيب عن الفتية، وقصة ذو القرنين لإسكندر. وأما عن الروح قال الروح من أمري ربي وقال لا تقلن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلى أن يشاء الله. كلها أدلة أنه كلام الله

– أحيانا كان الرسول يجتهد في بعض الأمور حسب ما يمتلكه من علم في الشريعة، ويأتي الوحي ليخطئه. مثال ذلك لما جاءته امرأة اسمها خوله زوجة "أوس بن الصامط" قالت: يا رسول الله زوجي قال لي أنت مني كظهر أمي ماذا يترتب عن ذلك ؟ قال الرسول ما أُراكِ إلا قد حرُمْتِ عليه. قالت يا رسول الله لعله لا يريد طلاقًا ؟ قال الرسول ما أُراكِ إلا قد حرُمْتِ عليه. قالت إنَّ لي منه صبية، إن ضممتهم إليه ضاعوا،وإن ضممتهم إليَّ جاعوا. يرجع يفكر النبي ويقول لها: ما أُراكِ إلا قد حرُمْتِ عليه. فقامت وهي تقول أشكوا إلى الله أمري. وإذا بآيات تنزل في سورة المجادلة: « قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله سميع بصير » إلى أن قال: «الذين يظاهرون منكم من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا » إذن الظهار ليس طلاقا. وأرسل إلى المرأة يخبرها عن ذلك، ودعا زوجها وتلا عليه الآيات.

ـ وكلنا يعلم قصة الأعمى الذي وقف يستمع لكلام رسول الله وهو مع صناديد الشرك في مكة وهو يرى ربما هداهم الله إلى الإسلام. وهذا الضرير الفقير المسكين، أراد أن يشترك في الحديث سأل النبي سؤالاً. فلم يصغي إليه ليتركه فيما بعد أي ما أكثرت وسأله مرة ثانية ولم يكثرت منه. فذهب. فأنزل الله تعالى سورة كاملة عتابًا لرسول الله بشأن هذا الإنسان " عبد الله بن أم مكتوم " سورة عبس. الرسول صلى الله عليه وسلم بالنسبة لأمره لنا وحديثه معنا نحن البشر، كله حق وصواب، ويجب علينا أن نطيعه: «أطيعوا الله وأطيعوا الرسول» أما علاقة الرسول مع ربه فالله أن يُخَطِئَهُ. وتقول السيدة عائشة ما نزلت آية أشد على رسول الله صلى الله عليه وسلم من قول الله تعالى في حق متبناه زيد: «وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتقي الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه » وتقول السيدة عائشة لو كان الرسول مستخفيًا شيئًا من القرءان لأخفى هذه الآية. حيث أن البارئ نسخ نظام التبني الذي كان في الجاهلية. وأنه بعد طلاق زيد من زينب يتزوجها رسول الله، حتى ينتشر بين الناس أن نظام التبني ألغيا. كيف نقول بعد هذا أن الوحي شعور داخلي ؟؟؟

﴿المشهد السابع﴾

مرحلة بعثة المصطفى صلى الله عليه وسلم

تتابع الوحي إلى أن أنزل عليه قوله تعال:« يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر...» وهكذا بدأت بعثته صلى الله عليه وسلم على رأس أربعين سنة من حياته.

مراحل الدعوة من الآن فصاعدا هي كالتالي:

مرحلة الدعوة سرًا: قد استمرت ثلاث سنوات.

مرحلة الدعوة جهرًا: باللسان فقط بدون جهاد قتالي، واستمرت إلى هجرة النبي من مكة إلى المدينة المنورة.

مرحلة الدعوة جهرا مع قتال: للمعتدين والبادئين بالقتال أو الشر، واستمرت المرحلة إلى أن تم صلح الحديبية، هي مرحلة دعوة إلى الله تعالى مع مقاتلة المعتدين.

مرحلة الدعوة في كل أنحاء العالم: مع مقاتلة كل من يريد أن يقف في وجه الدعوة.

- **مرحلة الدعوة سرًا:** عندما أنزل عليه صلى الله عليه وسلم يا أيها المدثر قم فأندر، بدأ يدعو سرا قرابته الذين يثق بهم ويثقون به، دون أن يعلن دعوته هذه إلى العامة من الناس . وكان أول من دخل الإسلام في هذه المرحلة السيدة خديجة زوجة الرسول صلى الله عليه وسلم، ومعها علي بن أبي طالب، وزيد بن حارثة، الذي كان مولى رسول الله ومتبناه، وسيدنا أبو بكر بن أبي قحافة، وسيدنا عثمان بن عفان، وزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمان بن عوف، كلهم من الأوائل الذين دخلوا الإسلام. لما وصل عددهم الثلاثين اقترح عليهم رسول الله مكانا ليتلوا عليهم ما يتنزل عليه من القرءان، ويعلمهم أمور الإسلام وعقائده، والمكان هو دار الأرقم ابن أبي الأرقم، ووصل العدد إلى الأربعين تقريبا ودامت المرحلة ثلاث سنوات.

﴿تحليل المشهد﴾

1.**ما لحكمة من الدعوة سرا ؟** قال له المولى عز وجل يا أيها المدثر قم فأنذر الأمر عام ليس مقيد لا بالسر أو بالجهر ، ولكن أليس من الأولى وإن محمد صلى الله عليه وسلم يتق بربه، ويتق أن ربه سيوفقه مادام نبيًا، أليس من الأولى أن يدعو إلى الله جهرًا ؟ الجواب على هذا أن ابتداء الرسول الدعوة سرًا ليس خوفا على حياته ماعدا الله. هذا الموقف منه صلى الله عليه وسلم موقف تشريعي ،

ورسول الله صلى الله عليه وسلم مشرع، أي مبلغ شرع الله سبحانه وتعالى لناس. ولو بدأ بتبليغ الدعوة جهرًا لكتب في كتب الفقه أن الدعوة إلى الله عز وجل ماضية بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يوم القيامة، وأن الدعاة إلى الله الذين يخلفون رسول الله صلى الله عليه وسلم، ينبغي أن يجهروا بها كما جهر، ولا يجوز لهم أن يلجئوا إلى السر سواء في الضعف أو القوة، وفي هذا حرجٌ كبير. الناس بعد رسول الله متفاوتون في قوة الإيمان أي المسلمون وحتى في عهد رسول الله ليسوا على نفس الثقة من نصر الله وتأيده، أوضاعهم مختلفة وضع العدو الذي يتربص بهم متفاوت. ولهذا كان من لطف الله عز وجل عليهم أن فتح لهم مجال في أسلوب الدعوة، إن وجدوا أن الظرف خطير والأخطار تحدق بالمسلمين وأن الجهر بالدعوة يوشك أن يؤدي بالمسلمين فلهم أن يسروا بها، الدليل عمل رسول الله. وإن وجدوا أن الظرف مواتٍ لهم، وأن الجهر بالدعوة هو الذي يحقق المصلحة الدينية في حياة المسلمين إذًا ينبغي أن يجهروا. ومن هنا قرر الفقهاء وهم يتحدثون عن الدعوة إلى الله عز وجل أنه يجب على ثلة من المسلمين أن ينهضوا بواجب الدعوة إلى الله ويسلكون في ذلك السبيل الذي تقتضيه المصلحة الدينية، إن كانوا ضعاف سلكوا منهج السر في الدعوة منطلقه سلوك النبي. ويقول العز بن عبد السلام «فإذا لم تحصل النكاية بمقاتلة من يريدون أن يقاتلونا بسبب الدعوة إلى الله وجب الإحجام لما في الثبوت من فوات النفس مع شفاء صدور الكفار وإرغام أهل الإسلام وقد صار ثبوتهم هنا مفسدة محضة ليس في طيها مصلحة »

ـ قد يظن البعض أن حكم الشرع بالدعوة سرًا في مثل هذه الحالة، وحرمة مقاتلة العدو في مثل هذه الحالة أنها رحمة من البارئ لدعاة أي نبعد عن أنفسنا الأخطار. نقول لا. علة هذا الحكم استنادا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المحافظة على الدين وأن لا نجعله ضحية خطئِنَا. وإذا علمنا أن الدين سيبقى متألقا ولكن نحن سنقتل، ففي هذه الحالة مرحبًا بالقتال لا مانع. إذن لاحظوا الفرق.

2.نلاحظ أن الأوائل الذين دخلوا إلى الإسلام هؤلاء الأربعون، إذا نظرنا إلى مستواهم وهويتهم نجد أن معظمهم فقراء، أو عبيد لا يُؤبه بهم، ليس فيهم واحد من الصناديد أبدًا ما لحكمة ؟ في الحقيقة هذا شأن جميع الرسل الذين جاءوا قبل محمد صلى الله عليه وسلم ويروي لنا المولى حديث قوم نوح عليه السلام قال: «ما نراك إلا بشرا مثلنا وما نراك إلا اتبعك الذين هم أراذلنا» هذا كلام الصناديد في عهد سيدنا نوح. وعن أتباع سيدنا موسى في قوله تعالى: «وأورثنا القوم الذين كانوا

يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها» السبب أن الفقير من الناس الذي لا تكتب له شهرة بين الناس، حمله خفيف لا يجد عندما يقتنع بدعوة النبي ويقتنع بالحق الذي يصغي إليه ما يحجزه عن الاستجابة لهذا الحق. ودعوة الرسل جميعا أن يعرف الناس هويتهم. عبيد مملوكين لله تعالى، إذا عرفوا ذلك جعلوا عبوديتهم لله موضع التنفيذ، أن يعرفوا أنهم عبيد لله بالسلوك الاختياري، كما عرفوا أنهم عبيد لله بالسلوك الاضطراري . هذه الدعوة تصطدم مع كبرياء المستكبرين، ومشاعرهم تتناقض مع الذي بعث به الرسل والأنبياء، بينما الفقير والعبد والمسكين فإن هذه الحقيقة يتقبلها بيسر وسهولة لأنها متفقة مع مشاعره، وهي خفيفة الحمل. وهم أسرع استجابة لنداء الله تعالى. لهذا نجد هذه الفئة هم طليعة المستجبين لنداء الرسل. ومن الماديين من قال أن هؤلاء الضعفاء دخلوا هذا الدين من أجل الانتقام لهؤلاء الصناديد يوما ما لا لأجل نصرة هذا الدين. لأنهم يقولون بأن الطبقة الكادحة تكون دائما حاقدة على الإقطاع والرأس ماليين الجشعين وما إلى ذلك.، ومن ثم ينتهزون فرصة المبادئ والأخلاق والدين وما إلى ذلك ليجعلوا من ذلك سلما ينقضون به على هؤلاء الناس. ودائما الثورات قامت بسبب هذا الأمر. مثل ثورة بليوتاريا الكادحين على الإقطاع. الجواب على ذلك هو التالي: الواقع أن كل الذين سمعوا كلام محمد صلى الله عليه وسلم وأصغوا إلى ندائه ، بعد أن عرفوا من هو وأصغوا إلى الآيات القرآنية التي تتنزل عليه، كلهم كانوا مؤمنون بأنه صادق ، وهذا جامع مشترك بين المستكبرين وبين المستضعفين، إلاَّ أن المستكبرون غصوا بما آمنوا وصدق فيهم قول الله عز وجل: «وجحدوا بها واستيقنتها نفوسهم ظلمًا وعلوًا» والمستضعفين هم مؤمنون ولا يجدون ما يحملهم على أن يخفوا إيمانهم هذا. وحياة محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه عملوا أن ينفضوا أيديهم من هذه الدنيا لا تمنعهم الوصول إلى الله عز وجل.

ـ الصحابي "ربعي بن عامر" من أبسط جنود "سعد بن أبي وقاص " في غزوة القادسية، أرسل إليه "رستم" قائد الجيش الفارسي أن أرسل إلينا ضابطا من عندكم حتى نفاوضه في أمر القتال الذي بيننا وبينكم، فأرسل له الجندي "ربعي بن عامر" فذهب وكان قائد الفرس قد أقام قصرا مزخرف بالأَلِأْ التي تذهب بالأبصار ما أخذ بها بل اشمأز من ذلك وجعل زج رمحه إلى الأرض، وأخذ يتوكأ بقوة على البسط حتى لمس جميع البسط بزج الرمح، فوجد رستم عن يمينه وأناس أمامه راكعين له، نظر فضحك وقال:" كنا نظنكم أصحاب أحلام أي ذوي عقول، ولكن ما رأيت قومًا أسخف منكم، ظننت أنكم تتواسون وتتساوون كما نتواسى ونتساوى وما ظننت فيكم آلهة تعبد وأناس

يعبدون" . هذه الكلمات رأسا قدحت زناد الثورة في نفوس الراكعين. وهؤلاء الكبار لفت نظره أحدهم إلى الثاني قال: لقد رمى العربي بكلمة مازال سفهائنا وأراذلنا تنزع إليها.

هذا هو السبب أن المستضعفين دائما هم الأقرب لمعانقة الحق.

﴿المشهد الثامن﴾

مرحلة الدعوة جهرًا

تحدث الناس عن الدعوة بين منكر لها ومستهزئ خلال هده المرحلة أنزل الله تعالى لرسوله آيات يأمره أن يصدع بالدعوة في قوله تعالى: «فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين إنَّ كفيناك المستهزئين» وخلال تلك الأيام أنزل الله تعالى عليه قوله: «وأنذر عشيرتك الأقربين واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين». فقام المصطفى صلى الله عليه وسلم يصدع بالدعوة انتقلت الدعوة من السر إلى العلن، حيث خرج المصطفى ووقف على جبل الصفا، وأخذ ينادي بطون مكة وقبائلها قبيلة قبيلة يناديها بأعلى صوتها، فجعل الناس يسرعون للاستجابة. محمد يدعوا الناس، وليس من شأنه ذلك لا بد أن هناك خطر أو شأن جعله يدعوا الناس، لما اجتمع حوله الناس على اختلاف قبائلهم وعشائرهم وفئاتهم قال:

«أرأيتم لو أني أخبرتكم أن خيلاً في بطن هذا الوادي تريد أن تغير عليكم أمصدقي أنتم» قالوا: «ما جربنا عليك كذبًا» قال: «إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد» وأخذ يختصر الدعوة التي أمره الله تعالى أن يبلغها جهرًا. فصاح أبي لهب بأعلى صوته: تبًا لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا ؟ فأنزل الله تعالى في شأنه: «تبت يدا أبي لهب وتب ما أغنى عنه ماله وما كسب سيصلى نارًا ذات لهب» والنبي بدأ الدعوة بأسرته حيث دعا بني كعب بني لؤي، و بني مرة بن كعب، بني شمس، بني هاشم، بني عبد المطلب، منفدا أمر البارئ عز وجل وأندر عشيرتك الأقربين قائلًا لهم: «يا بني كعب بن لؤي أنقدوا أنفسكم من النار، يا بني عبد مرة أنقدوا أنفسكم من النار، يا بني عبد المناف أنقدوا أنفسكم من النار يا بني عبد المطلب أنقدوا أنفسكم من النار، يا فاطمة بنت محمد أنقدي نفسك من النار، فإني لا أملك لكم من الله شيئا إلا رحما سأصلها بما أستطيع» وهكذا استجاب الرسول لأمر ربه.

ردة فعل المشركين: أنهم اعتذروا بادئ الأمر، وأنهم مرتبطون بتقاليد، وهي ثرات الآباء والأجداد منذ عدة قرون، المتمثل في عبادة الأصنام. وأنزل الله عز وجل هذه الآية التي تلاها على مسامعهم: «وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله، وإلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئًا ولا يهتدون» لما سمعوا هذا الكلام اهتاجوا وجرحهم لأنه تسفيل لآبائهم وأجدادهم .

عندها تحولوا من الاعتذار السلمي إلى الإيذاء.

﴿تحليل المشهد﴾

لا حظنا في هذا المشهد مفاجأة المشركين بالدعوة التي أعلنها الرسول محمد وأصدعها مايلي:

1.المشركين فوجئوا بهذا الذي دعاهم إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، دعاهم إلى نبذ ما كانوا عليه من عبادة الأصنام التي ورثوها عن آبائهم وأجدادهم، لا حظنا ذلك من أبي لهب وقوله: تبا لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا ؟نفهم من ذلك أنه لم يكن هناك أي تواطأ بين المشركين ودعوة رسول الله كما يقول المرجفون، الكاذبون المستشرقون، الحاقدون والمدجلون. قالوا:

إنَّ هذا الذي نهض به محمد عليه الصلاة والسلام من الدعوة أمرٌ اتفق به مع قومه لكي يستلما السيادة من الأعاجم إلى العرب بالجزيرة العربية. ونجد هذا في كتاب "لفانك فلوتينق" اسمه السيادة العربية كتب، أن سيدنا محمد أعلن هذه الدعوة بعد أن اتفق مع صناديد مكة ورؤسائها على أن ينقلوا السيادة من الأعاجم إلى العرب. ورأينا بالمقابل موقف أهل مكة في مختلف قبائلهم وفئاتهم أنهم فوجئوا بهذا ولم يتوقعوه.

1. الاستنكار والمحاربة، والوقوف في وجه هذه الدعوة، في البداية اعتذار فمجابهة ثم إيذاء وقتال. وكل ما يقال عن محمد وسيرته نضعه في ميزان الرؤية العلمية، إذا كان هذا الإعتراض أو هذه النظرية أو التصور يؤيده العلم فنحن نؤيده، أما إذا رأينا أن الوضع التاريخي يرده يرفضه العلم فنحن نرفضه، ومضطرون أن لا نقبله لأن العقل يرفضه. كلام هؤلاء الأجانب مرفوض، ورفض عندما وضع تحت مجهر البحث والنظر.

2. المولى عز وجل أمر رسوله أن يصدع بما يؤمر ويعرض عن المشركين وأنه كفاه المستهزئين، وهذا يقتضي منه أن يعلنها أمام القاصي والداني.

والسؤال المطروح ما سبب قوله له وأنذر عشيرتك الأقربون، البارئ عز وجل أمر ا لرسول أن توجه دعوة خاصة لعشيرته الأقربين. الحكمة من ذلك ما يلي: أن الدعوة إلى الله سواء من الرسول أو عامة الناس لها ثلاث مراحل هي:

ـ أن يدعو الإنسان نفسه من تقويم للعقيدة وغرس حقائق الإسلام في الفكر، وملأ الفؤاد بالعاطفة الإيمانية المتوهجة، ثم مراقبة السلوك. وتلقى رسول الله هذه الدعوة عندما توقف الوحي، عندها تحقق من الدعوة إلى الله في حق نفسه.

ـ المرحلة الثانية دعوة الأسرة والأقربين، من سماهم الرسول صلى الله عليه وسلم خاصتك وهذا ما أمر به الله عز وجل رسوله أن أنذر عشيرتك الأقربين.

ـ دعوة الناس بإتباع هذه المراحل يكون التوفيق من الله عز وجل.

3. المشركين اعتذروا لرسول الله من إتباع هده الدعوة بحجة أنهم لا يستطيعوا ترك التقاليد التي ورثوها من آبائهم وأجدادهم، والبارئ عز وجل ناقشهم في قوله تعالى: «وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله، وإلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئًا ولا يهتدون» عندها غضبوا من هذا القول على أنهم سفهاء. هذا الكلام الرباني الموجه للمشركين دليل على أن الله عز وجل يحذر من إتباع التقاليد، والإسلام يحارب ما يسمى تقاليد وثرات. إن الله تعالى كرم الإنسان بالعقل عليه أن يستعمله بوضع كل ما يطلب منه تحت المجهر، رأيته حقا أسلك سبيله، وإن رأيته لا يتفق مع العقل ضعه وراءك ظهريًا وفي الإسلام لا يوجد ما يسمى تقاليد.

والتقليد أن يرى الإنسان عادات موروثة من جيل سابق يستأنس الناس بها لأن آباؤهم وأجدادهم ساروا عليها، أي اللاحقين يقلدون السابقين وهكذا. عليك أيها الإنسان أن تحاكم هذه السلوكات إلى رشدك. هكذا يربي كتاب الله تعالى عباده إذا كلمة "تقاليد إسلامية" كلمة مدسوسة لا وجود لها في قاموس ديننا ولا في معتقداته، ولا سلوكاته. كذلك كلمة " ثرات الآباء والأجداد" وإسلامنا يحارب بأمثال هذه الشعارات التي يعطى لها هالة من الإعجاب والتقدير، لكنه كالقنبلة الموقوتة، في لحظة محددة ينفجر هذا الشعار بالدمار على الإسلام وحقائقه.

إن الجيل الحالي تشبع من كلمة الحرية في وقت من الأوقات تشمئز نفسه من كلمة التقاليد والعادات ومن ثم محاربة التقاليد الإسلامية لأنها تتنافى مع الحرية. ديننا يحارب العادات والتقاليد، وهذا ما يجعلنا نرفع رأسنا عاليا به، ويقول لك أنت أكرم من أن تغمض عينيك وتصفد يديك وتتبع

من كان قبلك دون أن تستبين أن ذلك النهج الذي ورثته من الأجيال السابقة حقٌ أم باطل، فكر لا تقفوا ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولائك كان عنه مسئولا.

وأنت آمنت بهذا الإله الذي تعلمت منه دلائل وجوده ووحدانيته، وآمنت أن هذا القرآن كلام الله، إذا أنت آمنت بأن الله عز وجل لم يأمرك إلا بما هو خير لك، ولم ينهاك إلا بما هو شرٌ لك، عرفت ذلك أم لم تعرف.ورحم الله "العز بن عبد السلام" يقول في مقدمة كتاب له اسمه "قواعد الأحكام بمصالح الأنام " يقول:" اعلم أنه كلما قرأت في كتاب الله قول "يا أيها الذين آمنوا "أو "يا أيها الناس" اعلم انه يجب عليك أن تصغي السمع جيدًا إلى ما بعد هذا النداء، فإنه لن يأمرك إلا بما فيه خير لك، ولن ينهاك إلا عن ما هو شرٌ لك "

﴿المشهد التاسع﴾

مرحلة الدعوة جهرا مع الإيذاء

الحديث عن إيذاء المشركين لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللقلة الذين اتبعوه نكتفي فيه بنماذج من ذلك: ـ ما رواه "عبد الله بن عمرو بن العاص" «أنَّ النبي محمد صلى الله عليه وسلم كان في بيت الحرام بالقرب من الكعبة، وإذ "بعقبة بن أبي المعيض" واحد من أشد أعداء الرسول ورأى الرسول قد أقبل فشده على ثوبه من رقبته كاد أن يخنقه، وجاء أبو بكر رضي الله عنه ودفع عقبة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلًا: أتقتلون رجلًا أن يقول ربي الله ؟ »

ـ من ذلك أيضًا أنَّ النبي كثيرًا ما يجلس حول الكعبة المشرفة، كان ساجدًا هناك جاء "عقبة بن أبي المعيض" أيضًا باسلا الجذور أي الكرشة بكل ما فيها من أقدار جرها وألقاها على رأس الرسول الشريفة وبقي الرسول صلى الله عليه وسلم هكذا، إلى أن جاءت فاطمة رضي الله عنها ابنته وألقتها جانبا ودعت على من فعل هذا.

ـ من ذلك أيضًا ما رواه"الطبراني" أيضًا أنَّ المصطفى صلى الله عليه وسلم بينما يسير في سكك مكة المكرمة، وإذ بمجموعة من المشركين قد تعمدوا جمع الأتربة والأوساخ وألقوها عليه من علو عند مروره صلى الله عليه وسلم، وعاد إلى البيت والتراب قد لبسه من الرأس إلى قدمه، وأخذت إحدى بناته تغسل التراب من رأسه وهي تبكي، فقال لها رسول الله لا تبكي، فإنَّ الله مانعٌ أباكِ.

أما عن إيذاء أصحابه، فقد تجرع كل واحد منهم ألوان كثيرة، حتى مات منهم من مات تحت العذاب، ومرض من مرض وعميا من عمي. أصابهم ضنكٌ شديدٌ في الواقع. والحديث طويلٌ عن هذا كله. نضرب مثلا: "خباب بن الأرث" كان رقيقا، وهو من السابقين للإسلام وسيدته امرأة مشركة، كانت تعذبه كل يوم بالنار، تحمي قطع الحديد وتكوي بها أطرافًا من جسد الخباب، وتدعوه للعودة إلى الكفر. وتجاوزت الشدة لديه ونفد صبره في يوم من الأيام. يقول الخباب جئت رسول الله يوما ووجدته بالكعبة مسندًا ظهره. فأراه الخباب شيء من جسده مكويًا بالنار فقال لرسول ألا تدعوا لنا ؟ كان الرسول متكئًا

فاستوى جالسًا واحمر وجهه وقال: «والله لكان الذين من قبلكم ليمشط أحدهم بمشاط من حديد بين فرخه وقدمه لا يثنيه ذلك عن دين الله شيئًا، والله لينصرن الله هذا الدين، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضر موت لا يخاف إلاَّ الله»

﴿تحليل المشهد﴾

مالحكمة من هذه الظاهرة ؟ نحن لا نشك في محبة الله تعالى لرسوله، وثناء الله لرسوله في القرآن مقروء ومعروف. إذن لماذا ترك الله أيدي المشركين تفعل من إيذاء برسول الله صلى الله عليه وسلم. الجواب:

– هناك قانون عام يسري على الرسل وعلى الأنبياء، والصالحين والأولياء وعلى عامة الناس، أنَّ الإنسان عبدٌ مملوك لله عز وجل، والمطلوب من العبد الذي يعيش فوق هذه الأرض أن يعلن عن عبوديته لله عز وجل. كيف يتم ذلك ؟ لو كنت تتمتع بالنعيم المقيم الصافي عن الشوائب، صحة وافرة، دارٌ مترفة، الأثاث رائع، الأمن مستتب، الطعام من أطيبه، المتع المختلفة كلها موفورة، عندها لن تفوح رائحة عبودية لله وأنا أتمتع بهذه الحياة الرَّخية. ولكي تتجلى عبوديتي لله ينبغي أن أخضع لسلطان التكليف، أي أكلف بأوامر ونواهي وأنقاد لها، وينبغي أن تكون هذه الأوامر والنواهي فيها شيء من الجهد والمشقة عند التطبيق هنا تفوح رائحة عبوديتي لله عز وجل. ويتجلى هذا القانون في قوله تعالى «أم حسبتم أن تدخلوا الجنة، ولما يأتكم نبأ الذين خلو من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين معه متى نصرُ الله ألا إنَّ نصر الله قريب»

هنا ألفت نظركم إلى حقيقة وهي عندما نرى المسلمون وهم يسيرون في طريق الدعوة إلى الله وتصادفهم العقبات، والآلام والأذى، فإن أصحاب العقول والنظرة الثاقبة يواصلون المسيرة إلى إقامة نهج الله تعالى. وبمقدار ما تجد في طريقك من آلام وأنت تصبر عليها، فاعلم أنك تتجاوز الطريق إلى الغاية، والعكس صحيح. لأن درجات النصر هي درجات أذى ومتاعب، وهي سنة رب العالمين والدليل الناطق لهذا: الرسول صلى الله عليه وسلم بشر أصحابه أنه ستفتح لهم مغاليق الدنيا ، بلا د كسرى ، لما أمسك الرسول بيد سراقة وقد جاء ليقتل رسول الله: قال إن يدك هذه لم تخلق لتقتل بها نبيًا، كيف بك إذا فتح الله على المسلمين بلاد فارس، وألبسك سواري كسرى. السؤال لماذا لم يشأ البارئ أن تفتح بلاد فارس بيد رسول الله وهذا شرفه ؟ السبب أن المسلمين لم يكونوا قد دفعوا الأقساط التي لا بد منها من ثمن هذا النصر. في عهد عمر دفعت الأقساط ومن تم جاء النصر.

– أ) المصطفى صلى الله عليه وسلم لو شاء لدعا ربه وقد اشتد به الأذى أنه لا يستطيع، وأن ينقده من هؤلاء الذين يعادونك ويعادونني لا ستجاب الله له، والدليل لما طرد الرسول من الطائف، وجاءه ملك الجبلين وقال له لو شئت أأمرني أن أطبق عليهم الجبلين. النبي ما أمر. وفضل رسول الله أن يشبع يومًا فيحمد الله ويجوع يوما فيسأله وكان من دعائه صلى الله عليه وسلم: «اللهم أحيني مسكينًا، وأمتني مسكينًا واحشرني في زمرة المساكين».

ب) الحكمة الثانية أن رسول الله لو دعا ربه أن يبعد عنه الأذى فاستجاب الله له فإن الاستجابة تكون خاصة به هو. إذا أنظروا الآن لحب رسول الله وعطفه على أمته، لأن الدعاة الذين يأتون من بعده يتعرضون لقانون الله وينالهم الأذى، حتى تظهر قيمة انقيادهم لأوامر الله وعبوديتهم له. ربى قائل منهم يقول بفكره أو بلسانه ما بال النبي ما أصابه ما أصابنا ، هو سار على هدا الطريق إلى الغاية نفسها آمنا مطمئنًا، محفوفًا بعناية الله. والنبي المحب لأمته العطوف عليهم قال: «إذا كان الدعاة من بعدي سيتجرعون كأس الفقر، فينبغي أن أكون أولهم تجرعًا لهذا الكأس، إذا كان الدعاة إلى الله سيقعون في مغبة الطرد من أوطانهم فا لأكن أنا أول من يطرد من وطنه في سبيل الله عز وجل، إذا كان من الدعاة إلى الله من بعدي من يناله الضرب والشتم وتسيل الدماء من جسمه فا لأكن أنا أول من يصاب بهذا» وهكذا نجد الدعاة يقولون الآن إن ما أصابنا من الأذى لا يساوي عشر ما أصاب نبينا محمد وما أصابه من الفقر شيء تافه بالنسبة لما أصاب النبي محمد حيث كانت تمضي الليالي الطويلة ولا يستوقد في بيت رسول الله نار لطعام.

ج)الرسول صلى الله عليه وسلم يتهم على ألسنة الخراصين والدَّجالين من أعداء الله والرسل، أنه يجعل من الدعوة التي اصطنعها سلمًا للملك وبلوغ الرئاسة. شاء الله عز وجل أن تسير حياة المصطفى مناقِضَةً مُنَاقَضَةً حادة لهذا الذي يفتريه أعداء الله ورسوله ، متى وصل رسول الله إلى هذا العرش الذي يحلم به ؟؟ أعندما هاجر إلى المدينة ؟أبدًا عندما وضعت الحرب أوزارها في صلح الحديبية ؟أبدًا، أم قبيل وفاته ؟ لا وألف لا توفي رسول الله ودرعه مرهونة.

دخل "عدي بن حاتم الطائي" وهو مثل لاجئ سياسي بالشام للمستعمرة الرومانية، كان يحلم دائما بالملك،لكن عندما جاء رسول الله إلى المدينة وآمن أهلها به، ضاق درعًا ورحل إلى الشام، والناس هناك يتحدثون عن محمد ورسالته. فقال في نفسه لماذا لا أذهب إليه وبإمكاني أن أعرفه، إن كان ملكا اتبعته، وإن كان نبيًا صدقته. وهذا قبيل وفاة الرسول. يقول عدي ذهبت إلى المدينة ودخلت المسجد وكان فيها رسول الله، سلمت عليه. فقال من الرجل ؟ فقلت:" عدي بن حاتم الطائي" فأخذني ومضى بي إلى السوق وبعد ذلك إلى داره. قال ونحن في الطريق وإذ بامرأة عجوز ضعيفة، استوقفته فوقف لها طويلاً. يقول عدي فقلت في نفسي والله ما هذا بشأن ملك. ثم عمد بي إلى داره. فدخلت داره ليس بها شيء سوى حشيا محشوة ليف، قذفها إليَّ وجلس هو على الأرض، قلت في نفسي والله ما هذا بشأن ملك. علم عدي أن محمدًا ليس طالب ملك أو جاه أو غنى، وإنما هو رسول الله حقًا فأمنت به.

محمد هو رسول ينفذ أمر ربه، ويتحمل في سبيل ذلك كل ما يأتيه في سبيل مرضاة الله سبحانه وتعالى

ـ شاء الله تعالى أن تكون المفاوضات لسانًا آخر أن محمد نبيًا مرسلاً من قبل الله عز وجل إلى قومه.

﴿المشهد العاشر﴾

مرحلة المفاوضات

ـ استمر الأذى ردحا من الزمن فكرت قريش واجتمعت قريش ورأت أن هذا الأذى ما زاد محمد إلاَّ تباتًا عند شأنه. فتعالوا نفاوضه. العقلاء من المشركين مثل " عتبة بن ربيعة" وغيره قالوا هذا الرجل فيه مزايا كثيرة تعالوا لنسترضيه قد يكون يريد مالاً، لنتركه يكون ملكًا علينا، دون أن يسفه آلهتنا، فاتفقوا على هذا. وأرسلوا له شيخًا مسنًا اسمه " عتبة بن ربيعة " جلس إليه وقال له:

لقد جئت قومك بهذا الذي جئت به، سفهت آباءهم وعبت آلهتهم،وفرقت جمعهم فاسمع أعرض عليك أمورًا لعلك تقبل بعضًا منها. فقال له الرسول قل يا أبا الوليد فإني أسمع. قال: إن كنت جئت بما جئت به، تريد مالا أعطيناك من أموالِنا حتى تكون أغنانا، وإن كنت تريد ملكًا ملكناك فلا نقطع لك بأمر، وإن كنت تبتغي نساءً زوجناك من أجمل أبكارنا، وإن كان هذا الذي يأتيك مس من جن، دعونا إليك الأطباء لينظر ما بك. فلما انتهى قال أفرغت يا أبا الوليد ؟ قال نعم. فقال الرسول:

« بسم الله الرحمان الرحيم "حم (1) تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (2) كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (3) بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ (4) وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ (5) قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ (6) " واستمر الرسول يتلوا الأيات التي تتضمن فعلاً جوابا لأسئلته إلى أن وصل إلى قوله تعالى " فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ " عندها انقض أبا الوليد على رسول الله واضعًا يده في فم الرسول قائلاً له: " ناشدتك الرحمة أن تصمت " دليل خوفه وعلمه أنه ليس كلام بشر. فقال الرسول هذا ما لدي. عاد عتبة إلى قومه. فقالوا له ما وراءك يا أبا الوليد قال: " ورائي أني سمعت قولا ما سمعت بمثله قط والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا الكهانة يا معشر قريش أطيعوني، وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه. فو الله ليكنن لقوله الذي سمعته منه نبأٌ عظيم، فإن تصبه العرب فقد كُفِتُمُوه، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم " وكان جواب إخوانه المشركين قالوا: سحرك يا أبا الوليد بكلامه.

يروي الطبراني وابن كثير أنهم أرسلوا نفرًا آخر غير عتبة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يغرونه من جديد فأجابهم بنفس الجواب الذي كان لعتبة

ورجعوا إليه مرة أخرى مقترحين عليه حلاً: نعبدُ إلهك يومًا، وتعبُدُ إلهنا يومًا. وهو حلٌ يستجيب إليه السياسيون أما رسول الله مرسلا من قبل ربه، يستجيب لما يأمره به ربه عز وجل، فأنزل على رسوله هذه الآيات وأمره أن يخاطب بها هؤلاء: «قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (1) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (2) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (3) وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ (4) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (5) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ (6)»

لم ييئسوا عادوا وأرسلوا إليه من زعمائهم المشهورين باللباقة أي الدبلوماسية كما نقول اليوم، يغرون رسول الله بكل ما يمكن أن يطمع به الإنسان من البشر. فأجابهم هذا الجواب الذي أيئسهم:

«ما بي ما تظنون ما جئتكم بما جئتكم به أبغي مالًا ولا الشرف فيكم ولا السؤدد عليكم، ولكن الله عز وجل بعثني إليكم رسولاً وأنزل عليَّا كتابًا، وأمرني أن أكون بشيرًا ونذيرًا، فبلغت لكم رسالة ربي ونصحت لكم ، فإن تؤمنوا فذلك حظكم مني وذلك حظي منكم، وإن ترفضوا أصبر لحكم الله حتى يقضي الله بيني وبينكم». فأجابوه جواب المستهزئ المستهتر:

فإن لم تقبل ذلك منا فإنك قد علمت أن في الناس لا يوجد من أضيق بلدا، ولا أقل ماءًا ولا أشدَّ عيشًا منَّا، سل لنا ربك أن يوسع علينا هذه الجبال وسله أن يفجر لنا ينابيع هنا وهناك حتى تكون أرضنا مثل أرض الشام والعراق. وسل لنا ربك أن يبعث لنا من مات من آبائنا، حتى نستشهد هم بكلامك، وليكن منهم " قصي بن كلاب " لأنه رجل صدوق. ثم سل ربك أن يكرمك بالقصور الذهبية، والحياة الرغيدة وما إلى ذلك. لأن هذا الذي نراه في حياتك من البساطة والفقر وما إلى ذلك، يتناقض مع هذا الذي جئتنا به.

فقال لهم رسول الله: " ما أنا بفاعل وما أنا بالذي يسأل ربه هذا "

وقالوا له : " إننا قد كشفنا فوجدنا باليمامة رجل اسمه الرحمان يعلمك هذا الكلام وإننا لن نؤمن بهذا الرحمان أبدا" وانتهت المفاوضات بهذا الشكل.

﴿تحليل المشهد﴾

يتضمن هذا المشهد ثلاث دلائل هامة جدًا ينبغي أن نبينها:

- **الدلالة الأولى:** هناك احتمالات تطوف بكثير من أذهان بعض الناس منها محمد رسول الله ما هي هويته ؟ ما حقيقته ؟ لعله كان يطمع بكرسي أي يطمح إلى الملك. ولعله كان يبحث عن كنزٍ مالي ينعم به ويعيش به عيش المترفين. لعله يريد أن يحيا ميراث أجداده. هذه الاحتمالات طافت بدهن أولائك المشركين، وهي تطوف اليوم بدهن محترفي الغزو الفكري بل يصطنعون هذا في شخصية رسول الله صلى الله عليه وسلم، ليلبسوا على المسلمين هوية المصطفى صلى الله عليه وسلم منهم " فاك فلوتينق " و "كليمار ".

ربنا عز وجل يا عجب كيف صاغ حياة رسول الله وكيف سَيَّرَه في الطريق الذي اختطه الله عز وجل له، من أجل أن تتقطع ألسنة هؤلاء المتخرصين الذين يزيفون شخصية الرسول محمد صلى الله عليه وسلم.

- المشركين كانوا على علم أن محمد لن يقبل هذه العروض منهم. إذا لماذا عرضوها عليه ؟ لأن الله عز وجل ألهمهم أن يعرضوا كل هذا على رسول الله.

كي تتجلى شخصية المصطفى وتتبين هويته وكي يعلم الناس إلى يوم القيامة من هو محمد صلى الله عليه وسل؟ حكمة إلاهية غريبة وعجيبة. رسول الله لم يكن طالب زعامة أو مال أو نساء.

لعل واحد من هؤلاء المحترفين للغزو الفكري يقول: هذه لباقة من محمد تسامى أثناء المفاوضات من أجل أن يزدادوا تعلقًا به، ولكنه فيما بعد وصل إلى هذا الذي تظاهر بزهده فيه. ربما يقول قائل هذا الكلام. نجيب متى وصل الرسول إلى شيء من هذا الذي عرضوه عليه ؟ حياته السلوكية إلى أن التحق بالرفيق الأعلى كانت مصداق كلامه، وسنجد من خلال دراستنا لسيرته صلى الله عليه وسلم كما طلب من ربه أن يشبع يوما فيحمد الله، ويجوع يوما فيسأل الله. وظلت حياته كما دعا ربه، اللهم أحيني مسكينًا وأمتني مسكينًا، واحشرني في زمرة المساكين.

- **الدلالة الثانية:** هي أننا قد نجد أنفسنا أمام سؤال يطرحه بعض المهتمون بالدعوة إلى الله. ويقول قائل محمد نبي لا نشك في نبوته، ولا نشك أنه قد بعث من أجل عقيدة وتشريع ومبادئ، ونحن نعلم أن الناس اليوم والذين يحملون مذاهب يودون فرضها على مجتمعاتهم، والأحزاب التي تحمل ألوانا من حياة اقتصادية اجتماعية فكرية. ما هو الطريق الذي ينبغي أن يسلكوه لفرض مبادئَهم ومذاهبهم وأفكارهم ؟ هو الوصول إلى الحكم. كل الفئات التي تتبنى اليوم فلسفة معينة في الحياة أسلوب معين في النظام الاقتصادي أو الاجتماعي يتخذون في تطبيق أفكارهم وفلسفاتهم سلم الحكم

- هناك من يقول لماذا سيدنا رسول الله لم يقبل الحكم حيث يتخلى على مبادئه، وعندما يصل يفرضها عليهم فرضا دون قتال أو مواجهة ؟ وهناك من الدعاة إلى الله عز وجل من يسلك هذا المسلك. يتصورون أنَّ الإسلام كي يطبق والشريعة الإسلامية كي تكون هي الحاكمة، ويصطبغ الناس بالسلوك الإسلامي، ينبغي لدعاة إلى الله أن يتسللوا إلى أماكن الحكم. هؤلاء يمكنهم أن يسألوا لماذا النبي لم يعمل هكذا وأبواب الحكم فتحت أمامه. الجواب عن هذا هو:

أنَّ الله عز وجل كما أمر رسوله صلى الله عليه وسلم بتحقيق الغاية التي بعث بها وهو نشر دين الله عز وجل في الأرض أمر أيضًا بإتباع الوسيلة المشروعة لذلك، أي كما تعبد ربه بالغايات تعبده أيضًا بالوسائل إليه. فلا يجوز أبدًا أن نقول أن المسلمين مكلفين بتطبيق العقيدة الإسلامية واصطباغ المسلمين بالصبغة الإسلامية، فليتخذوا في ذلك السبيل الذي يشاءون لا يهم، أن يقفزوا يمينا شمالا يداهنوا...المهم أسلك طريقً يوصلك إلى الغاية. هل هذا الكلام في ميزان الشرع ؟؟ لا. ربنا عز وجل كما تعبدنا أي أمرنا بتحقيق الغايات من الدعوة إلى الله عز وجل ومن نشر الإسلام والتعريف به، تعبدنا أيضًا بالسبل التي شرعها إلى ذلك، كما أنَّ الغاية شريفة، ينبغي أن تكون الوسيلة إليها أيضًا شريفة.. أمثلة ذلك:

- واحد من الناس يقول أنا أعيش مع أناس منحرفين لا يحلِلُون حرما ولا يلتزمون بواجب، إذا كشفت نفسي لا أستطيع أن أقوم بشيء، إذا المصلحة تقتضي أن أجلس معهم وأن أسكت عن المحرمات التي يرتكبونها، إذا لكي أصل عليَّ أن أغض النظر. هل هذا مقبول عند الله ؟ لا. لو كان هذا جائزً لكان الرسول أولى بهذا

- لو أن الفتاة في أوروبا أجبرت أن تكشف ما أمر الله بستره، في الجامعة أو غيره. هناك من يقول لكي تكون أنشطتنا حاضرة في أوروبا، ولكي يكون وجودنا الإسلامي حاضر، ونصبغ أوروبا بصبغة الإسلام ينبغي أن نتجاوز هذه النقطة، ولا بأس أن تزيل الحجاب. كي تتمكن من أن تنشط مستقبلا.

- مثال آخر امرأة دخلت الإسلام وزوجها كافر الحكم أن لا تبقى تحت عصمته، ويأتي من يقول المصلحة تقتضي بقاءها مع زوجها ليس لها مكان تلتجئ إليه، وتتبعثر الأسرة، ونغير الوسيلة من أجل هذه الغاية. لكن النص صريح ولا يجوز ذلك. هل أنت تأتي لتصحح كلام رب العالمين لا ينبغي لك هذا، رب العالمين وضعك أمام سلسلة وسائل ينبغي أن تلتزم بها. و لك في رسول الله أسوة حسنة.

المجلس الأعلى الأوروبي المختص للفتوى، ومعظم المنظمين إليه بعيدين عن الفقه، حيث أفتوا لامرأة دخلت الإسلام البقاء مع زوجها، وكانت أشد غيرة منهم للإسلام، ولم تقتنع بفتواهم تلك.

نقول أيضًا لو كان هذا جائزً لكان الرسول أولى بهذا. لقبل الملك ليجعله خادمًا للهوية الإسلامية، خادمًا للغاية التي بعث بها. لكن الرسول لم يفعل ذلك لأنَّ الله تعالى لم يأذن له بذلك.

إذن هذا الذي يتصوره بعض المسلمين خطأ، حيث أن الله عز وجل شرع لنا الغايات وشرع لنا أيضًا الوسائل للوصول إلى هذه الغايات. ينبغي لنا أن لا ننحرف لا ذات اليمين أو ذات اليسار.

الحكمة أن تسلك أقرب الطرق المشروعة إلى الغاية التي أمرك بها.

إذا رأيت أن الناس الذين تعرفهم بدين الله يمنعونك من أن تبلغهم رسالات الله يمنعونك الحوار يمنعونك الدعوة اللسانية ، وأنت تستطيع أن تقف في وجههم الحكمة تقتضي أن تقف في وجههم ولو قتلت في سبيل ذلك . وإذا سالمت وسكتت فليست حكمة، لأن الحكمة قد تكون قتالاً ، وقد تكون المسالمة. ما الميزان ؟ هو أقصر الطرق الموصلة للغاية هي الحكمة. الرسول صلى الله عليه وسلم عندما كان مسالمًا في مكة كان حكيمًا، وفي المدينة عندما قاتل المعتدين الذين يتربصون بالدعوة الإسلامية، كان أيضًا حكيمًا.

إذا الحكمة أن تلتزم النهج الذي يوصلك إلى الغاية. إذا كان مشروعًا.

– لو كان النبي هيمن عليهم عن طريق الملك والرئاسة. صحيح يستطيع أن يقودهم إلى الشريعة التي يشاء والنظام الذي يشاء، ولكن هل هذه هي الدعوة التي بعث بها رسول الله ؟ صاروا كارهين وهم مسلمين. هناك كثير من السياسيين يصلون إلى الحكم ويفرضوا على مجتمعاتهم نظام معين أخلاق معينة.

لكن الإسلام ينطلق من القلب ثم إلى السلوك، لذلك الداعي إلى الله ينبغي أن يخاطب العقول والقلوب، وينقادون بعد ذلك باختيارهم.

عندما اجتهد الرسول في الأسلوب وأعرض عن " عبد الله بن أم مكتوم " وهو يريد النصح والرسول مع صناديد قريش، عاتبه ربه عن هذا وأنزل سورة كاملة عتابًا لرسول صلى الله عليه وسلم " سورة عبس " نفهم من هذا العتاب أن الله عز وجل شرع لنا غايات ينبغي أن نسير إليها ولا يجوز لنا أن نخترع الوسائل التي نريد للوصول إليها.

– **الدلالة الثالثة فيها**: ما نلاحظه من هذه المطالب التي طلبها المشركين من رسول الله، كلها نشم منها رائحة الهزأ والسخرية، وخاصة عندما طلبوا منه الدعاء لمجموعة مطالب ذكرت من قبل، والبارئ عز وجل كان ممكن أن يحقق هذا كله. والرسول لم يستجب لهم ذلك لأنه علم أنهم ساخرون وليسوا صادقين، وأيده المولى عز وجل في ذلك عندما أنزل قوله:

«وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتي بالله والملائكة قبيلا أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا » هل يعني هذا أن محمد لم يجهز بمعجزات وأن معجزته الوحيدة هي القرءان كما يزعم البعض، نقول لا الرسول محمد جهز لمعجزات، وكان ممكن أن يدعوا ربه ويستجيب، لكنه علم أن قريش تهزأ به وتسخر، وأنها لن تؤمن سواء نفد هذا أم لم ينفد.

☆ ☆ ☆

﴿المشهد الحادي عشر﴾

محاولات قتل النبي

عندما لم تنجح المفاوضات في إقناع النبي، أجمعوا الرأي على قتله، وسعوا إلى بني هاشم وبني المطلب يطلبون منهم تسليم محمد لقتله لكن بني هاشم وبني المطلب رفضوا، والعصبية عند العرب تكاد تكون أشد من عبادة الأصنام، كيف يسجل التاريخ أن أناس غرباء أخذوا شاب من بني هاشم وبني المطلب فقتلوه على مرأى منهم. لما وجدوا لا سبيل إلى قتله، أجمع رأيهم على مقاطعة المسلمين بمن فيهم بنو هاشم وبنو المطلب حيث، كتبوا وثيقة فيما بينهم وعلقوها داخل الكعبة تقول الوثيقة:

" أنه لا يجوز لأهل مكة أي المشركين أن يناكحوا المسلمين، وبنو المطلب وبنو هاشم، وأن يبايعوهم، وأن يعطوهم أي سلعة، وعليهم أن يقاطعوهم نهائيًا مقاطعة تؤدي بالهلاك " وتواثقوا جميعًا على ذلك ، وحوصروا في شعب بني المطلب، والرجل المسلم يذهب في الصباح ليبتاع طعام لأهله وأولاده فلا يتأتى له شيء نهائيا. وأبو لهب كان مستثنى من بني المطلب لأنه كان ممن يؤيد قتله صلى الله عليه وسلم، ويدور هذا أبي لهب في الأسواق وإذا رأى مسلما يقول إياكم أن تبيعوا لهذا غالوا في الثمن، ويعود الرجل مساءا إلى أهله وليس معه شيء وأهله يتدورون من الجوع. بقي المسلمين على هذه الحال ثلاث سنوات، إبتداءًا من محرم العام السابع من البعثة إلى العام العاشر، مات منهم من مات وجهدوا جهدًا كبيرًا حتى أخذوا يأكلون أوراق الشجر، والرسول ومن معه

صابرون، وبعد ثلاث سنوات أرسل الله تعالى لتلك الوثيقة دودة الأرضة وهي تأكل الورق، وأكلتها كلها ولم يبقى منها إلا اسم الله " باسمك اللهم " وفي تلك الفترة بذات تلاوم بعض بني قصي من قبائل الشرك في تلك الفترة، قائلين إلى متى نبقهم هكذا؟ هذا عار في حقنا، وهم عرب مثلنا، ونحن نراهم يتدورون جوعًا وأطفالهم يموتون ؟؟

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمه أبو طالب: إن الله تعالى قد بعث الأرضة على الوثيقة التي كتبها المشركون، فأكلتها كلها إلاَّ على الأجزاء التي عليها اسم الله. فقال أبا طالب: أربك أنبأك بذلك ؟

فقال: نعم أنباني ربي.

فذهب أبو طالب للمشركين المقاطعين لرسول صلى الله عليه وسلم، فقال لهم أتوني بالوثيقة متوهما أنه سيُوقع معهم ويدخل معهم في القطيعة، فجاءوا بها وهي مطوية. فقال لهم: إن ابن أخي قال: إن الأرضة أكلت معظم أجزاء الوثيقة التي كتبت ولم يبقى منها إلا ما كان من اسم الله، وإن كان ما قال صحيح فأفيقوا وأنهوا هذه المقاطعة، وإن لم يكن صحيحًا فأنا سأسلمه لكم لتقتلوه. قالوا قبلنا. وفتحت هذه الوثيقة، وإذ بالأرضة قد أكلتها. وعندئذٍ تلاوم هؤلاء المشركون وإرتأ خمسة منهم إنهاء هذه القطيعة منهم " زهير بن أمية " " المطعم بن عدي " " أبو البختري بن هشام " و " زمعة بن الأسود " فقام " المطعم بن عدي " إلى الوثيقة فمزقها، وانتهت بذلك هذه القطيعة. وهذه صورة ولعلها أشد حالة ابتليا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه.

﴿تحليل المشهد﴾

هناك دروس وعبر نستنتجها من هذه القطيعة وهي:

– هناك من يسأل، أن المسلمون الذي صبرهم هو إيمانهم بالله عز وجل ويقينهم بالله وماعنده خير من الدنيا وما فيها. ولكن ما بال بني هاشم وبني المطلب ؟ لماذا خضعوا أيضًا لهذه القطيعة وصبروا هذا الصبر على هذه الشدة ؟ وهناك ربما من جاء يقول أن عصبية بني هاشم وبني المطلب كانت تكمن خلف دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم، أي أن رسول الله تعاون في السر مع بني هاشم وبني المطلب ليأتي يوم تكون السيادة لهم على قبائل العرب وما أدل على ذلك بقاؤهم مع المسلمين هناك. ما الجواب ؟

هو أن كل من عرف العرب في الجاهلية وعرف القبائل والحمية العربية، يدرك بكل سهولة سر هذا الموقف، حيث حميتهم هذه لا تقبل من أحد دخيل أن يأتي ويقتل شابًا منهم على مرأى منهم، من أجل ذلك رفضوا، والدليل أنهم لم يسلموا بقوا على كفرهم.

– نأتي إلى المسلمون والشدة التي عانوا منها خلال المقاطعة لمدة ثلاث سنوات. ما بال هذا عن الذين قالوا أن محمد كان يمثل ثورة يسار ضد اليمين الإقطاعي المستغل ويقولون ما أدل على ذلك الفئة الفقيرة التي أسلمت في بداية الدعوة. نقول لهم ما جوابكم عن هذا الموقف الذي وقفه المسلمون مدة ثلاث سنوات، ويرى الرجل كيف يموت طفله، وكيف يمرض أولاده ، ووصل بهم الأمر إلى أكل الورق والخبط نبات لا يؤكل، هل موقف الثائر يكون على هذا الصبر. شاءت حكمة الله أن يكون هذا الإقطاع مع هذه الشدة إسكاتًا لألسنة هؤلاء المتخرصين. حيث أنهم تخلوا عن كل أموالهم وما يملكون وذهبوا مع رسول الله حيث ذهب بإيمانهم وعقيدتهم.

ويأتي ربما من يقول أليس هؤلاء الفقراء أصبحوا أغنياء فيما بعد وسيقت إليهم الغنائم من هنا وهناك وفتحت لهم الدنيا إذن وصلوا إلى الغاية التي كانوا يطمحون إليها. ونقول له بالله عليك واحد من هؤلاء الصحابة وهو يصبر على هذا الضنك وهذه القطيعة، وعلى تركه لأمواله وعقاراته من أجل هذه العقيدة، هل كان يفعل ذلك لأن لعابه كان يسيل على غنائم كسرى ؟؟ أي أحمق يعلق بدهنه مثل هذا التصور ؟ والله الذي لا إله إلا هو لو أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يبدلون ما يبدلونه من جهد وجهاد وصبر ومُصَابَرَة في سبيل تلك الغنائم، والله ما وصلوا إليها، ولكن لما تساموا عن الدنيا وزخارفها والمشتهيات والمال وما إلى ذلك، قال لهم الله عز وجل خذوا ما تركتموه في سبيلي وها أنا ذا أعطيكم هذا الذي فاتكم ومعه الأضعاف المضاعفة حيث يقول تعالى: « وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ».

كن مخلصًا لله وترفَّع عن حطام الدنيا وابتغي وجه الله وانظر كيف يستخدم الله عز وجل الدنيا لك، وكيف يجعلها خادمًا لك هذا هو الجواب على ما يتصورون.

﴿المشهد الثاني عشر﴾

الهجرة الأولى إلى الحبشة

(درس 10)

إن إنهاء المقاطعة لا تعني أن يستريح رسول الله والمسلمين، ولكن ليتجدد الأذى الذي امتد من المشركين إلى أصحاب رسول الله ويصيب رشاشه أيضًا رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولما رأى رسول الله أن الشدة تزداد على المسلمين، وتضيق على خناق المسلمين بكل أنواعها.

قال رسول الله إلى أصحابه: « لو خرجتم إلى أرض الحبشة، فإن فيها ملكًا لا يظلم فيه أحدًا وإنها أرض صدق، حتى يجعل الله لما أنتم فيه فرجًا ومخرجًا » عندها اتجه عدد كبير من الصحابة مهاجرين سرًا إلى أرض الحبشة، وكان في مقدمتهم " عثمان بن عفان " وزوجته " رقية بنت رسول الله " و " أبو حذيفة " وزوجته و " الزبير بن العوام " و " مصعب بن عمير " و " عبد الرحمان بن عوف " وجمع كبير رضي الله عنهم حيث وصل عددهم إلى أكثر من ثمانين شخص. علمت قريش بالأمر عندما لاحظت أن عددهم يتناقص، استخبرت فعلمت أنهم يذهبون لاجئين إلى أرض الحبشة. وأرسلوا شخصين هما " عبد الله بن ربيعة " و " عمرو بن العاص " وكلٌ منهما معروف بلباقته ودهائه، ومعهم هدايا كثيرة لحاشية النجاشي، وبعضها لنجاشي أيضا، وكلفهما لعمل كل ما يملكون لإعادة وطرد المسلمين من الحبشة وإعادتهم إلى مكة، ووصلوا وبدؤوا بالبطارقة وسلموا إليهم الهدايا ليسهلوا لهم دخولهما إلى الملك "النجاشي" وفعلا كان لهما ما أرادا ووصلا إلى النجاشي، وأخبروه أن ثلة من السفهاء قد خرجوا من مكة، تمردوا على دين آبائهم وأجدادهم، ولم يدخلوا في دينك أيضًا، فهؤلاء ينبغي أن يعودوا إلى بلدهم لأنهم سيعتون فسادًا في بلدك، فاستقدم النجاشي المسلمين ولم يكن قد رآهم بعد. فقال لهم: ما هو هذا الدِّين الذي دخلتم فيه ، وتركتم من أجله دين آبائكم وأجدادكم، ولم تدخلوا أيضًا في الدِّين الذي أنا عليه.

فاتفق المسلمون أن يتكلم باسمهم " جعفر بن أبي طالب " فقال له: «أيها الملك كنَّا قومًا أهل جاهلية نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل منَّا القوي الضعيف فكنا على ذلك، حتى بعث الله فينا رسولاً آمينًا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفته، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنَّا نعبد من الأوثان، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة، وصلة الرحم ونهانا عن الفواحش، وصدقناه وأمنَّا به واتبعناه على ما جاء به من الله. فعاد علينا أقوامنا فأذونا وعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى ما كنا عليه من عبادة الأوثان فلما قهرونا وظلموا

علينا وضيقوا علينا، خرجنا إلى بلادك واخترناك على من سواك ورغبنا في جوارك، ورجونا أن لا نظلم عندك »

هذا النص اختصر فيه "جعفر بن أبي طالب" الإسلام الذي أكرم الله به عباده، الذي هو غداء للإنسانية بكل مقوماتها، لا شك أن الذي يكره الإسلام ويحاربه، يكره الإنسانية، يكره العدل ويكره التراحم.

فقال لهم الملك: " إقرؤا لي شيء من هذا الذي تقول أن نبيكم قد أوحى به. فتلا عليه آيات من سورة مريم. والنجاشي مسيحي، لما سمع الآيات قال: " إن هذا و الذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة "

ثم التفت إلى هذين الرسولين " عبد الله بن ربيعة " و " عمرو بن العاص " قال: والله لا أسلمهم إليكم. وقال: عمرو بن العاص: اسمع ما يقولون عن عيسى بن مريم، إنهم يقولون عنه قولاً عظيمًا، ظنًا منهم أن النجاشي ممن يؤله سيدنا عيسى عليه السلام. فالتفت النجاشي إلى جعفر وإخوانه، قال: ماذا تقولون في عيسى بن مريم. قال: جعفر نقول فيه الذي جاءنا به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم: هو عبد الله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم البتول العذراء. أخذ النجاشي عود من الأرض وقال والله ما عاد عيسى مما قلت هذا العود ، أي واقع عيسى لا يتعدى هذا الوصف الذي أخبره به نبيكم. ورد كل الهدايا لمشركي مكة وطردهم وقال والله لن أطرد منهم واحد وليبقوا ما طاب لهم البقاء. استمروا مدة من الزمن، حتى وصلهم خبر أن المسلمون انتصروا وانتشر الإسلام، والمشركون دالوا للحق. عادوا ألى مكة الواحد منهم إثر الأخر، لكن لما اقتربوا من مكة علموا أن الخبر غير صحيح والمشركون ما زالوا على ما هم عليه من الإيذاء، دخلوا وكل واحد تحت أمان واحد من المشركين، مثلا "عثمان بن مضعون " دخل بجوار "الوليد بن المغيرة " أبي سلمه" بجوار" أبي طالب " وهذه من مزايا أهل الجاهلية. لكن فيما بعد اضطروا إلى عدم مجاورتهم لاشتراطهم عليهم شروط منها عدم ممارستهم لشعائر دينهم، ألا يدعوا إلى الله سبحانه وتعالى، وعادوا إلى العذاب وما كانوا عليه.

﴿تحليل المشهد﴾

- **الدلالة الأولى:** من هذه الهجرة، أن المسلم إذا وجد أن تناقضًا قد قام بين أمنه المادي، وبين المبدأ الذي يدين به، والمعتقد الحق الذي يستمسك به، هنا وجب عليه أن يضحي بما يملك في

سبيل الاستمساك بالعقيدة الحقة، المسلمون وصل بهم الأمر في مكة أن شعر الرسول أنه ربما يفتنون في دينهم، ولم يعودوا يستطيعون الصبر على هذا الضير.

ـ قد يقول قائل، أن الإسلام جاء حماية للوطن، وحصن للممتلكات والعقار والوطن، فإذا كان التمسك بالإسلام يوصلوني إلى هجران الوطن وترك مالي وعقاري، إذن ما الذي استفدته من الإسلام. الجواب أن هذا الذي يقوله لنا الإسلام وقاله الرسول لأصحابه، أن الله تعالى يبتلي عباده حين يعلنون تمسكهم بالمعتقد الذي جاءهم من عند الله ورأوه واضحا في كتاب الله. وعندها يتبين صدقهم في مثل هذا الامتحان، ويقولون إيماننا بالله فوق كل شيء وتمسكنا لما هدانا الله عز وجل إليه أغلى من كل شيء، وعندما يتجلى صدقهم، يعيد لهم وطنهم وكل ما فقدوه وخيرًا منه، تلك هي سنة رب العالمين والنتيجة هي:

أن الله عز وجل جعل المبادئ الصحيحة النابعة من العقيدة السليمة هي الحصن للأوطان والممتلكات والعقارات. حيث قال الله عز وجل:

« وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ»

ـ قد يقول قائل أن هؤلاء فروا من الدعوة إلى الله عز وجل الجواب هو التالي: لو كانت مكة دار إسلام لكان هذا الإشكال وارد، ومكة دار كفر. والحبشة حسب الظاهر دار كفر لكن تبين فيما بعد أنها أقرب إلى الإسلام من مكة آنذاك. إذا خروج المسلمين إلى الحبشة هو تحرك تكتيكي. وأحيانا يكون خروج المسلمين من دار الإسلام واجب إذا رأوا أنهم لا يستطيعون أداء الشعائر الإسلامية الأساسية، ويحرم لهم أن يخرجوا إذا أتيح لهم أن يجاهدوا في سبيل الله تعالى وبإمكانهم أداء الشعائر.

(درس 11)

- **الدلالة الثانية:** هي موقف النجاشي وشهادته أن هذا الذي سمعه عن سيدنا عيسى ينبثق وما جاء في الإنجيل من مشكاة واحدة، يدل هذا أن المعتقد الذي جاء به سيدنا عيسى هو نفسه المعتقد الدي جاء به سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. النجاشي كان مخلصًا لنصرانيته دفعه هذا أن يعلن أمام البطارقة ورجال الدين الذين حوله، أن هذا الذي سمعه وما جاء به

سيدنا عيسى يخرجان من مشكاة واحدة، وقال أيضًا ما عدوتم ما جاء به عيسى هذه أي الهشة التي أخذها من الأرض.

نفهم من هذا أن العقائد التي بعث بها الأنبياء واحدة، والأحكام التشريعية يمكن أن نجد إختلافًا بينهم فيها، لأنه من رحمة الله تعالى جعلها تسير وفق مصالح العباد.

- **الدلالة الثالثة:** مسألة فقهية هامة، هل يجوز للمسلمين في ظرف ما أو في وقت ما أن يدخلوا في غير حماية المسلمين ؟ لا حظوا الفرق بين الولاية والحماية، إن دخول المسلمين تحت ولاية أو حماية غير المسلمين هذا غير جائز في الأوقات العامة. أما البر أي التعايش السلمي والتعاون بينهم على مستوى البلدة الواحدة أو الظروف الاقتصادية أو الاجتماعية فهذا أجازه الله تعالى بنص واضح من بيانه المحكم: «لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم، أن تبروهم وتقسطوا إليهم » ما الفرق بين البر والموالاة، الموالاة لغير المسلمين أن يكون المسلمين في الطرف الأدنى والأخر في الطرف الأعلى فهذا لا يجوز، أما البر فهناك علاقة ندية، بجسور من العلاقات والتعاون هذا جائز، دون أن يكون المسلمون أتباعًا لغيرهم.

إلا في حالات استثنائية يجوز الموالاة في قوله تعالى: «إلا أن تتقوا منهم تقيا».

رأينا في المشهد أن ثلة من المسلمين رجعوا إلى مكة ظنًا منهم أن المسلمون قد انتصروا، ولما وصلوا فوجئوا بغير ذلك، اضطرهم الظرف أن يدخلوا في غير حماية المسلمين . والضرورات تبيح المحظورات. والرسول صلى الله عليه وسلم لما هاجر إلى الطائف ورجع دون أن يحقق هدفه، عندها انتشر الخبر في مكة أنه أراد أن يستعدي أهل الطائف على أهل مكة، فاضطر أن يدخل في جوار رجل من مكة هو " الطعم بن عدي " هذا جائز بشرط أن لا يضطره ذلك إلى تغير أحكام الله أو الخروج عن الملة، لهذا نجد أن النبي لما طلب منه "المطعم" أن لا يدعوا إلى الله خرج من حمايته.

النجاشي كان نصراني متبعا لما جاء به عيسى عليه السلام، ولهذا لما تليا عليه ما قال الله كان منه ذلك الرد، وازداد إيمانه وآمنا بمحمد صلى الله عليه وسلم وأصبح مسلمًا.وصح أنه لما مات النجاشي خرج رسول الله وأصحابه إلى المصلى، وصلى عليه صلاة الغائب.

هذا الذي عرفناه يبين لنا قاعدة رب ضارة نافعة، حيث أن هجرة هؤلاء المسلمين إلى الحبشة حسب الظاهر شيء ضار، ولكن عندما نرى إلى المآل نجد أنها خطة ربانية رائعة، الثمرة الأولى أنه

سبيل لانتشار الإسلام بالحبشة . قد تحدث فتنة تأتي على الأخضر واليابس ربما، لكن لو تأملنا العواقب لنتج منها خير كثير لأنها خطة ربانية.

﴿المشهد الثالث عشر﴾

أول وفد إلى رسول الله

في غمرة ما كان يعانيه رسول الله وأصحابه من العذاب والأذى، وفد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفدًا من خارج مكة بلغ بضعٌ وثلاثون شخصًا جاؤوا من الحبشة، جلسوا إلى رسول الله،واكتحلت أعينهم بالنظر إلى الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم، واستمعوا إلى آيات تليت عليهم واقتنعوا به رسولاً، أعلنوا إيمانهم به. فانتشر الخبر بين المشركين، ولا حقهم أبا جهل وفوجئ أنهم خرجوا جميعهم مسلمين من مجلس رسول الله، فاهتاجت مشاعر الحقد بين جوانح أبا جهل وقال لهم: " ما رأينا ركباً أحمق منكم أرسلكم قومكم لتعلموا خبر هذا الرجل فلم تطمئن له مجالسكم حتى فارقتم دينكم وصدقتم هذا الذي جاءنا به" قالوا:" سلام عليكم لا نجاهلكم، لنا ما نحن عليه ولكم ما أنتم عليه لم نألُ أنفسنا خيراً " أي لم نقصر على أنفسنا في البحث عن الخير، نزل في حق هذا الوفد هذا الذي يقوله سبحانه وتعالى:

« الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ (52) وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ (53) أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (54) وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ » من قبله مسلمين أي ما جاءكم في الإنجيل وفيه وصف محمد صلى الله عليه وسلم، وفيه نبأ عن بعثته والتي ستكون خاتمة بعثة الرسل والأنبياء، أي مند ذلك الوقت ونحن مؤمنين، لهذا يؤتون أجرهم مرتين، لإيمانهم بالإنجيل، وعززوا إيمانهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به.

﴿تحليل المشهد﴾

الدلالات من هذا المشهد:

1. المسلمين عندما يجدون في طريقهم عند التزامهم بأوامر الله عز وجل الأذى والصعوبات ، والابتلاءات التي تكتنف حياتهم، لا ينبغي أن يفهموا من ذلك أنهم تراجعوا وأن أعداءهم هم الذين تغلبوا، بل ينبغي أن يفهموا العكس. حيث كلما وجدوا أمامهم صعوبات وصمدوا أمامها ولا ينكسون على أعقابهم، ويظلون جهد استطاعتهم سائرين على النهج الذي شرعه لهم الله عز وجل ، وهذه التحديات هي مقياس لتوجههم إلى الأمام، وأية ذلك هذه الهجرة إلى الحبشة حسب الظاهر أن مبدأ رسول الله لن يكتب له النجاح، لكن أنظروا إلى النتائج التي تدل على العكس تمامًا.

أي وأنت تدعوا إلى الحق لا بد أن تجد صراعًا في طريق دعوتك ونجاحك مبني على شرط الصدق مع الله عز وجل، والتمسك بأوامره وتتويج ذلك بالالتجاء إلى الله. وانتصار الدين منوط بربه لقوله تعالى: " إن نحن نزلنا الذكرى وإن له لحافظون " المطلوب منا نحن المسلمون الثبات .

ولتعلموا أن هذه الفتن التي تعصف بالأمة هي نتاج حصاد النفاق والمنافقون، وهو واقع ينبع من داخلنا نحن، إذا كونوا على العهد لن تضركم الفتن مهما ادلهمت ومهما اشتدت.

2. الدلالة الثانية: هل هما دينان نصرانية وإسلام ؟ هو دين واحد: " إن الدين عند الله الإسلام "والكتب السماوية تدلي بهذا والمنطق يدلي بهذا، آية ذلك هؤلاء الذين وفدوا إلى رسول الله من الحبشة، حيث قارنوا بين ما جاءهم في الإنجيل وما جاء به هذا النبي فوجدوه واحد، قالوا:" وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آَمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ " إذًا معتقد واحد.

3. رسالة آتية إلى الرسول صلى الله عليه وسلم تقول: لا تحسبنا الأذى الذي تراه والشدة التي تراها أمام دعوتك إلى الله دليلًا على أنك لن تنجح في دعوتك، أو على أن هذه الدعوة لن تجد تربة صالحة تستنبت فيها، إياك أن تظن، وأنت تضرب معولك في هذا الصخر الأصم من أجل الوصول إلى هدفك، وها هو النصر جاءك من ما لا تتوقع. وما تقوم به هو جهدٌ كلفك الله به، واجب تعبدني الله بها، "وإنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء " هذه الرسالة التي جاءت إلى رسول الله أتلجت الصدر، مهما كان موقف أهل مكة من المشركين، فلن يقف هذا حائلًا دون نشر هذا الدين على هذه البسيطة.

(درس 12)

﴿المشهد الرابع عشر﴾

عام الحزن

هو العام الذي فقد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم زوجته خديجة، وعمه أبا طالب والمدة بينهما شهرًا وبضعة أيام والسيدة خديجة هي أول من صدقته وأيدته في وقت الشدة وهي التي يشكوا إليها ويجد منها سلواه وأنسه، وهي الوسيلة التي تثبته على منهج الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، أما أبو طالب كان عضدًا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحرزًا في أمره وناصرًا له في دعوته، على الرغم من أنه لم يعلن إسلامه، وفاتهما أحدث أثرًا كبيرًا في قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وزد على ذلك أنه أصبح لا يستطيع التفوه بكلمة في سبيل الدعوة إلى الله، لأن ذاك الذي كان يحميه مات، واشتد عندئذ الأذى لرسول الله، وحيل بينه وبين الدعوة وحواره مع المشركين، من صور الأذى:

أنه بينما كان يمشي في بعض سكك مكة عمد بعض السفهاء إلى كمية من الأقدار والأوساخ والأتربة فألقوها من على سطح على رسول الله،وراح إلى بيته على هذه الحالة وأخذت إحدى بناته تغسل عن رأسه الأوساخ والأقدار وهي تبكي، والرسول هدأ من روعها وقال لها:" يا بنية لا تبكي فإن الله مانع عباده عني " وسماه هذا العام بعام الحزن.

﴿تحليل المشهد﴾

من دلائل المشهد ما يلي:

1. شدة حب رسول الله لزوجه خديجة، ولا غرابة هي أولا زوجه سكنًا وهي خير سكن لرسول الله، حيث يجد عندها السلوى ويشكوا إليها ما يرى من الشدة والقسوة وتبرد له لغا هذه الصعوبات، وهي وزير صدق له على إسلامه، لا شك أن فقدها سيسبب له الأسى، والرسول كان مضرب المثل في رقة القلب، والرحمة والخلق الرفيع، وشفافية الوجدان. ولقد صح فيما يرويه جابر:

" أنه لما توفيت خديجة حزن عليها رسول الله حزنًا شديدًا حتى خشينا عليه " نتساءل هنا هل هذا الحب الشديد من رسول الله لسيدة خديجة رضيا الله عنها يزاحم محبته لله ؟ الجواب لا أبدًا بل هذا الحب هو جدعٌ أو أغصان لمحبته لله سبحانه وتعالى. عندما تغرس محبة الله في قلب العبد فإن لها

شأن مختلف عن المحبة لزيد من الناس، حيث أن محبة المؤمن لربه تتفرع عنها أغصان كثيرة من الحب لعباد الله، وتلك هي مزية محبة العبد لرب. وهما مختلفان، إن محبة الله شعور سامٍ لا يشعر به إلاَّ من أكرمهم الله عز وجل به وذاقوا تُرْياق هذا الحب. أما محبة العبد لغير الله فلها شأن آخر، وليس بينهما تنافس أو تناقض بشكل من الأشكال.

- وهناك أحوال تعتري بعض الصالحين أن حبهم لله ينسيهم حب أهلهم و أقاربهم هي أحوال تأتي وتمر، ذلك أن مشاعرهم لا تتحمل المشاعر والمعاني التي كان يتحملها رسول الله.
- سيدنا رسول الله كان مشرعًا أي أنه ينقل لنا أحكام الله عز وجل بكلامه وبيانه أنًا وبسلوكه أنًا آخر وحبنا لله عز وجل لا يتعارض مع محبة الأغيار.

الحب في المجتمع الإنساني هو الترياق الذي لا بديل عنه، ولكن ينبغي أن نعلم أن هذا الحب له جذعٌ وجذور، وله فروعٌ وأغصان، ينبغي أن يكون جذع هذا الحب لواحد هو الله عز وجل، وهو أجمل جميل في الكون، وهو المحسن الأوحد في الكون، وهو أعظم عظيم في الكون إذا عوامل الحب كلها تقودك إلى محبة الله عز وجل، سر بمشاعرك وأحاسيسك إلى محبة الله فإن تحقق لك ذلك تجد أن هذا يقودك إلى محبة الأغيار من زوجة والأولاد وإخوانك وعباد الله جميعًا .

2. أما عن أبي طالب الذي كان له عونًا له في طريق دعوته إلى الله، وكان يمنع المشركين من قتله، ويمنعهم من إسكاته، فحق له أن يتأ لم لوفاته ، وبعد وفاته لم يستطع تبليغ دعوته وناله الأذى الكثير من المشركين. وكثيرون تساءلوا أمات أبا طالب مشركًا وهو الذي دافع عن رسول الله ومنع لمشركين عنه ؟ من الناحية القضائية أي الشكلية لا نستطيع أن نقول أن أبا طالب دخل الإسلام، أما من ناحية الديانة أي مآله الذي انتهى إليه فنحن لا نشك أن أبا طالب لقي ربه عز وجل مؤمنًا، ودفاعه عن رسول الله دفاع من وقر في قلبه تصديق رسول الله، لكن هناك موانع نفسية شكلية الله أعلم حالت دون أن يعلن إسلامه، ودليل ذلك عندما سأل رسول الله عن الأرضة التي أكلت الوثيقة قائلا: **أربك أخبرك ؟** أي أن كلام رسول الله هو خبر من عند الله عز وجل.و الله أعلم.

3. ما الحكمة أنه استلب من رسول الله زوجه وهو أحوج ما يكون إليها ؟ واستلب منه عمه وهو أحوج ما يكون إليه ؟ ربنا عز وجل حكيم ورحمته تتحقق بمعاني عميقة وخفية مما ندركه نحن.

ـ لو أن الله عز وجل ترك أبا طالب وفسح لابن أخيه طريقًا عريضًا لدعوة، إلى أن انتصر الإسلام لجاء المبطلون اليوم من يقول أن بني المطلب وبنو هاشم خططوا لأنفسهم لينسجوا

لأنفسهم مكانة بالجزيرة العربية وأبا طالب هو الذي يرسم هذا المخطط لابن أخيه إلى آخر ما هنالك. فشاء الله أن يتخطف الموت أبا طالب. هذا جانب.

ـ الجانب الأخر هو لو أن النبي سار في نهجه بنفق من الحماية ، سيأتي من بعده دعاة يسيرون على نهجه، وسيتعرضون لكل أنواع الأذى حتى القتل، ربما وسوس الشيطان لبعض منهم أن الرسول سار في هذا الطريق آمنًا مطمئنًا، وعمه كان يحميه...

الرسول محمد لو شاء الله لحماه من كل أنواع الأذى، لكن النبي أثر أن يلاقي كل أصناف الأذى التي سيلاقيها الدعاة من بعده، إلا القتل حيث قال: "والله يعصمك من الناس".

4. لماذا سمى الرسول هذا العام بعام الحزن ؟ ليس هذا لاستمرار حزنه مدة سنة.

الحزن إنما كان لأنه لم يعد يستطيع أن يبلغ رسالات ربه، فلما وجد أن أبواب الدعوة أغلقت في وجهه ولم يعد يستطيع أن ينفد أمر مولاه وخالقه أحزنه ذلك. أن يحزن القلب بدون تكلف هذه رحمة من رب العالمين، أما أن يتكلف الحزن فهذا غير جائز، ويغضب الله عز وجل، لأنه إعلان عن عدم الرضا عن الله عز وجل.

(الدرس 13)

﴿المشهد الخامس عشر﴾

هجرة المصطفى إلى الطائف

- لم يعد المصطفى بعد وفاة عمه أبا طالب يستطيع الوقوف في نوادي المشركين لدعوة إلى الله عز وجل، فكر المصطفى في الذهاب إلى الطائف يلتمس النصرة والتأيد من قبيلة تقيف، وذهب فعلاً يصطحبه زيد بن حارثة، وخرج عليه الصلاة والسلام ماشيًا من مكة إلى الطائف والطريق غير معبد بين الجبال والأودية والأشواك في أكثر من ثمانين كيلو متر، وبعد أن وصل والجهد الذي بدله وهو يتأمل خيرًا من تقيف. جلس إليهم يدعوهم إلى الله تعالى ويعرفهم بنفسه، ويبين دلائل نبوته، ويتلو عليهم شيء من القرءان، فأخذوا يسخرون منه ويسمعونه الكلام السيئ ، واحد يقول له: ألم يجد ربك نبيًا غيرك يرسله..وهكذا كانت أجوبتهم له ألوان من السخرية والإيذاء، ولما يئس المصطفى من أن يستجيبُ له. طلب منهم أن يكتموا عن قريش خبر وصوله إليهم، ولكن أيضًا لم يستجبوا له طلبه هذا، وأغروا به صبيانهم وسفهاؤهم، فاجتمعوا عليه يضربونه بالحجارة حتى دميت قدما

رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان زيد بن حارثة حِبُ رسول الله يَجُوبُ بنفسه عن رسول الله كي لا تصيب حجارة هؤلاء السفهاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى شُجَّ رأس زيد عدة شجاج، ورأس رسول الله أيضًا إلى أن وصل لبستان " عتبة بن ربيعة " وهو بضاحية من ضواحي الطائف، حتى دخل ذلك البستان توقف عنه هؤلاء السفهاء، فجلس إلى ظل شجرة متجهًا إلى السماء باسطًا كفيه بهذا الدعاء الذي رواه الطبراني وغيره «اللهمّ إليك أشكو ضعف قوّتي وقلّة حيلتي وهواني على النّاس، يا أرحم الرّاحمين، أنت ربّ المستضعفين، وأنت ربّي، إلى من تكلني؟ إلى بعيدٍ يتجهّمني؟ أم إلى عدوٍّ ملّكته أمري؟ إن لم يكن بك عليّ غضب فلا أبالي ولكن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الّذي أشرقت له الظّلمات، وصلح عليه أمر الدّنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك أو يحل عليّ سخطك، لك العتبى حتّى ترضى، ولا حول ولا قوّة إلّا بك» وهكذا دعا المصطفى وهو في أشد حالاته ألمٍ وحزنًا ليس على ما أصابه وإنما على عدم تمكنه من تبليغ رسالة الله إلى الناس. في البستان ابنا عتبة عندما رأيا الرسول على هذه الحالة دخلتهما رقة على حاله، وأجير لصاحب البستان اسمه " عداس " نصراني طلبا منه أن يأخذ قطف عنب ويضعه في طبق ويمضي به إلى هذا الرجل. فمضى " عداس " بطبق العنب فوضعه أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال كُل، فمد الرسول يده وقال " بسم الله " فقال عداس: والله ما سمعت هذه الكلمة من أهل البلدة قط. فقال له رسول الله: ومن أي البلاد أنت ؟ قال: من نينوة (هي قرية قرب الموصل بالعراق) قال: من بلاد" يونس بن متى " قال: وما أدراك بيونس بن متى ؟ قال:كان نبيًا مثلي. فأكب عداس على رأس الرسول و يديه ورجليه يقبلهم.

- وتابع الرسول سيره إلى مكة ولما وصل إلى" واد النخلة " أقام رسول الله تلك الليلة هناك يصلي، فصرف الله تعالى له نفر من الجن يسمعون قراءته للقرءان، فانصرفوا إلى أهلهم مؤمنين موحدين وفي حقهم نزل قوله تعالى: «وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضي ولوا إلى قومهم منذرين قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم» وكأن الله تعالى يقول له: لئن خابت أمالك من أهل الطائف وطردوك شر طردة فهاهم هؤلاء الجان قد أمنوا بك دون أن تبدل أي جهد في سبيل إيمانهم. .

واصل النبي طريقه إلى مكة، فقال له زيد كيف ندخل الآن وهم قد طردوك وربما قد سمعوا عن ذهابنا لطائف ؟ قال: " يا زيد إن الله قد جعل لما ترى فرجًا ومخرجًا وإن الله ناصرًا دينه ومظهرًا نبيه " ثم إن رسول الله لما وصل إلى مشارف مكة أرسل رجل من " خزاعة " إلى "مطعم بن عدي" يخبره أنه يريد أن يدخل مكة في حمايته أي في جواره. ورضيا بذلك وبقي عدة أيام ثم خرج من جواره.

﴿تحليل المشهد﴾

من العظات والنتائج التي يمكن استخراجها من المشهد هي:

1. إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث مبلغًا لرسالات ربه من معتقدات وتشريع والتزامات سلوكية ونحو ذلك وطريقة تبليغ ذلك هما طريقتان:

ـ الأولى البيان والكلام ـ الثانية السلوك. والرسول عليه الصلاة والسلام كان يعلم أصحابه العبادات المختلفة ببانه القولي وبسلوكه مثلا قال لهم: صلوا كما رأيتموني أصلي، الرسول أمرنا بالصبر وفي محكم كتابه تعالى:" اصبروا وصابرو ورابطو واتقوا الله لعلكم تفلحون " ولم يكتفي الرسول بالإبلاغ القولي، وإنما علم أصحابه وإخوانه من بعده كيف يكون الصبر ؟ الرسول تحمل مثل هذا الأذى وأمثاله، وطريق التبليغ مليء بالعقبات والشدائد، قد يقول قائل أن الرسول لم يكن راضٍ بهذا الأذى الذي لحقه بعد خروجه من الطائف وما أذل على ذلك أنه وقف يشكوا. والجواب هو أن رسول الله يعلمنا أيضًا أن نقف هذا الموقف بعد أن تعاني مثل ما عانى رسول الله، يعني أن شكوى رسول الله إلى ربه ليس تعبير عن تأففه ما عاد الله، وإنما هذه عبودية يمارسها رسول الله لمولاه وخالقه، إظهار الضعف والعجز وهذا واجب أيضًا، إذن يجب أن تصبر وتعلن أيضا عجزك وضعفك وتطلب من الله أن يعينك على الصبر: واصبر وما صبرك إلا بالله. وهكذا وقف رسول الله يقول في دعائه. وعلمنا رسول الله الكلمة القدسية وطلب منا تكرارها وهي: "لا حول ولا قوة إلا بالله " دعاء رسول الله مزيج من الصبر والشكوى لله تعالى في قوله (إن لم يكن بك عليّ غضب فلا أبالي ولكن عافيتك هي أوسع لي)

2. اللطف الرباني وقاعدة تقول في كل جلال جمال، في كل موقف من مواقف الشدة التي عانى منها رسول الله نجد في داخلها موقف بشرى ما ينسي رسول الله تلك الشدة، نجد هذا لما التجأ إلى بستان ابني ربيعة، وجاءه ذلك الشاب " عداس" الذي يمثل الرسالات السماوية قبل رسول الله بقطف عنب، ودارت محاورة بسيطة بينه وبين سيدنا رسول الله كما بينها ورأينا كيف أكب على رأس رسول الله يقبله، وهي رسالة لرسول الله كي يثبته بعد الشدة، وكأن رسالة عيسى تعتذر عن سفهاء الطائف، وعن قطف العنب تعبير أن كل حبة هي مملكة من ممالك الإسلام تتحقق عما قريب بدعوتك إلى الله.

3. صرف الله تعالى له نفر من الجن يسمعون منه كلام الله عز وجل، ما خبر هؤلاء الجان ؟.

(الدرس 14)

انصرف الجان إلى أقوامهم يخبرونهم بما سمعوا. هذا ما رواه ابن إسحاق والبخاري ومسلم، في رواية عبد الله بن مسعود أن الرسول لم يرى الجن وإنما أوحى الله تعالى له: في قوله: "وإذ صرفنا إليك نفر من الجن إذ يستمعون القرءان فلما قضوا ولو إلى قومهم منذرين، قالوا يا قومنا إن سمعنا..."

أما رواية عبد الله بن مسعود فتقول أنه لم يرى هؤلاء الجن. وما ورد في البخاري يدل على أنه رآهم وهي الأرجح لزيادة الثقة والله أعلم.

أما عن جمع الصحابة الذين كانوا معه أثناء ذلك ربما هم من الذين سمعوا بمقدمه فاتجهوا إليه بسوق عكاظة في مشارف مكة، وحادثة استماع الجن لرسول الله تكررت قبل الإسراء والمعراج وبعده إلتقوا به في وقت صلاة الفجر مع جمع من أصحابه. والجان خليقة موجودة خلقها الله تعالى وبحثوا في الأرض ما حدث عندا حال بينهم وبين التجسس لخبر السماء، وهذا النفر وجدوا رسول الله واستمعوا إلى تلاوته للقرءان، أدركوا أن هذا الذي حال بينهم وبين استراقهم السمع من السماء ، ومن يستمع الآن يجد له شهابًا رصدا .

﴿ المشهد السادس عشر﴾

خارقة الإسراء والمعراج

هذه المكرمة التي أكرم الله بها نبيه كانتا في ليلة واحدة وهي الإسراء به إلى المسجد الأقصى و العروج به إلى السماوات العلى، وكان هذا قبل هجرته إلى المدينة المنورة بسنة ونصف، وهذه الخارقة

تثبيتا لفؤاد المصطفى لما ألم به من وفاة زوجه وعمه وعدم تمكنه من تحقيق هدفه من أهل الطائف ومن ثم الدعوة إلى الله.

أتيا لرسول الله بالبراق وهي دابة فوق الحمار ودون البغل، وأسر به إلى المسجد الأقصى وصلى هناك ركعتين إمامًا للأنبياء، وبعدها أتى إليه جبريل بإنئين أحدهما لبن والأخر خمر فاختار اللبن فقال له اخترت الفطرة، ثم عُرج به إلى السماء حتى سدرة المنتهى حيث انفصل عنه جبريل وبقي وحده حيث تبوأ هذه المكانة، وهناك فرضت الصلاة حيث كانت خمسون فأصبحت خمسة . ولما كان صبيحة اليوم التالي وقد عاد الرسول إلى مضجعه، تحدث رسول الله عن هذا الذي حدث له، وطفق المشركون يجمعون بعضهم بعضا يتناقلون هذا الخبر الطريف وليضحكوا منه، وتحدوه أن يصف لهم بيت المقدس وقد ذهبوا إليه من قبل وكان أطلالاً، فالله سبحانه وتعالى جلَّ له بيت المقدس، وأخذ يصفه ويجيب على أسئلتهم، مع كل هذا لم يخضعوا له ولم يؤمنوا به،إنه الاستكبار الذي حال بينهم وبينه، البعض قال ستهتز عقيدة أبا بكر لنذهب إليه ونخبره، فذهبوا وقالوا له: أتعلم ما يقول صاحبك ؟ قال وما يقول: قالوا: إنه يقول أن أُسر به إلى بيت المقدس وعُرج به إلى السماء العليا وعاد قبل الفجر. فقال لهم: لئن قال ذلك فقد صدق . فباؤوا بالخزي بعد أن ظنوا يمكنهم أن يهزوا عقيدة أبا بكر.

في ذلك الصباح أيضًا جاء جبريل ليعلم الرسول كيفية الصلاة من عدد ركعات وأداء وشروط، مند ذلك اليوم شرفنا الله عز وجل بأداء الصلاة إلى قيام الساعة، هذه خلاصة الخارقة التي أكرم الله بها رسوله.

﴿تحليل المشهد﴾

1. ما حقيقة معجزة الإسراء والمعراج ؟ الجواب لقد رويت بتواتر الأنباء الصحيحة عن الخوارق التي أكرم الله بها نبيه محمد صلى الله عليه وسلم منها نبع الماء من بين أصابعه، تزايد الماء بعد أن تفل رسول الله فيه عند رجوعه من غزوة تبوك، انشقاق القمر عندما طلب المشركين ذلك فدعا الرسول ربه أن يحقق له هذا الأمر وغيرها كلها حقيقة رويت في مجموعها متواترة، وهناك من أنكر له ذلك من الغربيين وحتى بعض المسلمين الذين يقدسون الغرب أكثر من نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم.

(الدرس 15)

هناك من المسلمين من لا يؤمن بهذه الخوارق التي أجراها الله عز وجل على رسوله شعورًا منه بالنقص، أنه قد يتهم أنه لا يفقه في العلم، وأنه ليس رجل علم، وهكذا ينفض عقله من الإيمان بالغيبيات والمعجزات ونحو ذلك، وهو في الحقيقة متخلف علميًا لشعوره بالنقص، حيث أنه متناقض مع نفسه من جهة يؤمن بنبوة محمد التي هي من أجل المعجزات ومن جهة لا يؤمن بالخوارق التي أكرمه الله تعالى بها. نتساءل ما المعجزة ؟ هو أمر خارق للمعروف والمألوف بين الناس ، وهو أمرٌ نسبي ما هو خارقة الآن قد يصبح أمرًا عاديا مستقبلًا، وكل ما في الكون معجزة والإنسان هو كتلة معجزات تمشي في الأرض.

وإيمانك القوي بخالق الكون وأنه قادر على كل شيء لأنه الحكيم العظيم، وخلق المكونات وأعطاها قانونها، وهكذا فإنك لا تناقش المعجزة والخارقة ولله في علمه شؤون. والعلم هو إدراكك للقوانين التي أرساها الله عز وجل في الكون، وهي تابعة لقدرة الله عز وجل. لا يمكن للإنسان أن يجزم على وقوع شيء في المستقبل وإنا هناك يقين تدريبي نتيجة تكرار التجربة،لأن تغير النظام وارد وهو داخل في قدرة الله ومشيئته.

2. **ما موقع الزمن أو التاريخ من حياة رسول الله لهذه المكرمة ؟** في هذا العام فقد الرسول زوجه وعمه، وهاجر إلى الطائف ولم ينجح حسب الظاهر في مهمته وعاد طريدًا، فكانت هذه المكرمة استضافة من الله عز وجل لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم من نوع خاص به من بين الأنبياء جميعًا، ليكون ذلك تثبيتًا لفؤاده، وأن ما حدث له هي سنة رب العالمين في الأنبياء والرسل.

3. **لماذا كانت هذه الرحلة عن طريق بيت المقدس ؟** لكي نستبين قداسة هذا المكان عند الله عز وجل، ولكي نستبين علاقة الرسل والأنبياء بعضهم مع بعض، وأنهم جميعًا بعثوا لعقيدة ودعوة واحدة ودين ورب واحد إلى هذه الأسرة الإنسانية. وعن صلاة رسول الله ببيت المقدس، وهي رسالة للمسلمين إلى قيام الساعة عن المهمة التي ينبغي أن يحملوها في أعناقهم، وهي حماية هذا المكان المقدس من أيدي العابثين ومن كيد الكائدين. " نور الدين الزنكي " ما الذي جعله يخطط ليل نهار من أجل تطهير بيت المقدس من رجز الصليبيين ؟ هي هذه الرسالة. يا عجبا اليوم هذه الرسالة مطوية عن الأفكار ومنسية، وها نحن نرى الأخطار التي تحدق ببيت المقدس والتحديات التي تمارس. أين هم قادة المسلمين ؟؟؟؟

4. والحزن و الأسى اليوم هو أن المسلمون معرضون عن رسالة الله إليهم.نسأله تعالى أن يجعلنا ننهض بالواجب الذي كلفنا به، والرسالة التي حملنا الله إياها والحمد لله رب العالمين.

(الدرس 16)

5. أسريا برسول الله جسدا وروحًا ودلائل ذلك كثيرة، منها الاستنكار الشديد للمشركين، وإخبارهم له أن يصف لهم بيت المقدس، والمشركون استعظموا الأمر إلى درجة الهزأ والسخرية، وطمعوا أن لا يصدقه أبا بكر رضي الله عنه، كلها دلائل أنها مكرمة أكرم الله بها جسده وروحه وليست رؤيا.وقوله تعالى: "سبحان الذي أسرى بعبده من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى "

ما الموجب لتأويل ؟ إن الذي يُؤَوِلُ ذلك لوجود ريب قد استقر بين جوانحه، وشك في إيمانه. وهو يعاني من مرض في إيمانه نسأل الله له العفو والعافية.

6. هناك من يلتبس عليه حديث الإسراء والمعراج الذي ذكر في الصحيحين بحديث آخر ذكره المصطفى عليه الصلاة والسلام بعد الهجرة يبدأ هكذا: كان المصطفى إذا انفلت من صلاة الصبح قال للمصلين: هل رأى أحدٌ منكم رؤيا ؟ في يوم من الأيام سألهم هذا السؤال ثم عاد فقال: أما أنا فقد رأيت رؤيا. وأخذ يحكي عليه الصلاة والسلام قصة طويلة خلاصتها، أنه عُرِجَ به إلى السماوات وعرضت عليه فئات ممن يتعذبون في النار الحياة البرزخية. البارئ عز وجل أرى المصطفى فئات من الذين يعذبون وكيف يعذبون. في الناس من مزج هذا الحديث الذي هو عبارة عن رؤيا بحديث الإسراء والمعراج.ومن ثم من اتخذ هذا دليلاً أن حادثة الإسراء و المعراج تمت بالروح فقط، وتذرعوا بحديث عائشة: " ما فارق جسده جسدي " وهذا كان بعد الهجرة. وحادثة الإسراء والمعراج كانت في مكة قبل الهجرة

7. التحذير من كتاب اسمه " معراج ابن عباس " وهو كتاب من أوله إلى أخره إسهاب مطول لقصة الإسراء والمعراج، هل ألف عبد الله ابن عباس هذا الكتاب ؟ لا أبدا. وهل عرف التأليف أصلا في وقت الصحابة ؟. لا، وإنما عرف التأليف في أواخر العصر الأموي. وإنما هنالك أناس ألفوا ولفقوا وتوسعوا وزادوا ثم ألصقوا هذا " بعبد الله ابن عباس " والكتاب فيه كثير مما يتعارض مع كتاب الله وسنة رسوله. وهناك شخص اسمه "لويس عوض " أخرج هذا الكتاب ظنا منه أنه بإمكانه العبث بعقول المسلمين والتحدث عن أمور بعيدة عن العلم والمنطق في هذا الكتاب لكن هيهات أن يتمكن من ذلك ممن نهض عقله على حقائق الإسلام الموافقة للعلم.

(الدرس 17)

﴿المشهد السابع عشر﴾

عرض رسول الله نفسه على القبائل وبيعة العقبة الأولى

بعدوفاة عم رسول الله لم يتمكن الرسول من نشر دعوته، هاجر إلى الطائف أملاً في مساندتهم إياه لكنهم أدوه وطردوه شر طردة، إذن ماذا بقي لرسول الله من خيار من أجل نشر دعوته ؟ كان عليه الصلاة والسلام ينتظر الموسم الذي تأتي فيه القبائل العربية من كل مكان من أجل حج بيت الله الحرام، ويختارون له الشهر الذي يحبون حسب ما تقتضيه مصالحهم بطرق الجاهلية آنذاك، وتحين الرسول هذا الموسم ليمشي معهم ويسألهم أن يشهدوا أن لا إله إلا الله، لكن أبا لهب كان يسير وراءه أنا سار ويقول لا تصدقوه فإنه صابئ، وكانوا يردون عليه ردا منكرا ويسيئون إليه ويعرضون عنه . وكان الرسول يقول فيما يقول كما يرويه أحمد والحاكم وآخرون " أيها الناس من يحملني منكم إلى قومه، فإن قومي منعوني أن أبلغ رسالات ربي " فلا يجيبه أحد، في سنة من السنوات بينما هو يسير بين هذه القبائل ويعرض الدعوة التي أمره الله بإبلاغها مرَّ على قبيلة " بني عامر ابن صعصعة " وأخذ يعرفهم بنفسه ويدعوهم إلى الله كان فيهم رجل زعيم اسمه " بيحرة بن فراس " قال في نفسه، والله لو تحالفت مع هذا الرجل لأكلن به العرب. أي يستثمرنه ويستغله من أجل رفع مكانة له بين العرب، فقال لنبي عليه الصلاة والسلام: أرأيت إن اتبعناك ونصرك الله عز وجل بنا أفا يكون لنا الأمر من بعدك ؟ فقال الرسول: الأمر لله يضعه حيث يشاء

فقال له: لا حاجة لنا إلى أن نهتف نحورنا للعرب في هذه المغامرة ثم يكون الأمر من بعد ذلك لغيرنا.

هذه صورة من الجهد الذي كان يبدله المصطفى من أجل إبلاغ الناس الدعوة إلى الله.

في السنة الحادية عشرة من البعثة أثناء الموسم، وتطوافه بين القبائل، مر على قبيلة آتية من المدينة المنورة " الخزرج " فسألهم رسول الله من أنتم ؟ فقالوا: نحن الخزرج. قال: أمن موالي اليهود ؟ قالوا: نعم. فقال: أفلا تجلسون أكلمكم ؟ جلسوا إليه: أخذ يعرفهم على نفسه، ويدعوهم إلى الله، ويتلوا عليهم ما قد تنزل من القرءان. فنظر بعضهم إلى بعض يقول لتعلمنّ إنه النبي الذي تحدثكم به يهود، فلا يسبقنكم إليه. واليهود إذا حدثت مشكلة بينهم وبين الأوس أو الخزرج و أهل المدينة يهددونهم ويقولوا: لتعلمن إنه حان وقت بعثة نبي آخر الزمان ولسوف نتبعه ونقتلكم معه قتل عاد

و ارم. لهذا آمنوا به صلى الله عليه وسلم وقالوا له: لئن نصرنا الله بك ولسوف ننصرك نصراً مؤزرا، ووعدوه الموسم الذي يليه، وفي العام الذي يليه السنة الثانية عشرة من البعثة، وفد من المدينة المنورة اثنا عشرة رجلا ، والتقوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في العقبة وتعرفوا على رسول الله وعرفهم بنفسه، وتلا عليهم شيئا من القرءان ومدو إليه أيديهم ليبايعوه، وبايعهم بيعة النساء. أي المبايعة على كل مبادئ الإسلام إلا الجهاد. ويقول " عبادة بن الصامت " وكان من هؤلاء الذين وفدوا إلى رسول الله في الموسم يقول: قال لنا رسول الله بعد أن آمنا به: تعالوا بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم ولا تعصوني في معروف ولا تأتوا ببهتان بين أيديكم وأرجلكم، فمن وفى ذلك فأجره على الله، فمن أصاب من ذلك شيئا فعوقب في الدنيا فتلك كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئا فستره لله فهو إلى الله، إن شاء عاقبه وإن شاء عفا عنه " ويقول عبادة بن الصامت فبايعنه على ذلك. ولما أراد القوم الانصراف إلى المدينة المنورة، أرسل الرسول معهم " مصعب بن عمير " لينوب عن الرسول في التعريف بالإسلام والدعوة إلى الله واتفقوا مع الرسول في العودة في العام الذي يليه.

﴿تحليل المشهد﴾

قبل تعداد المبادئ من المشهد لنتأمل هذا الجهد الذي بدله المصطفى صلى الله عليه وسلم، إحدى عشرة سنة والرسول يعاني فيها من الشدائد، وكأنه يضرب بحديد بارد، وكأنه يُعْمِلُ في تربة لا جدوى منها ولا فائدة فيها، إحدى عشرة سنة وفي كل دقيقة المشركون يتربصون به ويخططون لقتله، ويشتدون في الأذى عليه، بالإضافة إلى الخيبة التي فوجئ بها عند الهجرة إلى الطائف، ونهاية هذا أنه بعد وفاة عمه حيل بينه وبين الدعوة من مشركي مكة ولم يعد يستطيع أن يواجههم بكلمة، وهو الأمر الذي دعاه أن ينتظر كل سنة موسم الحج، إذ تفد القبائل من أطراف الجزيرة ويمر حولهم وكأنه دلال يعرض بضاعة الرحمان عليهم، ومع ذلك لم يلقى استجابة.

هنا قد يتساءل الواحد منا هذا الرسول من أفضل خلق الله وخير النبيين والرسل، وقد قال الله عنه كلام يدل على أنه يحبه ويجله " وإنك لعل خلق عظيم " لماذا أسلمه الله عز وجل لهذا الضنك وهذه الشدائد. لأنه نبي والله تعالى أعصمه من الناس ووعده بنصر دعوته لهذا كان يغالب الشدائد، والسؤال وارد لماذا الله عز وجل لم يكرم نبيه باستجابة الناس بدون هذه الشدائد ؟ الجواب، هي سنة

رب العالمين في عباده، ولن تجد لسنة الله تبديلاً، حيث أن الله عز وجل قضى أن يمارس الإنسان أي كان أن يمارس عبوديته لله بسلوكه الاختياري كما أنه مفطور على أنه عبدًا لله بواقعه الاضطراري، حتى يكون هناك انسجام بين السلوك والواقع. وحقيقة ممارستي للعبودية لله تكون إلا بأن يأتيني الضنك من الله فأصبر تأتيني المصيبة فأتحمل وأصبر، وعندما أتحمل الشدائد في سبيل مرضاة ربي، عندئذ تفوح عبوديتي الاختيارية لله، وهذا ينطبق على كل الناس وفي مقدمتهم الرسل والأنبياء، وآيات الصبر لرسول الله كثيرة منها قوله تعالى: " فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب " أي كن وسيلة إيضاح لمن حولك ومن يأتي من بعدك عن كيفية إعلان العبودية لله. والرسول كلما ازداد تحملا لشدائد كلما دنا للغاية التي بعث لأجلها. ويكفينا نحن شيء واحد لنكون على نهج المصطفى، ألا وهو السير على خطاه، ولنسلك السبيل العريض ولا نلتفت إلى السبل المتعرجة، متذكرين قول رسول الله للأنصار: " وإنكم ستلقون أثرة من بعدي فاصبروا حتى تلقوني على الحوض "

1. فجأة جاءت تباشير النصر من بعيد، من المدينة المنورة، يا سبحان الله رسول الله يبدل الجهد في هذه التربة ويأتيه النصر من حيث لم يتوقع لماذا ؟ ها هنا يكمن مظهر من مظاهر لطف الله عز وجل، ليُقرب إلى العقول نبوة محمد وبشهادة من اليهود حين كانوا يغرسون في عقول الأوس والخزرج، أنه حان وقت بعثة نبي هو آخر النبيين، وعرفوا هذا من التوراة، الشيء الذي جعلهم يؤمنون به بسرعة كلام اليهود لهم.

2. اليهود كانوا ينفخون في نار الفتنة لأكثر من مئة وعشرين سنة، الأوس كانوا مضطرين لدخول في حلف مع بني قريظة، والخزرج تحالفوا مع بني قينقاع وبني النضير من اليهود ، واليهود يسلطون بعضهم على بعض، فالنبي عليه الصلاة والسلام جعله الله تعالى سببًا لتألف قلوب هؤلاء العرب. والمبايعة بين رسول الله وفئة الأنصار كانت على أمور عدة كما وضحت في المشهد. هذه البيعة تتمة الإسلام فلا يكمل إسلام أمة من الأمم أو جماعة من الناس إلا إذا أتبع العقيدة التي يؤمن بها لسانه وبالسلوك الذي ينبغي أن يضبط به حياته .

﴿ المشهد الثامن عشر﴾

بيعة العقبة الثانية

(الدرس 18)

دخل كثير من أهل المدينة الإسلام وكان الفضل في ذلك " لمصعب بن عمير " الذي أرسله رسول الله مع الوفد الذي بايعه داعيا إلى الله، وقد أبلى بلاءاً حسنًا في دعوته، وقد صح أنه كان يأتي جماعة من المشركين في المدينة ويأتيه الواحد منهم هو يحمل حربته ليقتل مصعب وما إن يسمع شيئا من القرءان الذي يتلوه مصعب حتى يغرس حربته إلى جانبه في الأرض، فيجلس وهو يستمع أمنا مطمئنا، وفي آخر الجلسة يدخل في الإسلام.

و" مصعب بن عمير " في جاهليته كان مضرب المثل في الترف وحب الذات، ولما دخل في الإسلام طوى كل ذلك النعيم وأقبل إلى حياة الزهد من الدنيا إلى الله بكل كيانه، وهو الذي استشهد في غزوة أحد فنظروا إليه، وعليه ثوب ممزق إذا ستروا أعلاه تكشف أدناه والعكس. ولما أخبروا رسول الله بكى وتذكر الحالة التي كان عليها ورحيله إلى الله بهذه الحالة وقال:" أستروا به أدناه واستروا رأسه بشيء من الإبخر أي نبات "

عندما رجع إلى مكة في السنة الموالية كان معه بضع وسبعون مسلم من المدينة وبينهم امرأتان، والتقوا برسول الله في العقبة بعد مضي ثلث الليل، يقول كعب بن مالك وكان واحدا منهم: ولما حان الميقات أخذوا يتسللون من فرشهم رويدا رويدا وتجمعوا كلهم بالعقبة وجاء رسول الله ومعه عمه العباس.وقالوا له خد يا رسول الله لنفسك ولربك منا ما أحببت، أي نحن مستعدون أن نبايعك بما تشاء. وتكلم رسول الله وتلا عليهم شيء من القرءان ورغبهم في الإسلام وقال: أبايعكم على أن تمنعوني على ما تمنعون به أنفسكم ونساءكم وأبناءكم، هذه البيعة الثانية فيها إشارة إلى الجهاد فتكلم " البراءة بن معروف " من الذين وفدوا من المدينة وقال " والذي بعثك بالحق نبيا ولمنعنك بما نمنع به أُزُرَنا أي أعراضنا فبايعنا يا رسول الله فنحن أهل الحُرب وأهل الحربا أي أهل السلاح ورثناها كابرا عن كابر" وقال ابن الهيثم: إن بيننا وبين الرجال عهودًا وإنا قاطعوها "يقصد اليهود وإذا انتصرت هل أنت راجع إلى قومك ؟ فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: بل الدم الدم والهدم الهدم أنتم مني وأنا منكم المحي محياكم والممات مماتكم.

ثم قال: أخرجوا إليَّ اثنا عشرة منكم يكونون نقباء على بقية المسلمين. فاختاروا اثنا عشر من أنفسهم تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس اعتبروا نقباء أي ممثلين لسبعين وكل من يدخل الدين من بعدهم، ثم قال لهم انفضوا إلى رحالكم. ولا أحد له علم بلقائهم برسول الله . فقال رجل من المسلمين الوافدين اسمه " العباس بن عبادة ": والله الذي بعثك بالحق نبيا لئن شئت لنميلن على

أهل هذا الوادي الآن بسيوفنا " فقال لهم رسول الله: " لم نؤمر بذلك بعد ولكن ارجعوا إلى رحالكم " ويقول "كعب بن مالك " ورجعنا إلى مضاجعنا، لما أصبحنا جاء بعض مشركي مكة قالوا " يا معشر الخزرج قد علمنا أنكم تريدون أن تخرجوا صاحبنا من بيننا وتقاتلونا معه وتبايعونه على حربنا هكذا بلغنا وإنه والله ما من حي من العرب أبغض إلينا من أن ينشب الحرب بننا وبينهم منكم " فتصايح المشركين الوافدين من المدينة قالوا أبدا ما حصل هذا. ويقول كعب فسكتنا نحن. لكن في النهار تتبعوا هذا وعلموا أنه صحيح ولحقوا من عرفوهم وقبضوا على اثنين " سعد بن عبادة " و " المنذر بن عمر " وهم من النقباء الإثنا عشر، أما المنذر فقد أفلت منهم، أما سعد فقد قبضوا عليه، وأخذوا يجررونه في سكك مكة ويضربونه. جاء واحد من أهل مكة وقال له: ويحك أليس لك صلة من أهل مكة هنا " فتذكر سعد قال نعم: أنا كنت أجير " لجبير بن مطعم " و " الحارث بن أمية " تجارهما وأمنع أن يسئ إليهم أحد فنادهما وسمعا وجاءا وأخذاه من بين أيدي المشركين . ونجا بنفسه وعادوا إلى المدينة المنورة.

﴿تحليل المشهد﴾

1. ما الفارق بين البيعتين ؟ البيعة الأولى كان أبطالها اثنا عشرة رجلا والثانية أبطالها بضع وسبعين رجلا، البيعة الأولى تضمنت كل أحكام الإسلام إلا الجهاد، أما بيعة العقبة الثانية فقد حوت بالإضافة إلى ذلك الجهاد.

2. **نحن نتساءل لماذا هذه البيعة ؟الجواب** أن دخولهم في الإسلام تم بشهادتين، وبقي أن يدخلوا تحت إمامة الرسول باعتباره مبلغ عن الله وإمام للمسلمين. الله تعالى قال له: بلغ ما أنزل إليك. لأنك نبي، ثم قال: وان أحكم بينهم بما أنزل الله لأنك إمام المسلمين. ومن هنا نقول أن الدين الذي بعثه الله لنبيه وكانت انطلاقته الكبرى بالمدينة المنورة هو **دين ودولة**. دليل أخر هو أن الخلفاء الذين جاءوا من بعد رسول الله هم خلفاؤه في الحكم، وخطابات الرسول إما أن تكون وحي من الله، أو قرارات منه لكونه إمام المسلمين.

3. لتكن لنا كلمة هنا عن الجهاد القتالي باعتباره ركن من أركان الإسلام إلى يوم الدين كما قال رسول الله " هو الركن الذي ترتعد به فرائس أعداء الله إلى يوم القيامة " وهو الركن الذي يحاولون به بكل جهد أن يجهدوه ويبطلوه ويمزقوه إلى ما هنالك، لهذا هناك تشويه لركن الجهاد، من أجل أن يبعثوا في نفوس المسلمين أنفسهم كراهية الجهاد، أو الخوف منه فسموه إرهاب.

الجهاد إلى الله أنواع سيد هذه الأنواع:

ـ الدعوة إلى الله بالحوار لقوله تعالى: " ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين " هذا كان في مكة. السؤال لماذا أرجئ القتال إلى الهجرة إلى المدينة المنورة ؟ في مكة كان المسلمين أفراد متناثرين في جنبات ذلك البلد لا يملكون وطنا يدافعون عنه، ولا نظام ولا مجتمع إذن الجهاد يكون دفاع عن ماذا ؟ لم يكن إلا العقيدة التي هم مطالبون ببيانها باللطف والحوار والمجادلة بالتي هي أحسن. لما هاجروا إلى المدينة واستقر بهم الأمر وجدت لهم الأرض، والوعاء الذي يحوي المسلمين أي الوطن، ووجد المجتمع الإسلامي والنظام السلطوي.وصار هناك شيء يطمع به العدو، وينبغي للمسلمين أن يهبوا دفاعا عن هذا الوجود. لهذا شرع لهم القتال بالمدينة المنورة.هذا يدل أن الله تعالى شرع الجهاد لا لجر الناس إلى الإسلام جرا وإنما شرعه لدفاع عن مكتسبات المسلمين. لحماية الدولة الإسلامية التي تتألف من أرض ومجتمع ونظام. وسنجد سلسلة الغزوات ما يدل على هذا. والحاقدين على الإسلام قالوا عن الجهاد ما يلي وهم قسمان من فريق واحد : " الأول قالوا أن محمد أعلن الجهاد لأنه حاقد على المجتمع الإنساني، ولأنه أراد أن يدخل الناس عنوة في دينه بطريق السيف والتهديد بالقتل " القسم الثاني قال "لا محمد لم يكن كذلك بل إنه رجل مسالم وديع لا يقاتل أحدا ولا يرفع السيف إلا على من تهجم عليه وكثيرا ما كان مسامح " إن شدة غضب المسلمين من الفريق الأول، تتمة الخطة ما قاله القسم الثاني، و السدج من المسلمين قاموا بتأييد القسم الثاني وتحقق هدف الفريق. ولهذا تجد في كثير من المسلمين من يلغي الجهاد وتجرأ إلى إلغاء آيات الجهاد.

إذا وجدنا أن المسلمين يُتربص بهم في المشرق والمغرب والشمال والجنوب، والطغاة مهما تفرقوا فإنهم ضد المسلمين يتفقون.عندها ما الذي يجب على المسلمين ؟ نركع لهم ونقول ديننا دين مسالمة.أي مغفل يقول هذا الكلام ؟ نحن ربانا إسلامنا على أن نحاور الناس في أمر العقيدة ونجعل بيننا وبينهم جسور الموازين العلمية، ولكن إذا وجدنا أناسا يخططون لقتالنا ، ويتجهون للقضاء على وجودنا الاجتماعي أو الاقتصادي أو الحضاري أو الديني، ماذا نصنع ؟ ننفذ قول الله عز وجل «وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم، ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين » إذن الجهاد ماض إلى يوم القيامة لمن قاتل المسلمين. وقوله "لا إكراه في الدين "هو خبر والدينونة محلها القلب "وقد تبين الرشد من الغي.

(الدرس 19) ☆ ☆ ☆

﴿ المشهد التاسع عشر﴾

إذن رسول الله بالهجرة إلى المدينة المنورة

أهل مكة المشركون علموا أن هنالك توطأ بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وأناس دخلوا في الإسلام من أهل المدينة، فتوجس المشركون خيفة من ذلك واشتدت مظاهر الأذى على المسلمين الموجودين بين ظهراني المشركين في مكة حتى لم يستطع الكثير منهم البقاء والصبر، فجاءوا إلى رسول الله يستأذنوه في الخروج من مكة. فقال لهم رسول الله " قد أخبرت بدار هجرتكم وهي المدينة فمن أراد الخروج فليخرج إليها " ولا ننسى حكمة رب العالمين على إطلاع أهل مكة على الاتفاق الذي جرى بين رسول الله ووفد المدينة المنورة حتى يكون هذا بابا يتسرب منه المسلمون من مكة إلى المدينة، أي مبرر شرعي لخروجهم . وفعلا بدأ المسلمون يتهيئون ويحزمون أمورهم سرًا للخروج تباعا إلى المدينة المنورة تاركين العقار والمتاع وكل ما يملكون في سبيل أن يرحلوا بدينهم إلى الله عز وجل، وأهل المدينة استقبلوهم بكل ترحاب وأنزلوهم في دورهم، كلهم خرجوا خُفيةً إلا واحد أصر أن يخرج مستعلنًا وهو سيدنا "عمر رضي الله عنه " حزم أمره وحمل عصاه وأقبل إلى بيت الله الحرام فطاف بالبيت سبعا ونظر إلى المشركين قائلاً: " شاهت الوجوه لا يرغم الله إلا هذه المعاطس من أراد أن يثكل أمه أو ييتم ولده أو يرمل زوجته فليلقني وراء هذا الوادي " ثم تركهم ومضى، ولم يتبعه أحد. وهكذا تتابع المسلمين في الهجرة ولم يبقى إلا رسول الله وثلة معه.

﴿تحليل المشهد﴾

1. الابتلاء الذي أبتلي به من هاجر من مكة إلى المدينة كان مستمر في بادئ الأمر متمثل في الإيذاء الذي ينالهم من المشركين صباح مساء، أما الآن ابتلاؤهم هو ترك الوطن والعقار وأحيانا ترك جزء من الأسرة وأعْظِم به من ابتلاء. لنسأل أنفسنا ما الذي جعل هذا الابتلاء سهلا سائغًا للمسلمين ؟ الجواب هو الحب لله سبحانه وهو الجناح الثاني للإيمان بعد الإيمان العقلاني. إذا هيمن الحب على القلب طرد حب الله حب الوطن والعقار والمال والأقارب، وعندئذ يسهل الصعب ويلين الحديد، هذا ما فتقدانه ووجده أولائك وسارو بجناحي الإيمان العقلي والحب لله سبحانه وتعالى لنرى

" صهيب الرومي " الذي اعترضه المشركين في الطريق حتى زوجته وقال لهم أترون لو أخذتم كل ذلك وتركتموني أهاجر ؟ فقالوا نعم وتركوه. عند التعارض علينا أن نؤثر محبة الله أنظروا إلى قوله تعالى " ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادًا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبًا لله " ونسأله تعالى أن يطهر قلوبنا عن محبة الأغيار.

2. وعن أهل المدينة وموقفهم عن هؤلاء المهاجرين واستقبالهم لهم بكل ترحاب وفتحوا لهم القلوب قبل البيوت، وأثرهم على أنفسهم بالمال وكل شيء، والولاء في الدين يقوم مقام الولاء النسبي بالنسبة للميراث حيث قال الله عز وجل:" إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير" حتى أمنت كل الأسرة نسخ هذا وبقي الميراث بالنسب.

3. ما حكم الهجرة لأصحاب رسول الله من مكة إلى المدينة ؟ إذا لم يتأتى لمسلم أن يؤدي وظائفه الدينية في دار يقيم فيها، هنا يجب عليه أن يهاجر إلى دار الإسلام. والذي نسخ وطوي هو الهجرة من مكة إلى المدينة بعد الفتح، أما بقية أقطار العالم الحكم باقي. هذا من قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا (98) فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا)

والفقه الإسلامي واحد ولا يمكن لعاقل وعارف بدين الله أن يستعيض عن الهجرة بفقه جديد يناسب حاله في المكان الذي لم يتمكن فيه من تطبيق شرع الله، وبدل أن يهاجروا يغيروا في أحكام الله عز وجل. وليس هناك فقه أقليات وإنما هناك فقه الضرورات.

4. المسلمين عليهم أن ينتصروا فيما بينهم وقد أثنى الله عز وجل على أهل المدينة في أكثر من موضع وخاصة في سورة الحشر، ولكن التحرك لانقاد المسلمين المضطهدين يكون بحكمة و نظام وضبط وليس عشوائيا.

(وفي سورة الأنفال ما يوضح هذه المسألة والأوطان في قوله تعالى : "إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَٱلَّذِينَ

آمَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُمْ مِّن وَلاَيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلاَّ عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِّيثَاقٌ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ" علينا بنصر المؤمن إن طلب النصرمن غير أهل الدار، إلا أن يكون بيننا وبين المعتدي ميثاق فلا ننصره ولو كان الذي طلب النصر مؤمن. والله أعلم، لاعتبارات سياسية. كما هو معمول به الآن.أما إذا كان المعتدى عليه من أهل الدار ينقض الميثاق ولا يعمل به.)

☆ ☆ ☆

﴿ المشهد العشرين﴾

هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم

ورد في الصحيح أن أبا بكر وجد أن مكة قد خلت تقريبًا من المسلمين، وهو حريص على البقاء مع رسول الله، وجاء يستأذن رسول الله في الهجرة. فقال له حبيبنا المصطفى:على رسلك فإني أرجوا أن يؤدن لي

وكم استبشر سيدنا أبا بكر بهذا الكلام قال بأبي وأمي وهل ترجوا ذلك ؟ قال: نعم. فحبس سيدنا أبا بكر راحلته بالرعاية منتظرًا ساعة إذن رسول الله بالهجرة. وجد المشركون أن مكة قد خلت تقريبًا من المسلمين فعلمت أن الرسول أكيد لاحقٌ بهم، واجتمعوا في دار الندوة وخططوا لقتل محمد صلى الله عليه وسلم. خلاصة ما اتفقوا عليه أن يأخذوا من كل قبيلة شابًا جلدًا ويترصدون لرسول الله حين يخرج من داره ويضربونه ضربة رجل واحد، ويتفرق دمه بين القبائل ولا تستطيع قبيلة بني هاشم وبني المطلب أن يتأروا لهم واتفقوا على يوم محدد. والله بالمرصاد حيث أوحى الله تعالى إلى رسوله حول الليلة التي أجمع فيها المشركون على قتله، جاء الوحي أن يهاجر في تلك الليلة وأن لا يبيت في فراشه: " وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين " أي يمزق مكرهم حين يمكرون

ورد في البخاري فيما تروية السيدة عائشة قالت: في يوم من الأيام وقد اشتد الحر، رأينا رسول الله أقبل متقنع أي مثلتم في ساعة لم يكن يخرج فيها رسول الله رآه أبا بكر فقال فدًا أبي وأمي ما جاء به في هذه الساعة إلا أمر فاستأذن رسول الله فقال أخرج من عندك فقال هم أهلي لا أحد غيرهم فقال الرسول: فقد أذن لي بالهجرة.

فأسرع أبا بكر لتجهيز الراحلتين وكانت أسماء حاضرة تساعد أباها وأتت بنطاقها وشقته قسمين فربطت به جراب الأكل، وسميت بذات النطاقين. وأمر رسول الله من " علي بن أبي طالب " أن يتخلف، لكي يرد الودائع الكثيرة التي عنده للمشركين. سبحان الله تناقضات غريبة يتربصون لقتله، ولا يجدون أمينا غيره في مكة يضعون عنده أمناتهم ؟ لكنها العصبية الرعناء وليس الشك في صدق رسول الله ونبوته.

(الدرس 20)

- وكل رسول الله أمر تخطيط الهجرة إلى أبا بكر، أمر أبا بكر ابنه أن يغدوا في كل يوم إلى غار ثور مكان اختبائهما يخبرهما عن أخبار المشركين و تخطيطا تهم، وفي نفس الوقت أمر " عامر بن فريهة " راعي أغنامه أن يغدوا بأغنامه كل يوم إلى غار ثور ليطعما منها ويعود بعد ذلك وراء أقدام " عبد الله بن أبي بكر " لتمحوها، وطلب من رجل من المشركين وهو مسا لم وخبير بالطرقات أن يأتي في وقت معين إلى غار ثور ليدلهما على الطرق الخلفية غير الطريق المعروف بين مكة والمدينة. خطة دقيقة وحيطة كاملة باتفاق مع رسول الله .
- يروي "الإمام أحمد" في مسنده و"ابن اسحاق "أن والد أبا بكر "أبي قحافة" جاء بعد خروج أبا بكر ورسول الله وقال لأسماء: ما أرى أبا بكر إلا وقد أخذ كل ماله ولم يدع لكما شيء فقالت: لا يا أبتاه فقد ترك لنا شيئا كثيرا وقالت فعمدت إلى حجارة وغطيتها بكوة أي منديل وقالت ترك لنا هذا. وهو ضرير وظنا أنها دراهم وقال قد فعل حسنا. وقد أخذ كل ماله احتياطا لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

في الليلة التي اتفق فيها المشركين على قتل رسول الله أحدق هؤلاء الشباب ببيت رسول الله، ومعهم سيوفهم ماضية لكي يقتل رسول الله لمجرد خروجه من الدار، ورسول الله أمر علي أن يبيت تلك الليلة في فراشه ويتغطى بردائه. وخرج رسول الله في أول الليل لكن شاء الله أن يأخذ الرقاد رؤوس هؤلاء المشركين جميعًا وخرج من بينهم وهو يتلو قوله تعالى " وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا وهم لا يبصرون " وروي أنه وضع شيء من الرمال على رؤوسهم. في اليوم الثاني خابت آمال المشركين فيما قد عزموا عليه ن فانتشروا خارج مكة يبحثون في كل سبيل وواد عن رسول الله.

وروي أيضا فيما رواه الشيخان أن " سراقة بن جعشم "كان جالسًا مع قبيلة " بني مثلج " وإذ برجل يأتي يقول لقد رأيت الساعة أسودة أي أشخاص من بعيد ما أُراهم إلا محمد وصحبه، يقول سراقة علمت أن الخبر صحيح لكن أردت أن أُثني عزائم الجالسين، لأن المشركين وعدوا أن من يأتي بمحمد حيًا أو ميتًا يعطونه مئة من الإبل. يقول سراقة جلست ساعة من الزمن لكي يبطئ عزائم المشركين عن الخروج واللحاق برسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول ثم خرجت وأخذت فرسا جَريًا وعدوت عليه إلى الجهة التي أشار إليها ذلك الرجل، و ركض حتى وصل إلى مقربة من رسول الله وأبا بكر، وإذ بأقدام فرسه تسيخ في الرمال، وركب فرسه مرة أخرى وأخذ يركض به إلى رسول الله، فدنا منه فسمع رسول الله يقرأ القرءان ولا يلتفت وأبا بكر يلتفت خائفًا ساخت مرة أخرى أقدام الفرس في الرمال، يقول سراقة عندها علمت أنني ممنوع من رسول الله. فنديتهما بالأمان، فوقفا ووصلت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، واعتذر إليه ودخل الإسلام وتشهد بشهادة الإسلام، وطلب من رسول الله أن يأمره بأي عمل يقوم به من طعام. فقال له رسول الله لسنا بحاجة إلى شيء لكن عَمِي عنا. وهناك من علماء السيرة من أضاف عن الشيخان وقال: أن رسول الله أمسك بيد سراقة وقال: هذه اليد لم تخلق لتقتل بها نبيًا كيف بك إذا فتح الله بلاد الفرس وألبسك سواري كسرى ؟ ورجع سراقة إلى مكة مؤمنا يخفي خبر رسول الله عن المشركين رضي الله عنه.

في اليوم المحدد جاء " عبد الله بن الأرقط " ليريهما الطرق الخلفية التي لا يعرفها المشركون. والمشركون بحثوا عن رسول الله ووصلوا إلى فم الغار وشكله مائل إن وقف أحدهم بجانبه لرأى ما في الغار، عندئذ أبا بكر ساورته المخاوف والخشية وقال يا رسول الله لو أن أحدهم رأى عند قدمه لرآنا، فقال له رسول الله مطمئنًا:" ما ظنك باثنين الله ثالثهما " والله تعالى أعمى أبصارهم عن ما في الغار فبحثوا ثم عادوا. ودل " عبد الله بن الأرقط " الطريق إلى مكة ووصلوا على الأرجح يوم اثنا عشر ربيع الأول، حيث خرج يوم اثنان ربيع الأول، وصل الرسول إلى مكان قباء من ضواحي المدينة، ونزل هناك وأسس مسجد حيث قال عنه بيان الله:" لمسجدٌ أُسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه، فيه رجالٌ يحبون أن يتطهروا " وواصل السير إلى المدينة، وأهلها يخرجون كل يوم ينتظرون مقدمه، إلى أن رأوه قادمًا وكان لهم يوم عيد ويوم فرحة ما مثلها فرحة، وأقبل كثير منهم يمسك بزمام الناقة التي عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجونه أن ينزل ضيفًا عندهم، وقال لهم رسول الله ملاطفا: دعوها فإنها مأمورة أي الناقة. وأخذت تسير يمينا شمالا، إلى أن وصلت إلى

ساحة واسعة، وهي مكان لتجفيف الثمر و أناخت في ذلك المكان، وأشار الرسول إلى المنزل المجاور للمكان وقال ها هنا المنزل وهو منزل " أبي أيوب الأنصاري " هذا الذي أكرمه الله تعالى دون غيره، وبيته غرفتين واحدة بالأسفل والأخرى بالأعلى يقول أبا أيوب: رجوت رسول الله أن يصعد إلى الأعلى. فأبى وقال ذلك أيسر لمن يخشانا ولأهل البيت. فقبل أبا أيوب.

ـ و حكى أنه كان لهم حب أي جرة كبيرة وفي ليلة من الليالي انكسرت، يقول فأخذنا نجفف الماء خوفًا من أن يتقاطر شيء منه على رسول الله، يقول أبا أيوب فنزلت إلى رسول الله أستعطفه في الصعود فقبل. ـ ويحكي أبا أيوب أنه في يوم من الأيام أرسلت له طعامًا ويقول من عادتنا أنا وأم أيوب عند رجوع القصعة نتسابق إلى أماكن أصابع رسول الله بغية البركة، وفي يوم رجعت القصعة وليس فيها أي أثر، فصعد إلى رسول الله فقال: كنت أنا وأم أيوب نتيمم مكان أصابعك، فلم نجد اليوم أثر لها اليوم . فقال: لقد شممت في الطعام رائحة تلك الشجرة يعني الثوم فما أردت أن يتأذى الضيوف برائحة الثوم، أما أنتم فكلوا. وصار بيت أبا أيوب محاط بالناس لرؤية رسول الله عند دخوله أو خروجه، وكان هناك بنات من قبيلة بني النجار إذا رأينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلا يقفزنا ويقلنا غناء: نحن بنات من بني النجار يا حبذا رسول الله من جار. فيدنوا رسول الله إليهن فيقول أتحببني ؟ يقلنا نعم. فيقول والله يعلم أن قلبي يحبكن.

﴿تحليل المشهد﴾

– مكانة أبا بكر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، حيث أن رسول الله لم يختر رفيقًا له في هذه الرحلة المتميزة إلا أبا بكر، وهذا لمكانة أبا بكر عند رب العالمين ورسوله، ومن أحبه الله ورسوله فإننا نحبه رضي الله عنه وأرضاه.

– لنتأمل في خطة الهجرة، رأينا أن سيدنا عمر هاجر مستعلنًا وتحدى المشركين، في حين أن رسول الله اتخذ هذه الخطط الدقيقة جدا من أجل أن يهاجر سرا شأن إنسان خائف أن يفشل في هجرته. لماذا تكون هجرة عمر علنية وهجرة المصطفى بالخفية ما سر في هذا ؟ الجواب سيدنا عمر ليس مشرعا وهجرته هذه حجة على نفسه، وليست حجة لنا، أما رسول الله فهو مبلغ شرع الله أي ينقل لنا شرعة الله عز وجل التي ينبغي أن نأخذ أنفسنا بها، إذن هجرة المصطفى تعليمًا لنا وليس خوفًا، **والدليل على هذا** أن رسول الله بعد أن رتب هذه الطريقة الدقيقة وجمع هذه الاحتياطات وجعل من العقل والتدبير حصن من أجل نجاح هجرته ، رأيناه بعد ذلك

مضرب المثل للأمن والطمأنينة وهذا عند اقتراب المشركين للغار وقوله لصاحبه ما ظنك باثنين الله ثالثهما، **دليل آخر سراقة** عندما لحقه وأصبح على مقربة منه، أبا بكر كان خائف والرسول لم يلتفت إليه أبدًا وكان مستمرًا في تلاوته للقرءان، إذن النبي مطلع أن الله سيعصمه وأنه ناجح في هجرته، وأن الله سيفتح له بلا فارس والروم. علمنا الرسول أن الإنسان المتكل على الله وأن لا ضار ولا نافع إلا الله، عليه أن يتعامل مع الأسباب أيضًا.

– أقام رسول الله أيام بقباء وأسس أول مسجد في الإسلام هناك وأثنى على أهله:" لمسجدٌ أُسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه، فيه رجالٌ يحبون أن يتطهروا ".

– إقامة رسول الله ببيت " أبا أيوب الأنصاري " ومزية هذا الرجل واضحة، لنقف في صورة مقام النبي عند هذا الرجل، لنلاحظ موقف أبا أيوب وزوجه في تلمس أصابع رسول الله في الطعام الذي يرجع إليهما منه فيأكلان من تلك المواضع، يبتغيان بذلك التبرك بأصابع رسول الله، ولنتأمل أنهما ذات يوم رجعت إليهما القصعة كما هي لم تلمسها أصابع رسول الله قط وأقبل أبا أيوب مسرعا جزعا و قال: كنت أنا وأم أيوب نتيمم مكان أصابعك نبتغي بذلك البركة، فلم نجد اليوم أثر لها، فماذا كان موقف رسول الله ؟ كان الإقرار. ها هنا تكمن الحجة، أنه لا حرج من التبرك بآثار رسول الله.

- وقد ورد في الصحيح أيضا أن " عبد الله بن أبي بن سلول " رأس المنافقين عندما مات أتى ابنه " عبد الله " وكان مسلما على استحياء لرسول الله يطلب منه قميصه أن يكفن به أباه لعله يكون شفيعًا له أو مخففًا له يوم القيامة، فخلع الرسول قميصه وأرسله ليكفن به " عبد الله بن أبي بن سلول " وأقر مرة أخرى مبدأ التبرك والآن بثوبه. وورد في الصحيح باب التبرك بآثار رسول الله. أنى لنا أن نفهم معنى حب رسول الله ومعنى التبرك بآثاره حيث لا يمكن لقلب أحب رسول الله حبًا حقيقيًا إلاَّ أن يجد نفسه مندفعًا بتبرك بكل آثاره، وهذا يعبر عن منتهى التوحيد لله عز وجل ومعاد الله أن نشم فيه رائحة شرك لله. وإذ كان الرسول يقول كما ورد في الصحيح: " بتربة أرضنا بريقة بعضنا يشفى مريضنا " إذا كان هذا بتربة المدينة المنورة و بريق الصالحين، فكيف برسول الله ، والمحجوب عن محبة رسول الله لا يقبل هذا الكلام.

(الدرس 21)

﴿ المشهد الحادي و العشرين﴾

كيفية إنشاء أول دولة إسلامية

الرسول صلى الله عليه وسلم بالإضافة إلى كونه نبيًا، فإنه رئيس دولة أيضًا والدليل هو مبايعة الصحابة له وقبول سلطته. الآن وبعد أن استقر مقامه بالمدينة المنورة وهي أول دار إسلام. والأركان التي بنا بها رسول الله هذه الدولة هي ثلاث دعائم:

- المسجد الذي بناه فور وصوله إلى المدينة المنورة.
- الأخوة التي عقد صلى الله عليه وسلم رباطها بين المسلمين المهاجرين والأنصار، والأخوة العامة بين المسلمين.
- الوثيقة أي ما يسمى الآن الدستور .

أولاً: بناء المسجد: كان أمام دار أبا أيوب ساحة واسعة حيث استقر مقام النبي وهي مربد لتجفيف الثمر علم رسول الله أن " أسعد بن زرارة " قد اتخذ هذا المكان لصلاة هو والمسلمين فطلب رسول الله أن يبنى في هذا المكان مسجدًا، فسأل عن أصحاب هذه الساحة فقيل له، هما غلامان يتيمان لم يبلغا سن الرشد. استدعهما الرسول وساومهما في أن تشترى هذه الأرض وتبنى مسجدًا، الغلامان قالا نحن نهبها لك، لكن الرسول رفض وأبى إلا أن يأخذها بالثمن. وابتاعها منهما بعشرة دنانير، وطلب الرسول أن يبنى المسجد فنظروا فوجدوا فيه قبور قديمة للمشركين وأشجار النخيل، وشجر يسمى الغرقد. أمر الرسول بنبش تلك القبور ونقلها إلى مكان آخر وتطيب الأرض وتطهيرها، وأمر باقتلاع تلك الأشجار. وقام المسلمين يتعاونون في بناء المسجد وفي مقدمتهم الرسول صلى الله عليه وسلم، وجعل طوله مئة ذراع وعرضه كذلك أو أقل بقليل ، وأمر أن يبنى الجدار القبلي من جذوع تلك الأشجار وتملأ ما بين جذع وجذع باللَبِنْ وأمر أن يسقف بجريد النخل وأعشاب، وأرضها رمال وحصبة.

﴿تحليل المشهد﴾

نتساءل ما الحكمة من هذا الترتيب لما لم تكن الوثيقة هي الأولى ؟ الجواب أن الأخوة التي عقد رباطها رسول الله بين المسلمين لا تنضج إلا في المسجد، والحب والوئام بين المسلمين لا ينضجان إلا في داخل المسجد، والمساواة والعدالة الاجتماعية لا يوجدان إلا في داخل المسجد. إن المجتمع خارج المسجد ينمي الفوارق والله تعالى أقام الناس متفاوتين لحكمة أرادها، والمطلوب من الدولة

الإسلامية أن تقضي على هذه الحواجز بين المسلمين حيث مع تفاوتهم لا يشعرون بها، والمكان الذي يمكنه تحقيق ذلك هو المسجد.

لنرى المسجد ماذا يصنع ؟ عندما يؤذن لصلاة ما، ونرى إلى هؤلاء الذين توازعتهم الرتب والدخل المالي وما إلى ذلك، نراهم جميعًا يتوافدون سراعًا لحضور صلاة الجماعة ، وفي داخل المسجد تذوب الرتب، وتنظر إليهم لا تستطيع أن تفرق بين غني وفقير،بين أمير وأجير، وبين حاكم ومحكوم، وبهذا يستأنس بعضهم ببعض، وتظهر هنا عبودية الجميع لله، إذا المسجد حطم الفوارق، ومن أجل هذا بدأ الرسول في بنائه لدولة الإسلامية بهذه الدعامة وأسرع في بنائه. الأخوة يعلن عنها لكن البوتقة التي تنضج فيها المسجد، الوثيقة يعلن عنها والتي هي مجموعة مبادئ وأنظمة، وروحها التي تجعل الناس تنقاد لتطبيقها بطواعية واختيار المسجد.

لنتوقف عند حكم شرعي اقتضته المناسبة:

– وهو حكم التعامل عند من لم يبلغ سن الرشد ؟ هل يجوز التعامل معهم مباشرة ؟ من العلماء من قال لا مانع واستدل من فعل رسول الله عندما اشترى من هذين الغلامين الأرض لبناء المسجد. لكن جمهور الفقهاء على خلاف ذلك. والمساومة كان لعم لهما كان يكفلهما. الجواب الثاني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ولي المسلمين جميعا فبحكم هذه الولاية،اشترى هذه الأرض منهم. والآية القرءانية صريحة: " ولا تقربوا مال اليتيم **إلا** بالتي هي أحسن وحتى يبلغ أشده "

– أرض فيها قبور، يجوز نبشها إذا كانت قديمة عبارة عن رميم، وليست موقوفة مقبرة، واحتجنا أن نقوم في المكان مسجدا يجوز.

– لنقف عند حكم تشيد المساجد وزخرفتها ونقشها في الشريعة ؟ و التشييد هو أن تقيم البناء مشيدًا قويًا ذا دعائم، والنبي لم يشيد إسراعا في البناء ولا مانع فيما بعد من التشييد، والدليل الثاني قوله تعالى: " إنما يعمرُ مساجد الله من آمن بالله " وعمران المساجد يكون بتشييدها. أما حكم النقش والزخرفة، هناك فرق بين صرف مال موقوف لبناء المسجد ومال رجل يريد أن يزخرف المسجد من ماله الخاص. فالموقوف للبناء لا يجوز صرفه لزخرفة متفق عليه. أما من أراد الزخرفة من ماله الخاص هنا اختلف العلماء منهم من حرم ومنهم من كره كراهة تنزيه لا ثواب

لمن فعل هذا. الدليل ما كان عليه السلف رضوان الله عليهم منهم سيدنا عمر قال لمن يبني " إياك أن تحمر أو تصفر "

ما الحكمة من هذا ؟ لأن الداخل إلى المسجد فارًا من الأسواق والدنيا وشؤونها، ليخلوا داخل المسجد مع ربه، فتصور وهو متجه إلى القبلة تستقبله هذه الزخارف بألوانها وأشكالها وهو ما يصرفه عن الخشوع وهكذا الإنسان. والمسجد يستقبل الفقراء والأغنياء، والفقير يرى هذا خارج المسجد ويتمنى دخول المسجد كي لا يراها فيجدها أمامه، وبيته ليس فيه شيء من هذا. لهذا المسجد ينبغي أن لا يجد فيه المسلم مهما كانت مرتبته إلاَّ ما يقربه إلى الله.

ثانيا: الأخوة : درج المصطفى بعد بناء المسجد إلى الأخوة بين المسلمين وهي الدرجة العامة بين المسلمين جميعًا، وعقد رسول الله ربط أخوة أخرى بين المهاجرين والأنصار فمثلا جعل " حمزة بن عبد المطلب " و" زيد بن حارثة " أخوين وجعل " أبا بكر الصديق " و " خارجة بن زهير " أخوين و "عمر بن الخطاب" و " عثمان بن مالك" أخوين " وعبد الرحمان بن عوف " مع "سعد بن الربيع " كل هذا كي يتحمل الأنصاري مسؤولية المهاجري، لكون المهاجرين تركوا أوطانهم متجردين عن أموالهم و عقاراتهم

ورد في الصحيح أن " عبد الرحمان بن عوف " قد آخى الرسول معه و"سعد بن الربيع " وإذ بهذا يريد أداء حقوق الأخوة فقال له: أنا لي بستانين وزوجتين، فاختار أحد البستانين وإحدى الزوجتين أتركها لك. وسيدنا عبد الرحمان قال له: بارك الله لك في مالك وأهلك، لكن دلني على السوق. وعوضه الله مالا وفيرا. وبعد أن أكرم رب العالمين هؤلاء المهاجرين وتحسنت أوضاعهم. أجاز النبي الإيجار بعد ذلك. بعد أن كان غير جائز، وهذه هي العدالة الاجتماعية. وعندما أكتمل بناء الأسرة وقويت هذه الدعامة نسخ هذا الأمر وعاد الميراث إلى أصوله الثابتة من النسب.

(الدرس 22)

ثالثًا: الوثيقة: وهي التي اكتتبها رسول الله بين المهاجرين والأنصار وبين المسلمين واليهود الذين كانوا يسكنون مع المسلمين بالمدينة المنورة.

يروي بن هشام في سيرته أن النبي عليه الصلاة والسلام، لم تمضي له إلا فترة قصيرة حتى اجتمع له إسلام عامة المدينة، فاكتتب رسول الله كتابًا بين المهاجرين والأنصار، ودعا فيه اليهود وعاهدهم، وأقر لهم على دينهم وأموالهم وشرط لهم، واشترط عليهم. ووردت في مسند أحمد بسند صحيح.

بنود الوثيقة كثيرة تبلغ نحو ثمانين بندًا، لنقتطع مجموعة منها لأخذ فكرة عنها.

– أول بند فيها هو المسلمين من قريش ويترب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم أمة واحدة من دون الناس.

– هؤلاء المسلمين جميعًا على اختلاف قبائلهم يتعاقلون بينهم ويفدون عليهم بالمعروف والقسط بين المسلمين، أي التضامن والتكافل الاجتماعي.

– إن المؤمنين لا يتركون مفرحًا أي المثقل بالديون بينهم أن يعطوه في فداء أو عقل.

– إن المؤمنين المتقين على من بغى عليهم أو ابتغى دسيعة ظلم أو إثم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين، وإن أيديهم عليه جميعًا ولو كان ولد أحدهم.

– لا يقتل مؤمن مؤمنًا في كافر، ولا ينصر كافرًا على مؤمن.

– إن سلم المؤمنين واحدة لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله إلا على سواء وعدل بينهم.

– ذمة الله واحدة يجير عليهم أبناءهم والمؤمنون بعضهم موالي بعض دون الناس.

– لا يحل لمؤمن أقر بما في هذه الصحيفة وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثًا أي مرتكب جريمة أو أن يؤويه وإنما النصَرة، وإن من نصره أو آواه فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة لا يؤخذ منه صرف أو عدل.

– اليهود ينفقون مع اليهود ما داموا محاربين ، إذا اتجهت عداوة خاصة إلى اليهود، فاليهود هم المسئولون عن رد هذا الظلم ، وميزانيتهم خاصة بهم.

– يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم، إلا من ظلم وأثم.

– إن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم، وإن عليهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة.

– كل ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حذر أو شجار يُخاف فسده فإن مرده إلى الله عز وجل وإلى محمد رسول الله.

– من خرج من المدينة فهو آمن ومن دخل فهو آمن إلا من ظلم وأثم.

– إن الله على أصدق ما في هذه الصحيفة وأبر، وإن الله جار لمن برَّ واتقى.

﴿دراسة مشهد الوثيقة﴾

1. إن هذه الوثيقة حجة ناطقة لأبلغ بيان لا تترك مجالا لشك ولا ريبة أن الإسلام دين ودولة، وأن الإسلام ليس صلة فردية بين العبد وربه فقط، وأن المجتمع الإنساني الذي يلتزم أفراده الإسلام لابد أن يفرز ذلك الدولة الإسلامية. وبنود الدستور هي الدليل الحاسم الجازم على أن محمد صلى الله عليه وسلم بنى دولة إسلامية، وأن المجتمع بالمدينة المنورة هي أول دولة أنشأها رسول الله. ويأتي من يقول وقال أن الدولة الإسلامية منفصلة عن الدين وعلاقة الفرد بربه ومنهم عملاء لبريطانيا. وواقع السيرة النبوية يناقض هذا القول وأكبر دليل على ذلك هذا الدستور، ودليل آخر كون الرسول له مهمتان مهمة مبلغ عن ربه بوصفه رسولا، ومهمة أو شخصية رئيس دولة، وهناك أوامر يصدرها على أساس كونه رئيس دولة مثل إعلان الحرب وإنهائه، المعاهدات، سياسة الأسرى.

2. جل البنود التي ذكرت من هذه الوثيقة تدل على العدالة الاجتماعية التي أرستها الشريعة بين المسلمين واليهود، حيث أعلن المصطفى أن اليهود أمة مستقلة على أرض المدينة، وفي نفس الوقت يتبنى هذا الدستور حماية اليهود على هذه الأرض، وحماية دينهم ولا يجوز للمسلمين أن يظلموا اليهود في انتمائهم الديني، كما لا يجوز لليهود أن يظلموا المسلمين في إنتمائهم الدينية ، وينفقون من أموالهم لمصالحهم الخاصة بهم. هدا يدل على أن الشريعة الإسلامية هي أحنى على غير المسلمين من كل القوانين الأخرى عندما يكونون متعايشين مع غير المسلمين في دولة إسلامية واحدة. دليل آخر على التعايش مع غير المسلمين، عندما فتحت بلاد الشام وطرد منها الرومان المستعمر لها، عندها تنفس أهلها الصعداء، وأصبحت بلاد إسلامية. ماذا كان حال غير المسلمين في القرن الأول والثاني والثالث والرابع والخامس إلى أن جاءت الغزوات الصليبية ؟ كانوا أعزة أحرار يمارسون دينهم دون أي إساءة، وتعطيهم الدولة الإسلامية حقوقهم كاملة غير منقوصة، ولاحظوا الفرق بين الاحتلال الروماني الذي قتّل ونهب وسلب وبين الفتح الإسلامي الذي احتضن ورعى وحمى. وفي الحروب الصليبية أرسل قادة الحروب كتب سرًا إلى زعماء المسحيين في بلاد الشام يسألونهم عن موقفهم، يقولون نحن وافدون ما قراركم الذي اتخذتموه هل الوقوف مع بني قومكم المسلمين أم مع بني دينكم الوافدين ؟ كان جوابهم جميعا الوقوف مع بني قومنا المسلمين. وسجل التاريخ كيف حارب المسحيين والمسلمين فلول الصليبين في خندق واحد.

3. دلت هذه البنود على أحكام عامة في الشريعة ينبغي أن نعلمها وهي:

ـ **الحكم الأول:** من البند الأول " أول بند فيها هو المسلمين من قريش ويترب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم أمة واحدة من دون الناس " الشيء الذي يجمع الأمة في وحدة متآلفة متضامنة إنما هو الإسلام، وكل الفوارق الأخرى تذوب في ضرام الهوية الإسلامية. وغير المسلمين أيضا أمة لم يسأ إليهم ولم يظلموا.

ـ **حكم ثاني:** تبين لنا من البند الثاني والثالث هو التضامن الاجتماعي وما رسمته لنا الشريعة الإسلامية في الضمان الاجتماعي تحدون العدالة، الرحمة، نسيج الوحدة، نسيج التآلف. وإن نفذت الشريعة كما هي لن تجد محتاج أو فقير. لأن مهمة الدولة الإسلامية رعاية مصالح المسلمين والرحمة بهم.

ـ **حكم ثالث:** نقرأه من خلال قول رسول الله "إن سلم المؤمنين واحدة لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله إلا على سواء وعدل بينهم ". الدولة الإسلامية واحدة لنفرض أنها ترامت أطرافها مثل الدولة العباسية مثلا هناك حكم لا مركزي أي مسئول في كل منطقة. هنا لا يجوز لمسئول أو ولي أمر أن يبرم صلح مع عدو إلا باتفاق شامل مع المسئولين الآخرين. سبحان الله لنرى حال المسلمين اليوم إن عقدت دولة صلح مع إسرائيل فإنها مجبرة على الدفاع عن إسرائيل في حالات الاعتداء عليها.الله أكبر. ولهذا قال المصطفى إن سلم المسلمين واحدة . أين المسلمين من هذا الدستور لرسول الله وهم قد عقدوا صلح مع العدو إسرائيل.

حكم رابع: من البند السابع " ذمة الله واحدة يجير عليهم أبناءهم والمؤمنون بعضهم موالي بعض دون الناس ". يعني أن الناس بالنسبة لذمتهم وقيمة أهليتهم الشرعية كلهم سواء. أحد ملاحق لم تثبت براءته يمكن لأي أحد أن يجيره إلا إذا تبت إجرامه عندها ينفد حكم الله. مثال من السيرة " أنه جاءت أخت سيدنا علي رضي الله عنه " أم هانئ " إلى رسول الله بعد فتح مكة قالت يا رسول الله " زعم ابن أمي علي أنه قاتل رجل أجرته ماذا تقول يا رسول الله ؟ قال:" قد أجرنا من أجرتي يا أم هانئ. ورفع سيدنا علي يده عنه. تكريم للمرأة وذمة المسلمين واحدة.

وأوضح لنا المصطفى أن الحكم العدل عند كل شجار وعند كل اختلاف في هذا المجتمع إنما هو كتاب الله وسنة رسول الله. هذه الوثيقة هي دستور المسلمين في كل العصور إلى أن تقوم الساعة.

10. و تنفيذ ما جاء في الوثيقة كان من أبرز ما يدل على العدالة الاجتماعية الدقيقة التي ترعى الحقوق الإنسانية فوق الاختلافات الدينية، والإقليمية والمذهبية وما إلى ذلك. جعل الرسول في

هذه الدولة مقياس الأمة هو العقيدة من خلال أول بند هو "المسلمين من قريش ويترب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم أمة واحدة من دون الناس". وفي قوله تعالى "كنتم خير أمة أخرجت لناس " يقصد بها المسلمين عامة من عرب وغيرهم الذين شرفوا به، " إذن وحدة الأمة تنبثق من عقيدتها التي تتبنى اللغة العربية"

(الدرس 23)

﴿ المشهد الثالث و العشرين﴾

مرحلة الحرب الدفاعية

مع استقرار النبي في المدينة نشأت أول دولة إسلامية بعد بعثة النبي صلى الله عليه وسلم، لوجود المقومات وهي الأرض والأمة والنظام السلطوي، وهنا لابد للمسلمين من حماية الدولة، وناسب أن تبدأ الحرب الدفاعية أي الجهاد آنذاك. وكانت أول غزوة للمسلمين وهي غزوة بدر الكبرى وسببها:

" أن النبي صلى الله عليه وسلم سمع بعير تجارية لقريش آتية من بلاد الشام بإشراف أبي سفيان فندب المسلمين إليها ليأخذوها لقاء ما تركوه في مكة من أموال وعقارات ومدخرات إلى ذلك وهو النذر القليل مما تركوه فخف البعض وتثاقل البعض، وأبا سفيان وهو عائد إلى مكة أخذ يتحسس الأمر وبلغه أن رسول الله خارج لملاقاة هذه العير، فأرسل إلى المشركين يخبرهم بما عزم عليه رسول الله وطلب منهم النجدة، ولما بلغ الخبر المشركين لم يكتفوا بإرسال ما يضمن سلامة العير، وإنما جهزوا جيشًا كبيرًا دعموه بكل ما يستطيعون من العدد، وعددهم ما بين تسع مئة والألف، ورسول الله لا علم له بذلك حيث مضى في ليلة من رمضان مع ثلة من المسلمين عددهم ثلاث مائة وأربعة عشرة تقريبًا، وإبلهم حوالي سبعين يتعقبون عليها، وأثناء خروجهم بلغهم ما قد عزم عليه المشركين في مكة، وأن جيشًا كبيرًا قد خرج لملاقاة المسلمين. أما أبا سفيان فقد استطاع أن يأخذ طريقا خلفيًا وأن ينجوا بعيره من المسلمين، وأخبر قريش أن لا يفعلوا شيئا لأنه أفلت من أيدي المسلمين، لكن المشركين أبَوا ذلك وأصروا إصرارهم على أن يتجهوا لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأعلن أبا جهل أنهم لن يعودوا حتى يقتلوا محمد وينحروا الإبل ويشربوا الخمور وتغنيهم المغنيات ويذكرهم العرب دائما وأن يهابهم ليعلموا شأن المشركين وقوتهم.عندما بلغ رسول الله الأمر جلس يستشير أصحابه ماذا ترون نعود أم نجابه هذا العدد ؟ سيدنا أبا بكر والمقداد حمسا رسول الله باللقاء والصبر و المصابرة وما إلى ذلك. لكن المصطفى صلى الله عليه وسلم لم يقتنع بكلامهما وظل يقول أشيروا

عليَّ أيها الناس. فقال " سعد بن معاد " وهو من الأنصار: كأنك تريدنا يا رسول الله ؟ فقال نعم. فقال " لقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على هذا عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامضي لما أردت فنحن معك، فوالذي بعثك بالحق فلو خضت بنا غمار هذا البحر لخضناه معك. عندها استبشر رسول الله وقال "أبشروا لكأني أنظر إلى مصارع القوم " وأخذ الرسول يتحسس واقع المشركين، وعلم أن العدد كبير، وأن كل صناديد قريش والزعماء موجودون في هذا الجيش. وعسكر رسول الله عند منطقة بها آبار وعند أدنى منطقة بها مياه، وقريبة إلى المدينة. فجاءه رجل من الصحابة وهو " الحباب بن المنذر " فقال: يا رسول الله أهذا منزل أنزلكه الله، أم هو الحرب والرأي والمكيدة ؟ فقال بل هو الحرب والرأي والمكيدة وقال هذا ليس منزلاً نعسكر عند أدنى ماء من مياه بدر إلى المشركين وبقية الآبار تكون وراءنا ونغورها كلها، حتى نفوت على المشركين الوصول إلى الماء. فصوب رسول الله رأي "الحُباب بن المنذر" وتحول إلى المكان الذي أشار إليه. سيدنا " سعد بن معاد " اقترح أن يبنى عريش لرسول الله، ويحرص من أن يصيبه أدى من المشركين، ويتمكن من العودة للمسلمين وأغلبهم بالمدينة، فوافق رسول الله. وفي ليلة الخميس من السابع عشر من رمضان المبارك، أمضى رسول الله تلك الليلة متضرعًا ملتجئًا داعيًا يستغيث يستنزل النصر من عند الله تعالى ومما دعا " اللهم نصرك الذي وعدت اللهم أحليهم الغداة اللهم إن تهلك هذه العصابة فلن تعبد في الأرض " إلى أن أشفق عليه الصحابة ومنهم أبا بكر كفى يا رسول الله أبشر فوالذي نفسي بيده لينزلن الله لك ما وعد. والرسول صلى الله عليه وسلم يواصل دعاءه والتجاءه إلى الله. في صبيحة الجمعة بدأ القتال وأمسك رسول الله حفنة من الحصباء وقال: شاهت الوجوه " ورمى بها المشركين ولم تبقى عين من عيون المشركين إلا وامتلأت من هذا الغبار. وقد ورد في الصحيح أن رسول الله قد أشار إلى أماكن صرعى المشركين بأسمائهم فما تجاوز أحد من صناديد قريش المكان الذي حدده رسول الله، وأيد الله تعالى المسلمين بالملائكة في قوله تعالى: " إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين وما جعله الله إلا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم ". وقتل من صناديد قريش سبعين وأُسِر سبعين أيضا.وعندما وضعت الحرب أوزارها، ألقيت جثث المشركين في إحدى تلك الآبار، ووقف رسول الله على قرب تلك البئر يقول مخاطبًا الموتى: " يا فلان ويا فلان بن فلان أيسركم لو أنكم أطعتم الله ورسوله، فإن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا، فهل وجدتم ما وعد ربكم

حقًا ؟ " فقال له سيدنا عمر: " ما تكلم في أجساد لا أرواح فيها ؟ " فقال: "و الّذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ". ثم إن الرسول استشار أصحابه في الأسرى ماذا نصنع بهم ؟ أما سيدنا أبا بكر فأشار أن يفدوا بالمال. أما سيدنا عمر فأشار أن يقتل هؤلاء الأسرى لأنهم صناديد الشرك. ولكن سيدنا رسول الله حملته الشفقة على أن يأخذ بالرأي الأول، فافتداهم بالمال. لكن الله عز وجل أنزل آيات فيه نوع من إشارة لرسول الله العدل عن هذا الذي اختار في قوله تعالى "ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله إن الله غفور رحيم"

﴿تحليل المشهد﴾

إن هدف رسول الله من الخروج من المدينة هي الحصول على هذه العير، لكن الله عز وجل شاء غير ذلك حيث أفلت العير من أيدي المسلمين واستبدل بالعير النفير أي الجيش هذه الظاهرة تدل على أمرين وهما:

- الأمر الأول حكم فقهي وهو أن أموال الحربيين أثناء إعلان الحرب كلها إذا وقعت في أيدي المسلمين تكون ملكًا لهم، وعلى رئيس الدولة توزيع تلك الأموال بطريقة التي يشاؤها، لا يدخل هنا أهل الذمة وأهل الصلح. على الرغم من مشروعية هذا الأمر، فإن الله تعالى أحب لعباده المسلمين أن يغنموا ما هو أسمى وأغنى وأبقى لهم. غزوة بدر كانت فاتحة لسلسلة من الانتصارات التي كانت من بعد ورسخت مكانة الدولة الإسلامية، وبمقدار انتصار عير أبا سفيان عظيمة بمقدار ما كانت هزيمة جيش قريش عظيمة أيضا والعكس بالنسبة للمسلمين في قوله تعالى:" وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون " الطائفتين هما العير والجيش، أي يريد أن يهيئكم للأغنى والأفضل.
- الأمر الثاني أن الرسول لم يستبد ويستقل برأيه،عندما علم بإفلات العير وإقبال جيش كبير من قريش بل جلس يستشير أصحابه، ندرك من هذا بأن الشريعة الإسلامية تقضي بأن على رئيس الدولة إذا وجد مشكلة لا نص عليها في كتاب الله ولا في السنة، أن يعود إلى مجلس الشورى، وهذا المجلس معلِم وليس ملزِم، أي يسمع للأعضاء ويفعل ما قد شرح صدره له إن كان ذا

بصيرة بشرعة الله.ولكن إذا كان خليفة المسلمين ليس بعالم بأمور الشريعة وليس مجتهد وأعضاؤه علماء بشريعة هنا ينبغي أن يأخذ برأيهم. ودلالة أخرى من هذه الاستشارة لرسول الله أصحابه أن النبي له نوعين من التصرفات وهي تصرفات يبلغنا بها وحيا أتيًا من عند الله وهي **أحكام تنفيذية**، وهناك أمور تركها الله لرسول يتصرف فيها بمقتضى ما يرى فيها خير للمسلمين وتسمى **أحكام الإمامة** أو **أحكام السياسة الشرعية.**

– لماذا سيدنا رسول الله لم يكتفي بجواب سيدنا أبا بكر و المقداد وغيرهم وأصر على سماع رأي الأنصار ؟ الجواب، من بنود الوثيقة " على أهل المدينة أن يدافعوا عليها إذا داهمها عدو" وهنا من حق الأنصار أن يقولوا لا لقتال العدو لأنه لا يتفق مع البند،حيث نحن بعيدين عن المدينة بعدة أميال و"سعد بن معاد "علم هذا فقال نحن معك فيما تقضي. واطمأن النبي أن القوم ليسوا مرتبطين معه على وثيقة وإنما على يقين يجمعهم على شخصية الرسول أنه نبي مرسل من عند الله سبحانه وتعالى.

– من أحكام السياسة الشرعية أيضا: هل لرئيس دولة مسلم أن يستعين من أجل معرفة أسرار العدو ببعض العيون من غير المسلمين ؟ نعم يجوز بشرط وضع هذا الأمر ضمن بصيرته وأمره النافذ. إذا وجد أن هؤلاء موثوق بهم ولا يخشى جانبهم له الحق أن يستعين بهم من أجل أخذ معلومات عن العدو وفعل هذا النبي متنكرا في غزوة بدر فرأى شيخًا فقال له: ما هي معلوماتك عن محمد ؟ فقال الأعرابي من القوم؟. فقال النبي: إن أخبرتنا أخبرناك. فقال الأعرابي: إنني سمعت ورأيت أعداد هائلة من القوم أتو من مكة لقتال محمد. فقال: كم عددهم ؟ قال لا أعلم فقال النبي: كم جمل يذبحون في اليوم ؟ قال: ما بين تسعة وعشرة جمال. فعلم النبي أن عددهم بين تسعمائة وألف. فقال الأعرابي: من أنتم ؟ فقال النبي: نحن من ماء .

– الرسول عليه الصلاة والسلام كان مطمئنًا أن الله سينصره ببدر وما أدل على ذلك عندما قال أبشروا وإذ به يحدد مصرع الكفار بأسمائهم . وورد في الصحيح أنه قال لأبابكر: أبشر هذا جبريل على النقع آت بنصر. نتساءل ما الذي ألجأه أن يمضي ليلة الجمعة كلها ملتجئا متضرعا خائفًا وكأنه غير مطمئن بهذا النصر أبدا ؟ الجواب النبي عليه الصلاة والسلام علم أن الله سينصره، وعلم أن ثمن النصر الذي سيأتيه من عند الله هو اللجوء إلى الله، التضرع على أعتاب الله،التدلل لله سبحانه وتعالى. والرسول في كل أحواله وأفعاله معلمًا لنا وهو يقول لنا إذا أردتم

أن تستنزلوا النصر من عند الله عندما تَدْلَهِمُ الأمور في المسلمين في يوم من الأيام فما عليكم إلا أن تعمدوا لهذا العمل وهو مفتاح النصر وخلد الله تعالى هذا العمل بقوله تعالى: " إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين وما جعله الله إلا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم" من حكام المسلمين قديما إلتجؤوا إلى هذا المفتاح لتحقيق النصر منهم " نور الدين الزنكي " " صلاح الدين الأيوبي " " محمد الفاتح ". وجود الملائكة لربط قلوب المسلمين وازدياد ثقتهم بالله تعالى وهي خارقة من خوارقة نتيجة التضرع واللجوء إليه وحده وما النصر إلا من عند الله ، وهي رسالة من رب العالمين تقول كونوا لي كما أحب أكن لكم كما تحبون.

(الدرس 24)

- **نتحدث عن الحياة البرزخية للأموات:** بعد أن ألقيت جثث الأموات في إحدى الآبار وقف رسول الله على فم القليب أي البئر ويقول: " يا فلان ويا فلان بن فلان أيسركم لو أنكم أطعتم الله ورسوله، فإنَّ قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقًا ؟ " فقال له سيدنا عمر: " ما تكلم في أجساد لا أرواح فيها ؟ " فقال: "و الّذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم " على ما يدل المشهد ؟ يدلنا على أن الموتى ليس عدمًا وليس فقدًا وخطأ أن نقول إعدام فلان أو ننعى لكم فقيدنا. والموت كما هو مفصل في بيان الله وفي سنة المصطفى هو انتقال من حياة إلى حياة أخرى. والإنسان في الدنيا روحه محبوسة جسده، وإذا مات الإنسان تحول الأمر فأصبح الجسد محبوسًا بحساب الروح، وفرق بين من ختم بالحسنى تكون روحه طليقة، ومن ختم بالسوء تكون روحه محبوسة في السجين. فمن هنا وقف الرسول يخاطب الموتى.

- **ننتقل إلى مسألة الأسرى** واجتهاد المصطفى عليه الصلاة والسلام فيهم، واتبع الرأي القائل، ورسول الله كثير الشفقة على أصحابه المهاجرين التاركين لأموالهم وورد أنه لما رآهم قبيل بدر رفع يديه يدعو قائلا:" اللهم إنهم حفاة فاحملهم، وإنهم عراة فاكسهم، وإنهم جياع فأشبعهم " رحمة ساورت المصطفى فأفتى بذلك البارئ عز وجل أنزل قوله:" مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ لَّوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا

ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ" هذا يبين لنا أن المصطفى إذا تأخر الوحي عنه وهناك موقف يقتضي البدء فيه يجتهد، واجتهاده بالنسبة لأصحابه حق دائم ينبغي أن يتبعوه.

- **مسألة الغنائم:** هنا لأول مرة أصحاب رسول الله يمارسون تجربة كتاب، ورؤية الغنائم أيضا أول تجربة، سروا واستبشروا وجاءوا مسرعين إلى رسول الله يسألونه كيف يتقاسمونها. يروي "عبادة بن الصامت " يقول: " آيات في صدر سورة الأنفال نزلت فينا عندما ساءت أخلاقنا في موضوع الغنائم " في قوله تعالى:" يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ ۖ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ " هذه تربية إلاهية. ما الحكمة ؟ أن يتربوا على رؤية الغنائم ليست الهدف لأنه ستأتيهم غنائم أكثر من هذه، عليهم أن يخرجوا هذا التعلق بالمال من قلوبهم، يقول لهم البارئ إياكم راجعوا الهدف الذي من أجله هاجرتم والهدف القدسي الذي قاتلتم في سبيل الله ببدر. صاح المسلمين من غفلتهم وعاد كل واحد يستغفر الله ويبكي ويتألم. ومرت أيام ونسي الصحابة قصة الغنائم كلها نزل قوله تعالى:" وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" يريد منا البارئ أن تكون قلوبنا أوعية لحبه هو وحده، كأنه يقول اجعلوا قلوبكم لي وأنا سأعطيكم الدنيا كلها.

﴿المشهد الرابع و العشرين﴾

قبيلة بني قينُقَاعْ

إن الرسول قضى في الوثيقة أن تكون العلاقة بين المسلمين واليهود علاقة سلم وتعاون أمن وطمأنينة، لكن طبيعة الغدر لابد أن تعلن عن نفسها عند الغائرين، لنستعرض هذا الواقع التاريخي.

يروي ابن إسحاق أن الرسول صلى الله عليه وسلم بعد غزوة بدر مرَّ على سوق بني قينقاع فرأى بعض اليهود وقال لهم ناصحًا واعظًا:" يا معشر اليهود احذروا من الله عز وجل مثل ما نزل بقريش وأسلموا فإنكم تعلمون أني نبيًا مرسل تجدون هذا في كتابكم " فقالوا له: " يا محمد إنك لقيط قوم لا علم لهم بالقتال فأصبت فرصتًا إن والله لو حاربتنا لتعلمنا أننا نحن الناس " ولم يكتفوا بهذا وفيما يرويه ابن هشام والطبري وغيره " أن امرأة جاءت بجلبة أي بضاعة إلى السوق فباعتها، فوقفت إلى

صائغ هناك من اليهود، فأردوها على كشف وجهه وكانت منقبة، فلم توافق على ذلك أبدًا، وجاء الصائغ وربط رداءها من الأسفل وهي جالسة إلى الأعلى دون أن تشعر فلما قامت انكشفت سوأتها واستضحكوا منها، ومر رجل من المسلمين ورأى هذا الأمر فقتل الصائغ، وتجمع أصحابه وقتلوا المسلم فتصايح الناس. وعندما وقع هذا الأمر أقبل المصطفى وحاصر سوق بني قينقاع عدة أيام فجاء " عبد الله بن أبي بن سلول " مسرعًا إلى محمد يقول أحسن في مواليا ولي معهم حلف. فأعرض الرسول عنه، وعاد الثانية ابن سلول يكرر ذلك، لم يلتفت إليه رسول الله، فأمسك "عبد الله بن أبي بن سلول " بجيب رسول الله و أخذ ينثره يقول: أقول لك أحسن في مواليا. فقال له رسول الله: أرسلني وعاد يقول له ويحك أرسلني. فقال له "ابن سلول" لا والله لن أرسلك حتى تحسن في موالي تعاهدني أنك لا تؤديهم أربعمائة حاسر وثلاثمائة ذارع تحصدهم في غداة واحدة إني رجل أخشى الدوائر. فنظر إليه رسول الله فقال: هم لك. واكتفى أن أرسل إليهم بأن يخرجوا من المدينة المنورة. وخرج معظمهم إلى منطقة أدرعاة قرب الشام وهلك معظمهم هناك. عبادة بن الصامت " في الجاهلية هو الأخر كان محالفًا لبني قينقاع. فأسرع إلى رسول الله يقول أما أنا أتولى الله ورسوله والمؤمنين وأبرأ من حلف هؤلاء الكفار وموالاتهم. وفي هذين الموقفين نزل قول الله تعالى:" يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود و النصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين " القسم الأول للمؤمنين أمثال " عبادة بن الصامت " والقسم الثاني إشارة للمنافقين أمثال " عبد الله بن أبي بن سلول "

﴿تحليل المشهد﴾

– هذا الموقف من بني قينقاع يجسد ما هو معروف في التاريخ من أن اليهود ليست لهم ذمة وليس لهم عهد الخيانة تجري في دمائهم والحقد على عباد الله تعالى يهيمن على قلوبهم. حيث كانوا صامتين بعد توقيع الوثيقة وفي داخلهم حقد أخفوه إلى أن انتصر المسلمين في غزوة بدر انتصار ساحق لم يكن متوقع، ولهذا ظهر حقدهم، ظهر من خلال كلامهم لرسول الله لما نصحهم وأشفق عليهم قائلين له أنت تشعر بنشوة لانتصارك في الحرب سوف ترى ما نفعل بك ومع ذلك الرسول ما اعتبر هذا الكلام خيانة، إلى وقع الأمر الثاني وقصة المرأة مع الصائغ كما فصلت في المشهد وهي

خيانة وتمزيق للعقد الذي بينهم والمسلمين، ومع ذلك الرسول لم يقاتلهم بل قال لعبد الله بن سلول " هم لك واكتفى بطردهم من المدينة.

– **موضوع نقاب المرأة** أهو واجب أم لا ؟ الحكم الشرعي هو: إن ثلة من العلماء قالوا أن هذه الحادثة كانت قبل نزول أية الحجاب إذا ما الذي دعاها أن تتنقب ؟ هذا النقاب شيء آخر هما أمران. أن تتنقب المرأة المسلمة عن الرجال ولو كانوا مسلمين هذا شيء، وأن تتنقب المرأة المسلمة مع غير المسلمين شيء ثاني. وأكيد أنها تنقبت لأنها مع اليهود. وعن فرضية النقاب، هناك جمهور من العلماء قالوا يجب على المرأة أن تتنقب عند خروجها من بيتها ولهم أدلة منها ما رواه البخاري في سنده من حديث عائشة رضي الله عنها في باب ما يلبس المحرم عند الإحرام قالت " لا تتلثم ولا تتبرقع ولا تلبس ثوبا به زعفران أي به عطر " وحديث ثاني يرويه الإمام مالك في موطئه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لا تتنقب المرأة المحرمة ولا تلبس القفازين " ونهى المرأة من غير الرجل لأنها كانت تتنقب دليل حكم الشرع. كذلك دليل أخر يرويه مسلم في صحيحه من حديث " فاطمة بنت قيس " لما طلقها زوجها أمرها رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تعتد في بيت أم شريك " ثم أرسل قال لا بيت أم شريك يرتد إليه أصحابي بل اعتدي في بيت " عبد الله بن أم مكثوم " فإنه لا يراك إذا وضعت خمارك لأنه ضرير.

وجمهور آخر من العلماء قالوا أن الوجه ليس بعورة وهم الذين فسروا قول الله عز وجل: إلا ما ظهر منها" أي الوجه. وكلا الفريقين قال: أن المرأة إذا تأكدت أن في الناس إذا خرجت لسوق من ينظر إليها بشهوة اتفقوا أن عليها أن تستر وجهه من أجل المنع عن المنكر. إذن خوف الفتنة.

– **موضوع النفاق والمنافقين:** " عبد الله بن أبي ابن سلول " منافق والرسول يعلم يقينًا أنه منافق، إذا لماذا لم يعامله المصطفى بناءًا على كفره الباطني، وعامله على حسب ما يظهره من إسلامه المزيف ؟ الجواب أن كناك قاعدة فقهية تقول أننا مكلفون في دار الدنيا بأن نتعامل فيما بيننا بناءًا على الظاهر الذي يتبدى لنا ولا ينبغي أن أحكم على زيد من الناس بناءًا على ما شككت من عصيان وغيره والرسول يقول " أما الآن فلا نحكم إلا بما ظهر لنا منكم "وفي الصحيح قال " إنكم تختصمون لدي ولعل بعضكم ألحن بحجته من الآخر فأقضي له على نحو ما أسمع " والنبي لا يجوز عليه أن يحكم بناءًا على ما اطلع عليه. ومحكمة الله هي التي تقضي على ما استقر في القلوب. ذكر لرسول الله أن رجل اتهم زوجته بزنا، وأن فلانا من الناس هو

الذي اقترف الفاحشة في حقه ودعاهما رسول الله لحكم اللعا فتلاعيا فرق النبي بينهما وكانت حامل فلما وضعت حملها قالوا اذهبوا وانظروا إن كان أكحل العينين خدلج الساقين فهو "لشريك بن سحماء" فوجدوه كذلك فقال النبي لولا كتاب الله سبق لكان لي لهما شأن وصدق ما قاله زوجها. وعلينا أن لا نأخذ الناس بظن. إذا علينا الأخذ بالظواهر والله يتولى السرائر وكفانا من تكفير بعضنا البعض. والله تعالى يعلم رسوله كيف يحاور هؤلاء بقوله " وإن أو إياكم لعل هدى أو في ظلال مبين " والحوار البناء هو الذي يبين الضال عن المهتدي . وقوله " قل لا تسألون عما أجرمنا ولا نسأل عما كنتم تعملون " علينا باللطف في الحوار والمناقشة على ما كان عليه السلف الصالح الآخذين من المصطفى الذي أخذه من بيان الله سبحانه وتعالى.

(الدرس 25)

– **التعامل مع المنافقين** الرسول صلى الله عليه وسلم رغم تصرف السيئ لعبد الله بن سلول والذي تفوح منه رائحة الكفر إلا أن رسول الله لم يخرجه من الملة ولم يطرده، ولم يزل منه سمة الإسلام، وعندما مات وقد ورد في الصحيح أن ابنه " عبد الله، أرسل إلى رسول الله أن يرسل إليه ثوبه ليكفن به أباه لعل ذلك يخفف عنه من عذابه يوم القيامة، فاستجاب رسول الله لذلك وخلع ثوبه الذي كان ملتصقًا بجسده الشريفة وأرسله إليه ليكفن به، ولما جيء ليصلى عليه أسرع رسول الله ليصلي عليه، وأقبل إليه سيدنا عمر يذكره بما فعل يوم كذا ويوم كذا، والرسول لم يصغي إليه واتجه لصلاة عليه ولما أكثرت عليه عمر التفت إليه وقال لقد خيرني ربي وقد اخترت. نفهم من هذا أن النفاق لا يلغي سمة الإسلام عن هؤلاء الناس، وإن أيقنا أنه في واقع الأمر كفر. الجانب الظاهر من سلوكاتنا يتم القضاء فيه في دار الدنيا. أما السبيل الذي يقضي فيه الله عز وجل وهي من بواطن الأمور من قصود ونيات . وعند التقاضي أمام رسول الله يقول " إنما نحكمكم بما ظهر لنا من أعمالكم " والحكمة هي: أن لا تفتح أي ذريعة أمام القضاة والحكام لظلم و الابتعاد عن موازين العدالة التي ينبغي للمسلمين أن يكونوا حريصين على تنفيذها. والقاضي يحكم بقرائن الأحوال التي هي بدون بينة في مرحلة التحقيق وليس الحكم. لنفرض أن قاضيا رأى الخصام الذي جرى بين اثنين يتقضيان أمامه هنا لا يقضي بما رأى وإنما ينزل إلى موضع شاهد أمام قاض أخر لسد باب هذه الذريعة. إذا بقدر ما يتألق الوعي الإسلامي لدى

المسلمين، بقدر ما تبتعد ظلال الفتنة عنهم. وبقدر ما يعاني المسلمين بالجهل بدينهم تتسرب الفتن أشكالا وألوانا.

– **ولاية المسلمين لغير المسلمين** رأينا خيانة بني قينقاع للمسلمين و موقف بعض المنافقين، وموقف بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل عبادة بن الصامت وتبرئه من هؤلاء وتوليه الله ورسوله والمؤمنين والبارئ أنزل في ذلك: " يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود و النصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين " ما الموقف الشرعي الذي نفهمه من هذا الموقف ومن هذه الآيات ؟ لا يجوز للمسلمين بأن يتولوا غير المسلمين سواء فرد أو أمة أو دولة. لكن ما معنى ولاية ؟ هي أن يرضى المسلمين أن يكونوا تبعًا لأمة أو دولة غير مسلمة، يحكمون فيطبقون ما يحكمون عليه يرتئون فينفذون الرأي الذي يرتئونه لهم، يشيرون إليهم فينفذون المشورة وهكذا، هذا ما نهى الله تعالى عنه. أما عن العلاقة الندية هذا لم ينهى الله عنه في قوله تعالى:" لا ينهاكم الله في الذين لم يقاتلكم في الذين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الذين وأخرجوكم من دياركم وأظهروا على إخراجكم أن تولوهم" لكن لو أقامت علاقة بين مسلم وكافر جوار شراكة وظيفة علاقة تجارية. هل من ضير في ذلك ؟ لا مانع بل الفقهاء تحدثوا عن أدب بين المسلمين وغيرهم أي غير الحربيين وتشارك أفراحه وأحزانه من تهنئة ومواساة وهي علاقة ندية لا تابع ومتبوع. ديننا يقوم على القواعد العلمية والمنطق ولا يعدر هؤلاء الدين كانت لهم ردة فعل من الخانعين الخاضعين لغير المسلمين، وردة فعلهم جعلتهم لا يفرقون بين علاقة الندية وعلاقة الموالاة، لأنه لم يستطع أن يحرر نفسه من ردة فعله.

﴿المشهد الخامس و العشرين﴾

غزوة أحد

ما سبب الغزوة ؟ هي أن البقية التي بقيت حية من زعماء قريش، اجتمع رأيهم على ضرورة الثأر لقتلاهم، ورأوا أن يستعينوا بعير "أبا سفيان " الذي كان هو السبب بغزوة بدر لتجهيز جيش كبير قوي، وقد انضم إليهم عدد كبير من الأحابيش، بلغ عدد الجيش ثلاثة آلاف وزيادة. سمع رسول الله بالأمر فجمع أصحابه فاستشارهم في الأمر. هناك سبيلان إما البقاء بالمدينة دون أن يحركوا ساكنا حتى إذا وقع الاعتداء هبوا لدفاع. الحل الثاني خروج المسلمين إلى ظاهر المدينة وأن يستقبلوهم بخارجها. أما أولائك الذين لم يكن لهم شرف الاشتراك بغزوة بدر كان الحماس هو الذي يهيمن عليهم ورأيهم الخروج إلى هؤلاء المشركين، و " عبد الله بن أبي بن سلول "كان يرى عدم الخروج. والرسول استجاب لرأي الأول،فدخل داره ولبس لأمة الحرب أي عدة الحرب كاملة وخرج، أثناء غياب الرسول وقع انتداب بين أصحاب الرأي الأول وأصحاب الرأي الثاني، لما ذهب إليهم المصطفى صلى الله عليه وسلم، قال أصحاب لرأي الأول لعلنا استكرهناك على ما لا تريد ؟ إذا شئت لا نخرج إليهم ؟ فقال لهم: " لا ينبغي لنبي لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل" فخرج النبي بألف من أصحابه، أما المشركون ثلاثة آلاف، وما إن وصل المسلمون إلى ظهر المدينة حتى انخذل " عبد الله بن أبي بن سلول " بجمع كبير معه بلغ ثلاث مائة شخص قال لهم: أطاع الشباب وترك رأينا فيما نقتل أنفسنا " تبعهم رجل من الصحابة اسمه " عبد الله بن حراب " أخذ يناشدهم الله أن لا يخذلوا نبيهم، لكنه لم يستجب رئيسهم وقال: لو نعلم قتالا لتبعناكم، أنزل الله عز وجل في حق المسلمين الذين حاولوا أن يثنوا المنافقين عن موقفهم هذا قوله:" فما لكم في المنافقين فئتين والله أركسهم فيما كسبوا أتريدون أن تهدوا من أظل الله " أصبح عدد المسلمين سبع مائة، اقترح بعض الصحابة على رسول الله أن يستعينوا باليهود لأن نص الوثيقة يقول: " إذا اتجه أي عدوان إلى المدينة المنورة فا على أهل المدينة أن يهبوا هبة رجل واحد " النبي قال: لا أستعين بمشرك على مشرك .

عسكر النبي صلى الله عليه وسلم عند سفح أحد، وجعل ظهره والمسلمين إلى جبل أحد، وتوجد هضبة أمامه، فاختار خمسين راميًا أن يكونوا حماة لظهور المسلمين في تلك الرابية،وأمر عليهم رجل اسمه " عبد الله بن جبير " وقال لهم:" قوموا على مصافيكم فاحموا ظهورنا فإن رأيتمونا قد انتصرنا فلا تشركونا أي في الغنائم، وإن رأيتمونا نقتل فلا تنتصروا لنا " هكذا أمرهم صلى الله عليه وسلم، وأخذ يراقب أصحابه ويهيئهم للقتال. أقبل طفلان اثنان كلاهما لا يتجاوز الخامسة عشر " رافع بن خديج " و" ثمرة بن جلثم " نظر الرسول إليهما فرأى أن أحدهما أقوى من صاحبه ربما "رافع

بن خديج " والأخر لم يشأ أن يقبله جنديا معه وأقبل إليه "ثمرة " يقول والله إني لأصرع الرافعة أي من صرعني أصرعه فأقبل ليقاتل هو الأخر، بعد إلحاح منهما. وأمسك الرسول السيف بيده وقال: من يأخذ هذا السيف بحقه ؟ أقبل " أبو دجانة " قال: أنا أخذه بحقه. فأعطاه إياه ورجع " أبودجانة " إلى مكانه يتبختر. فقال رسول الله: "إن هذه المشية يكرهه الله إلا في هذا الموقف " وأخرج عصابة حمراء فعصب بها رأسه جاعلا الموت نصب عينيه فا اقتتل الناس وحميت الحرب، واقتتل المسلمون قتالا شديدا وفي مقدمتهم أبو دجانة و " حمزة بن عبد المطلب " و " مصعب بن عمير " وهم ممن استشهد في هذه الغزوة، وسرعان ما انكشف المشركون وهزموا و ولو الأدبار وتركوا الغنائم وراءهم، لكن ماذا حصل ؟ إن هؤلاء الرماة الذين وصفهم رسول الله في تلك الهضبة البعض منهم قال لما وقوفنا هنا المسلمين يتعاقبون الغنائم والكفار ولوا فقال: " عبد الله بن جبير " لا الرسول نهانا وقال كذا وكذا. اختلفت اجتهاداتهم، البعض منهم نزل وبقيت ثلة بسيطة من هؤلاء الرماة، فنظر خالد بن الوليد " فوجد أن الهضبة التي كانت تحمي ظهور المسلمين معظم من فيها قد نزل وخلت من الرماة، فاستدار وسرعان ما وصل إلى تلك الهضبة وقتل من هناك وهكذا جاءت السهام للمسلمين من ظهورهم، وعندئذ اختلط الأمر وأصبح المسلمين يقاتلون على غير هدى، وانكشف المسلمون وقتل منهم عدد كبير، وانتشا المشركون بالنصر الذي لاح لهم بعد الهزيمة، حتى وصلوا إلى رسول الله حيث كسرت رباعيته وشدا وجهه ووقع في كمين، وشاع في المسلمين أن رسول الله قد قتل، فأصبح المسلمين فريقين، منهم ضعاف الإيمان قالوا ما وقوفكم هنا مادام محمد قد قتل لنذهب. لكن " أنس بن نضر " قال ما حياتكم بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم.

من التضحيات التي ظهرت في هذه الغزوة، يروي البخاري في صحيحه أنه لما كان يوم أحد انهزم الناس على النبي صلى الله عليه وسلم، وكان " أبا طلحة " بين يدي رسول الله كان راميًا وكان يجوب نفسه على رسول الله ويرمي المشركين والرسول منحين لأخر يرفع رأسه لينظر حال المسلمين والمشركين ويقول له أبا طلحة يا رسول الله لا ترفع رأسك يصبك سهما من القوم نحبي دون نحبك، يأتي " أبا دجانة " فترس بنفسه لحماية رسول الله والنبل يتلاحق في ظهر " أبا دجانة " وهو منحن على رسول الله صلى الله عليه وسلم. زياد بن سكن " هو الأخر جوب من نفسه على رسول الله حتى قتل هو وخمسة من أصحابه يمنعون السهام أن تصل إلى الرسول وأخرهم " عمارة بن يزيد " قاتل حتى أثبتته السهام وقع مدرجا بدمائه فقال الرسول عليه الصلاة والسلام أدنوه مني فوضع رأسه

على فخد رسول الله وأسلم الروح وهو على هذه الحال. أخذ المنافقين واليهود يهزجون ويرقصون ويفرحون ويعلنون عن انتصاراتهم. وأنزل الله عز وجل في سورة " آل عمران " آيات كثيرة فيها بيان لسبب النصر في بادئ الأمر وسبب الهزيمة فيما بعد، وأول هذه الآيات قوله " وإذ غدوت من أهلك تبوء المؤمنين مقاعد للقتال والله سميع عليم".

(الدرس 26)

غزوة حمراء الأسد: عاد رسول الله وأصحابه مساء السبت، وباتوا الليلة يداوون جراحاتهم، في صباح الأحد، أمر الرسول بلال رضي الله عنه أن الرسول يأمركم بطلب العدو وقال لا يخرجنا معنا إلى من شهد معنا القتال بالأمس. ودعا رسول الله بلوائه الذي كان معقودًا بغزوة أحد فأعطاه لعلي رضي الله تعالى عنه، وسرعان ما ستجاب القوم لنداء رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرجوا وهم ما بين مجروح ومشجون، لم يتح لهم أن ينظروا إلى جراحاتهم وخرجوا مع الرسول ولا يعلمون إلى أين، مضى بهم رسول الله حتى تجاوز المدينة بمقدار عشرة أميال، ووصل إلى مكان اسمه **حمراء الأسد** وعسكر هناك الرسول ومن معه وكان الوقت ليلا، وأشعلوا نيرانًا عظيمة في ذلك المكان، في تلك الأثناء مرَّ بالمسلمين رجل مشرك اسمه " معبد الخزاعي " ورأى حانة المسلمين تركهم ومضى متجه نحو مكة، في الطريق رأى المشركين وهم يزمجرون وهم منتشون بالنصر، وكانوا يتراوضون ويتشاورون في العودة إلى المدينة ليجهزوا على المسلمين وعلى رسول الله، وكأنهم خطئوا أنفسهم برجوعهم إلى مكة وهم منتصرون. فلما رأوا " معبد " آتيًا من جهة المدينة، سألوه ما وراءك يا معبد ؟ فقال ويحكم لقد رأيت بالمسلمين حنق شديدًا عليكم، وقد جمعوا جموعًا كثيرة لكم، وهم ماضون متجهون لقتالكم. فداخلهم الرعب من هذا الكلام، وعادوا مسرعين متجهين إلى مكة.وبات الرسول في ذلك المكان ثلاثة أيام، ثم إنه عاد أدراجه إلى المدينة المنورة، هذه الغزوة ذيل لغزوة أحد.

﴿تحليل المشهد﴾

1. مبدأ التشاور الذي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم شديد التمسك به في كل ما يحتاج إلى تشاور، أي فيما لم ينص البيان الإلهي على حكم بشيء واضح ورأينا في المشهد تفاصيل ذلك ورأي الفريقين، نرى هنا أن الرسول لما دخل ولبس لأمة الحرب وخرج إليهم، ندم الذين أشاروا عليه بالخروج هنا الرسول لم يستشر بل قال لهم: " لا ينبغي لنبي لبس لَأْمَتَهُ أن يضعها حتى يقاتل" لماذا ؟ لأن إمام المسلمين مكلف لاسيما في الحرب الاستشارة ثم بعد ذلك اتخاذ القرار، وهذا نفهمه من

قول الله تعالى:" فإذا عزمت فتوكل على الله " والحكمة واضحة التراجع عن القرار يفهم منه ضعف وتخاذل، وقوله تعالى:" وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله ".

2. للمنافقين في هذه الغزوة مشهدًا بارزًا وحسبكم من ذلك موقف " عبد الله بن أبي بن سلول " خرج مع المسلمين في بادئ الأمر ولم يكن من رأيه الخروج، ثم انخذل ومعه ثلاث مائة شخص من أتباعه، من أجل أن يدخل الضعف والوهن في نفوس المسلمين، وهو دور جيد لإبرازهم وتمحيص المؤمنين عن المنافقين. صحيح المنافق يقضى معه على أنه مسلم مادام يظهر الإسلام، والله تعالى في الفتن والابتلاءات يمحص المسلم من غيره، والمنافق يندمج مع المسلمين من أجل غاية واحدة وهي أن ينال مغانم المسلمين. ويستفيد من المغارم التي يتقيها المسلم، إذا الابتلاءات من أجل التمحيص قال تعالى:" ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين، فإن يمسسكم القرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين".

3. قيل لرسول ألا نستعين بموالينا اليهود ؟ وتجاهل الرسول ما كان في الوثيقة وقال: لا أستعين بمشرك على مشرك وفيما يرويه ابن سعد " في طبقاته أن الرسول قال:" لا نستنصر بأهل الشرك على أهل الشرك " هذا يدل أن المسلمين إذا اتجهوا لرد عدوان أحدق بهم لا يجوز لهم أن يستعينوا بغير المسلمين أيا كان. لكن جمهور الفقهاء منهم الشافعية قالوا: أن هذه المسألة داخلة في حكم الإمامة والسياسة الشرعية أي نحيل هذا الأمر إلى بصيرة ولي أمر المسلمين، فإن اعتقد ولي أمر المسلمين أن هؤلاء جاءوا يعرضون خدماتهم ليكونوا عونًا للمسلمين على أعدائهم، وإذا وثق ولي أمر المسلمين بأنهم صادقين ومخلصون فيما قد يعرضون يجوز الاستعانة بهم سواء الحروب أو ما دون ذلك، أما إذا لم يثق بهم فلا يجوز. الدليل على هذا أن الوثيقة التي اكتتبها رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن أهل المدينة كلهم ينبغي أن يهبوا هبة رجل واحد في الدفاع عن المدينة، ووجد الرسول كرئيس دولة أن المصلحة تقتضي عدم الاستعانة بهم. ونرى أن الرسول استعان بصفوان ابن أمية " وكان مشرك آنذاك بأسلحة استعارها منه في غزوة حنين.

4. الطفلان " رافع بن خديج " و" ثمرة بن جلثم " أقبلا إلى رسول الله ليقبلهما جنديان في الغزوة، فأجازهما بعد إلحاح منهما. الغريب المضحك أن محترفي الغزو الفكري يقولون أن طبيعة المجتمع هي الحروب والفتن ولهذا تربى هؤلاء الأطفال على ذلك ونفوسهم تواقة إلى ذلك، ويغمضون

أعينهم عن أشياء أخرى مثل انخذال " عبد الله بن أبي بن سلول " وثلاث مائة الذين معه.والمغفلين من المسلمين يصدقون ذلك. لنرى إلى موقف " خالد بن الوليد "كان من الفارين، وظهر استبساله عند دخوله إلى الإسلام.لأنه يتمثل لديه عندما يطرق باب الموت قوله تعالى:" ولئن متتم أو قتلتم لَإِلاَ الله تحشرون ".

5. حال المصطفى وهو يرتب الجيش الميمنة والميسرة والقلب والحامية من وراء ظهر المسلمين التي في الرابية، هذا يدل على البراعة العسكرية في كيان رسول الله وهي ثمرة نبوة رسول الله، ولأن الله حمله مهمة الدفاع عن الإسلام ومواجهة أعداء الله سبحانه وتعالى.

6. والأهم من هذا أننا نلاحظ من خلال وصية رسول الله للحامية التي وضعها وراء المسلمين، نفهم أن الوحي قد أنبأه بما سيحصل، عندما قال لهم " فإن رأيتمونا قد انتصرنا فلا تشركونا أي في الغنائم، وإن رأيتمونا نقتل فلا تنتصروا لنا " وهذا ينبهنا إلى ضرورة انقياد الجنود لقرارات قادتهم دون تساؤل عن الكيفية والعلة وما إلى ذلك. قد نتساءل لماذا خالف هؤلاء أمر رسول الله وكانوا سبب الهزيمة ؟ الجواب

ـ أولا كان المسألة مخالفة منهم في الظاهر ولكن هي اجتهاد منهم في الحقيقة رغم أنه لا يحق لهم ذلك لكنهم ليسوا معصومون وقد غفر لهم ذلك.

ـ نتذكر أيضا السيف الذي حمله رسول الله وقال من يأخذ بحقه، فأخذه أبو دجانة وأخذ يتبختر وقال له رسول الله: مشية يكرهه الله إلا في هذا الموضع، وأخرج عصابة حمراء عصبها في رأسه أنه واضع الموت نصب عينييه. دل ذلك على أن الاستكبار الذي هو منبع المحرمات وهو ممنوع في كل الأحوال إلا في حالة واحدة وهي أثناء مواجهة العدو وهي من وسائل الانتصار وهي حرب نفسية لمواجهة أعداء الله، ولذلك تجميل الأسلحة بنقوش الفضة لا حرج في هذا لأنها تبعث في صاحبها القوة والجرأة ورفع الرأس ، في حين لا يجوز استعمال الأواني الفضية. لكن التباهي الذي مارسه أبا دجانة محمود جدا والشاعر يقول:

ومما زادني شرفًا وتيهًا وكدت بأخمصي أطأ الثريا

دخولي تحت قولك يا عبادي وأن صيرت أحمد لي نبيًا

7. لب الفائدة من هذه الغزوة لكأن المسلمين يُحَارَبُونْ بأسلحة حقيقية وكلها من أجل العبر والدروس ولو كانت سلبية وهي ترسخ في المسلمين دروس إيجابية، وغزوة أحد تنقسم إلى شطرين،

الأول كان لنصر نادر كغزوة بدر، وما هي إلا ساعات واندحر المشركين وولوا الأدبار ثلاثة آلاف أدخل الله في قلوبهم الرعب من سبع مائة، الشطر **الثاني** يتمثل في الخطأ الذي وقعت فيه تلك الحامية التي وضعها رسول الله لحماية ظهور المسلمين وعددهم خمسة وعشرون والكل هم خمسون، وتحول النصر خلال دقائق إلى هزيمة تامة، والبارئ عز وجل هو مقلب القلوب إذ لفت عيني خالد بن الوليد إلى تلك الرابية التي كانت تحمي المسلمين وقتلوا من فيها وتوجهوا بالنبال إلى ظهور المسلمين، وهكذا قتل من قتل وجرح وتكسرت رباعية الرسول وسقط على شقه وشج وجهه وشيع في المسلمين أنه قتل. والله تعالى وصف في سورة آل عمران أسباب النصر في الشطر الأول وأسباب الهزيمة في الشطر الثاني

قوله تعالى: " ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين إذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم في أخراكم فأثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم والله خبير بما تعملون ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا يغشى طائفة منكم وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون هل لنا من الأمر من شيء قل إن الأمر كله لله يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم إن الله غفور حليم

إن الدرس المستنبط من الغزوة أنه عندما ينتشر خطأ في صفوف الجيش، ينبغي أن يتوقعوا هذا الأمر رغم أنهم من القلة ونجد هذا في قوله تعالى " واتقوا فتنة لا تصبنا الذين ظلموا منكم خاصة " هذه سنة رب العالمين، ولو قارنا خطأ تلك الثلة من الصحابة وهو خطأ اجتهادي وأخطاءنا اليوم أن تخسف بنا الأرض، وما أكثر ما يتعمده المسلمين من انتهاك لحرمات الله، من تضيع لشرائع الله، وشعائر الإسلام واستخفاف بدين الله.

(الدرس 27)

8. لاحظنا أن رسول الله أصابه رشاش من الخطأ الذي وقع فيه أصحاب رسول الله، ولكن أخطر ما وقع له صلى الله عليه وسلم هي الشائعة التي انتشرت بين المسلمين بأنه قد قتل، وكان لها تأثير كبير على نفوس المسلمين، وكثير منهم قال فيما نبقى على هذا النهج مادام الرسول قد قتل ورد عليه آخرون بل فيما حياتنا إن كان الرسول قتل، ما الحكمة من هذا ؟ كثير من المسلمين لا يتصورا غياب رسول الله عنهم، واعتقدوا أن هناك التزام بين إيمانهم وبقاء رسول الله معهم من شدة تعلقهم به، فالبارئ عز وجل شاء أن يجعل من هذه المسألة أشبه ما يكون بالمناورة الحية من أجل تهيئة نفوس المسلمين لهذا الحدث الكبير إذا حان ميقاته وأنزل الله عز وجل تعقيبا لهذا الذي أصاب المسلمين أي الهزة التي زلزلت مكان العقيدة قوله تعالى: (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ) هذه الآية حصنت نفوس أصحاب رسول الله ومكان العقيدة فيها، ولقد تبين أثر هذه الحكمة الباهرة يوم وفاة رسول الله فعلاً حيث أن هذه الآية هي التي تبتت المسلمين على النهج والعقيدة وسنرى ذلك في خطبة" أبا بكر" عند وفاة رسول الله.

9. رأينا وقع الموت من أصحاب رسول الله الذين كانوا يجعلون من أنفسهم حصون لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويُجَوِبُون بأنفسهم عليه ليقي بنفسه حياة رسول الله من مكروه، ورأينا كيف أن سهام المشركين كانت تتوالى على ظهور هؤلاء وهم لا يشعرون إلا بنشوة واجب الحماية لسيدنا رسول الله، وقد مات منهم من مات رضوان الله عليهم . نتساءل ما الذي جعلهم يستعذبون الموت بهذه الحالة وينتشون؟ أولا هو إيمانهم القوي لله ورسوله وحبهم الشديد لله ورسوله وهذا الذي سما بهم إلى هذه الدرجة إنه الحب وهو الذي يقود الإنسان إلى السلوك.

10. ورد في الصحيح وغيره أن الرسول صلى الله عليه وسلم أمر يوم أحد بأن يدفن قتلى المسلمين بدمائهم وأن لا يصلى عليهم، هذا ثابت، ولما كان عددهم كثير والوقت قصير أمر أن يجمع أكثر من واحد في قبر واحد وقيل أنه صلى عليهم عشرة بعد عشرة، والأصح أنه ورد في الصحيح أن الشهيد لا يغسل ولا يكفن ولا يصلى عليه، وأنه يبعث لونه لون دم وريحه مسك.

11. عودة المسلمين إلى المدينة وما كانوا يعانونه من جروح مساء وفي فجر اليوم الموالي أمر رسول الله أن ينادي مناديه بالخروج لكل من شارك في أحد مع رسول الله. ما الحكمة ؟ الخطأ الذي

وقع يحتاج إلى كفارة وهو هذا الأمر، والمسلمين لم يتفرغوا لشؤونهم قط بل سمعوا نداء رسولِ رسولَ الله، لنرى كيف أن هذه الكفارة قلبت الهزيمة نصرًا وبدون أي ثمن ، خرجوا وعسكروا حيث أمرهم رسول الله وكان الوقت ليلا وأوقدوا نيرانًا كثيرة، ومر بهم رجل اسمه " معبد " ورآهم واتجه إلى مكة، ووجد المشركين في الطريق، يتشاورون في رجوعهم إلى المدينة مادام محمد حي وجماعة من أصحابه لنعد لقتلهم جميعا لنجتث هذا الدين من الجذور في تلك الأثناء مر " معبد " أتيا من أطراف المدينة، سألوه ما وراءك يا معبد ؟ قال: تركت محمد وأصحابه وأسنانهم تصطك حنقا منهم وكلهم آتون ليقضوا عليكم وليهلكوكم وهكذا كان يتصور. وأدخل الله رعبا شديدا في قلوب المشركين من كلام هذا الرجل وولوا الأدبار مسرعين إلى مكة. وسجل الله تعالى هذا الدرس في محكم كتابه في قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ * الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ * فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ * إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ متى نتمثل هذا الأمر الرباني ؟ وإلى متى نخاف أولياء الشيطان ؟ إلى متى نخاف من أمريكا ؟؟إلى متى نحسب لها مليون حساب ؟ وهي عبارة عن مخلوق دليل ضعيف هزيل من خلق الخالق سبحانه وتعالى. ويحدرنا المولى بقوله:" إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ "

(الدرس 28)

﴿المشهد السادس و العشرين﴾

حادثة يوم الرَّجيع و فاجعة بئر معونة

وقعت في السنة الثالثة للهجرة تتلخص في أن وفدا من قبيلة عضل والقارة وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر أن أخبار الإسلام قد وصلت إليهم، وأنهم بحاجة إلى من يعلمهم الإسلام، فاختار رسول الله نفرًا من أصحابه ست أو سبعة ومن خيرتهم فيهم " مرثد بن أبي مرثد الغنوي " و " خالد ابن البكير "و " عاصم بن تابت " و " خبيب بن عدي " و " وزيد بن الدثنة " و " عبد الله ابن طارق " وأمر عليهم رسول الله " عاصم ابن تابت " توجهوا إلى تلك الجهة التي أشار إليها الوفد ساروا حتى وصلوا إلى منطقة بين مكة وعسفان سمع بخبرهم حيا من قبيلة هذيب

يسمى " بني لحياء " وهم مشركون فتبعوهم وهم في مائة رام تقريبا وتبعوا أثارهم حتى وصلوا إلى مكان فيه نوى ثمر وفحصوها فعرفوا أنها من نواة المدينة، فظلوا يتبعون أثارهم حتى لحقوهم، فلما انتهوا إليهم لجأ أميرهم وهو " عاصم بن تابت " إلى رابية عالية فرارًا من القوم ولكن هؤلاء الرماة المشركين أحاطوا بهم وأخذوا يصيحون لكم العهد والميثاق إن نزلتم إلينا ألا نقتل منكم رجل، وظلوا يحلفون ويقسمون ويؤكدون أنهم لا يريدون بهم شرًا. فقال " عاصم " أما أنا فلا أنزل في ذمة كافر اللهم أخبر نبيك عنا، فقاتلوهم حتى قتلوا وبقي ثلاثة " خبيب " و" زيد بن الدَّثنة " وعادوا يعطون لهم المواثيق أننا لا نؤذيكم ولا نسيء إليكم فنزلوا إليهم لما نزلوا و استمكن المشركون منهم حلوا أوثار قفيهم وربطوهم بها، الرجل الثالث قاوم حتى قتل. والآخران استقوهم إلى المدينة وهدفهم المال ويبيعوهم لأصحاب الثأر. لما وصلوا إلى مكة جاء أولا الحارث فاشتروا خبيب الذي قتل الحارث يوم بدر، أخذوه وحبسوه بدار إلى أن يأتي الميقات الذي يقررون فيه قتله، تقول بنت الحارث استعار مني خبيب شفرة ليستعد بها للقاء ربه فأعطته، ولما كانت غافلة عنه إلى بعض شؤونها بحثت عن صبي لها وإذ به في حجر خبيب يلاطفه ويداعبه كأنه أبوه اتجهت إليه مرعبة فقال لها: أتخشين أن أقتله ؟ ما كنت لأفعل ذلك إن شاء الله. وقالت: ما رأيت أسيرًا قط خيرا من خبيب لقد رأيته يأكل من قطف عنب وما في مكة يومئذ ثمرة وإنه كان مثقل بالحديد وما كان إلا رزقا رزقه الله إياه . وأخيرا خرجوا به إلى الحرم ليقتلوه وقال لهم دعوني أصلي ركعتين، وهو أول من فعل هذا قبل القتل وبعدها قال " والله لو أن يرى ما بي جزع من الموت لاستكترث من الصلاة " وقال أبيات منها

ولست مبال حين أقتل مسلما على أي جنب في الله كان مصرعي

وذلك في دين الإله وإن يشأ يبارك على أوصال شيم ممزع

وقام إليه "عقبة بن الحارث" فقتله ثأرا لأبيه. وهذا جاء في البخاري بصحيحه يرويه أبا هريرة وغيره

عاصم قتل أيضا وطلب الكفار بجثته ولم يعثروا عليها. ويزيد الطبري قال حدثنا جعفر بن عوف عن إبراهيم ابن إسماعيل قال وأخبرني جعفر بن عمر ابن أمية عن أبيه عن جده " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه عينًا على قريش قال:" فجئت إلى خشبة خبيب التي صلب عليها وأنا أتخوف العيون فرقيت فيها فحللت خبيبًا أي يريد أخذها إلى المدينة فوقع إلى الأرض فانتبذت غير بعيد فالتفتت فلم أرى لخبيب ذمة فكأنما الأرض ابتلعته ". ابن اسحاق في سيرته قال " أما زيد

فابتعه " صفوان ابن أمية " فلما خرجوا به إلى الحرم ليقتلوه قال له " أبو سفيان ":" أنشدك بالله يا زيد أتحب أن محمدً الآن عندنا مكانك نضرب عنقه وأنك في أهلك آمن مطمئن ؟ أنشدك الله أن تجيبني ؟ قال:" والله ما أحب أن محمد الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤديه وأني جالس في أهلي " وقال أبو سفيان ملتفتًا إلى صحبه " ما رأيت من الناس أحدًا يحب أحدًا كحب أصحاب محمد لمحمد ".

الحادثة الثانية هي: حادثة فاجعة بئر معونة : وقعت في أوائل السنة الرابعة للهجرة ملخصها: أن رجل من زعماء نجد أسمه " عامر بن مالك " يكنى بملاعب الأسنة " أقبل إلى رسول الله فعرض عليه الإسلام، وأظهر تجاوبًا مع الإسلام فقال: يا محمد لو بعثت رجال من أصحابك إلى أهل نجد فدعوهم إلى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك ؟ فقال عليه الصلاة والسلام فإني أخشى عليهم أهل نجد والمشكلة التي قبلها لم يجف دماء أصحابها بعد ؟ فقال عامر أنا أجيرهم أي أحميهم فابعثهم ليدعوا الناس إلى أمرك. فبعث رسول الله سبعين رجلا من خيار أصحابه إلى نجد في شهر صفر بعد أربعة أشهر من غزوة أحد. فساروا حتى نزلوا مكانًا يسمى ببئر معونة، وبعثوا واحد اسمه " حرام بن ملكان " بعثوه بكتاب من رسول الله إلى " عامر بن طفيل " من زعماء المشركين. ولما وصل إليه فلم ينظر إلى كتابه بل عاد عليه رأسًا فقتله. روى البخاري " أن " حرام بن ملحم " لما طعن وانتضح الدم في وجهه صاح **فزت ورب الكعبة** ثم استصرخ عامر بن طفيل بني عامر يستعديهم على بقية لدعاة يدعهم إلى قتل البقية فأبو أن يجيبوه فقالوا لن نغفر أبا براء **عامر بن مالك** وهم في ذمته، فاستصرخ عليهم من أناس من قبائل **سليم وعصية ووعل و ذكوان** ولبوا وأحاطوا بالقوم كإحاطة السوار بالمعصم وقاتلوهم إلى أن قتلوا جميعًا، لكن هنالك اثنان بعيدين عن صرح هؤلاء الدعاة واحد منهم اسمه **عمرو بن أمية الضمري،** وكأن الله أبقاهما ليعودا بالخبر إلى رسول الله وذهبا لدفاع عن زملائهم قتل زميله وأفلت هو وقيل أن(فعمرو بن أمية ومعه واحد من الأنصار كانوا أخذين الإبل التي كانت للقراء أخذينها يرعونها، فحدثت المقتلة والجماعة يرعون، وهم يرعون فجأة رأوا الطيور محلقة فوق مكان أصحابهم، فقالوا إن لهذه الطيور لشأن، فاقتربوا حذرين , نظروا من فوق التل، فإذا أصحابهم كلهم قتلى والقوم واقفين على رؤوسهم، فهنا تشاوروا، قالوا ما الرأي، قال عمرو أنا رأيي نرجع للرسول صلى الله عليه وسلم نخبره، فقال الأنصاري، والله ما كنت لأربأ عن نفسي بمكان قتل فيه المنذر بن عمرو والله ما كانت لتخبرني به الرجال، (من شدة حبة

للمنذر بن عمرو يريد أن يموت معه) فهجم الأنصاري على الكفار يريد أن يقتلهم وحده فقتلوه، فعمرو بن أميه لما رأى الأنصاري، أخذته العزة، فهجم عليهم لكنهم ما قتلوه، أسروه، أسر عمرو بن أميه، فقال له عامر بن الطفيل: من أين الرجل ؟ فعرف عن نفسه، قال: من بني ضمره ، قال عامر بن الطفيل : إنَّ أمي قد نذرت أن تطلق عبدا من ضمره (ضمره كلهم أحرار ماهم عبيد أنظر هذا النذر , فالآن يتحقق لها هذا النذر) فالآن سأطلقك وفاء لنذر أمي فحلق رأسه علامة العبودية وأطلقه) وفي الطريق لقي **عمرو بن أمية الضمري** رجلان كافرين ظنا انهما من الناس الذين قتلوا إخوانه فتربص بهما وقتلهما، وفيما بعد تبين أنهما ليسا من القوم الذين اعتدوا على إخوانه. ولما وصل إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره الخبر قال الرجلين من قبيلة " بني كلاب " يجب أن أدفع دية كل منهما لأهله. وتأثر المصطفى تأثرا كبيرًا لمقتل هؤلاء الدعاة الصالحين، وبقي شهر يدعو عقب صلاة الفجر على قبائل **سليم وعصية ووعل و ذكوان و بني لحيان.** وقنوت رسول الله هذه المدة روي في الصحيحين للبخاري ومسلم ومن هنا عرفنا مشروعية قنوت النادبة.

﴿تحليل المشهد﴾

من العضات والعبر والدروس التي يمكن استخراجها من الحادثتين ما يلي:

1. إن الدعوة لله والتعريف بدين الله سبحانه وتعالى حتى في عصر رسول الله لم يكن كلا منهما وقفًا على رسول الله بل كان واجب على سائر المسلمين ودليل على ذلك ما فعله يوم الرجيع ورأينا كيف أنهم قتلوا، وبعد أشهر جاء من يطلب إرسال دعاة إلى الله إلى نجد وكل منا يتوقع أن لا يوافق على هذا وعهد الحادثة التي قبل هذا لقريب والرسول لا خيار له لا بد أن ينفد أمر الله في قوله " ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون " بدل سبعة، سبعين وكل منا عليه قسط من الدعوة إلى الله على مبدأ قوله تعالى " لينفق ذو سعة من سعته " العالم على مستوى البلدة وطالب العلم على مستوى الحي، والمسلم المثقف يعلم أهله، علينا في أثناء الدعوة ننضبط بمبادئ الدين وأحكامه.

2. في حكم إقامة المسلم في ديار الغرب، أن الإنسان الذي لا يتأتى له تنفيذ أوامر الله و الابتعاد عن نواهيه في حق نفسه وأسرته لا يجوز له البقاء هناك، أما الذي يتاح له أن يلتزم بأوامر الله فلا يحرم له ذلك وإن كرهه بعض العلماء. في هذه المناسبة نضيف إلى هذا الكلام شيئًا نقول: " إن خروج هذا الشخص من أجل الدعوة إلى الله فترتفع الكراهة عندئذ " نجد كانت دار كفر لكن

الرسول صلى الله عليه وسلم أرسل ثلة من أصحابه إلى تلك البلاد دعاة إلى الله عز وجل ويثاب صاحبه وهو أهم لون من ألوان الجهاد في سبيل الله، وهي بوابة الجهاد. وكثيرون قفزوا هذا الباب إلى قتال تحت راية عمية الذي نهى عنه رسول الله أي المقاتل لا يعرف من يقوده، وهذا أمر خطير.

3. إذا تجاوزنا كل ما تنطوي عليه حادثة الرجيع وبئر معونة لدلالة واضحة على ما كانت تفيض به قلوب المشركين من حقد وغل على رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين. لنقف عند مسألة مهمة وهي أن القوميين العرب، كانوا ولا يزالون يصفون العرب بأوصاف غالية جدا شهامة مروءة النجدة الوفاء بالعهد هل هذا صحيح ؟ الذي حدث يوم الرجيع وهذه الثلة التي حوصرت وكان على رأسها"عاصم بن تابت " ألم يكونوا عربًا الذين وصفهم القوميون فما الذي حدث منهم ؟ كانوا المثل الأحط والأدنى في اللؤم والخيانة، هذا واقع وهو نموذج واحد وهي كثيرة من هذا القبيل. عاهدوهم وأقسموا لهم الأيمان المغلظة وصدقهم من صدقهم منهم خبيب والدَّثنة ووضعوا عهودهم تحت أقدامهم من أجل ذريهمات بسيطة، والذين تشبثوا بالإسلام واكتشف هويته عبدا لله أنظروا مادا فعل طفل جلس بحجره وقادر أن يساوم حياة بحياة وقد ينجح، نقول هل عروبته هي التي صدته عن ذلك ؟ قوميته ؟ شهامته العروبية ؟ أبدا إسلامه هو الذي صده عن ذلك، وتربيته الإيمانية، ولهذا ارتعدت أم الطفل ظنا منها أن يفعله أمثالها، ولكنه تبسم لها وطمأنها قائلا أتظنين أني سأقتله ؟ ما كنت لأفعل ذلك إن شاء الله.والإسلام هو الذي أوجد العروبة وليس العكس. إذا المكانة التي يتبوأها الإنسان لا يتبوأها بسلم القومية و إنما بالمعتقد.

4. مما سبق يتبين لنا حكم شرعي وهو: أنه يجوز للأسير في يد العدو أن يمتنع من قبول الأمان وأن لا يمكن من نفسه ولو علم أنه سيقتل، أي لا يستسلم. وله أن يهرب من الأسر إن تمكن من ذلك حسب رأي الفقهاء.

5. المكرمة التي حدثت عنها بنت الحارث والتي وقعت لخبيب رضي الله عنه عندما وجدت بيده قطف العنب شتاء وليس بمكة العنب وروى هذا البخاري في صحيحه. نفهم من هذا القاعدة التي قالها علماء العقيدة وهو:" أن كل ما جاز أن يكون معجزة لنبي جاز أن يكون كرامة لولي " إلا فارق واحد أن معجزة النبي مصحوبة بتحدي وإعلان النبوة، في حين أن الكرامة التي تجري في يد رجل صالح من الأولياء لا تكون مصاحبة لتحدي ما.والقاعدة هي أن نرى هذا الإنسان مستقيم على أوامر الله بعيد عن المنكرات، ولا يتحدى الناس بهذه الخوارق إذا هي مكرمة، أما إذا رأينا

خلاف ذلك فلنعلم يقينا أن هذا الإنسان دجال. والولي عرفه الله تعالى في كتابه " ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم ." التقوى مأخوذة من الوقاية أي الحذر أي الابتعاد عن الوقوع في حدود الله عز وجل. وكثير ما نسأل بشرى الحياة الدنيا كيف تكون ؟ الإنسان الذي رضي الله عنه وأكرمه بالاستقامة لابد قبل الخروج من هذه الحياة الدنيا أن يتلقى البشارة من الله عز وجل. والذي خلط عمل صالح بغيره فالأمر عائد إلى الله سبحانه.

6. ما الحكمة من أن يمكن الله يد الغدر على هؤلاء الذين خرجوا محبين لله دعاة صالحين، مضحين في سبيل الله ومحبين لرسول الله ؟ الجواب يتلخص في أن الله عز وجل ألزم عباده بأمرين اثنين،

الأمر الأول: أن يسلك النهج الذي أمره الله عز وجل به بعد الإيمان بالله

الأمر الثاني: أن يسير في تنفيذ هذه الأوامر على أرض فيها كثير من الأشواك والعقبات والأخطار، حتى يتضح صدق استقامة هذا الشخص على أوامر الله، وصدق أدائه لضريبة العبودية لله عز وجل ونجد هذا في قوله تعالى:" إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ "

اشترى بمعنى أنك متوطن ومتيقن لتقديم حياتك ومالك وكل ما تملك ضحية في سبيل الله عز وجل، هنا يظهر صدق الصادقين ويمتاز المنافقين عن غيرهم. ويقول تعالى في موضع آخر:" ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ "

(الدرس 29)

﴿المشهد السابع و العشرين﴾

إجلاء بني النظير

الإجلاء لهذه القبيلة كان لخيانة قدرة ارتكبوها وكان يوم الثاني عشر ربيع الأول سنة رابعة للهجرة، سببها كما يروي ابن سعد في طبقاته: " أن "عمر بن أمية " الضمري " وهو واحد من السبعين الذين بعثهم رسول الله دعاة إلى نجد وهو بقي و الآخرون قتلوا، أثناء رجوعه تحدثنا أنه لقي شخصين ظن أنهما من الذين اعتدوا على إخوانه فقتلهما، لكن تبين أنهما ليسا كذلك، وهما من قبيلة بني كلاب وكان بينهم والمسلمين حلف أي سلم. ورأى رسول الله أن عليه دفع دية لكل واحد من هذين القتيلين . ونرجع إلى نص الوثيقة وفيها: على المسلمين في علاقتهم بعضهم مع بعض، وفي علاقة المسلمين مع اليهود كمواطنين في المدينة المنورة أنهم عليهم جميعا أن يفدوا عانيهم أي أسير، وأيضا يتعاونون في دفع دية فيما إذا قتل شخص على يد أي واحد من أهل المدينة خطئًا. فالنبي بناء على ذلك اتجه إلى قبيلة بني النظير، حيث صلى بمسجد قباء يوم السبت صلاة الظهر ومعه ثلة من المهاجرين والأنصار، ثم اتجه بعد ذلك إلى قبيلة بني النظير. فكلمهم بلطف أن يعينوه في دفع دية هذين الشخصين اللذين قتلا خطئا من قبيلة بني كلاب. فقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم:" نفعل يا أبا القاسم " فوقف رسول الله تحت ظل جدار ينتظر. وذهب اليهود ليتشاوروا فيما بينهم، في سبيل أن يجمعوا المال الذي يستطيعون حسب الظاهر لكن أحدهم وهو " عمروا بن جحاش النظري " قال:" هذه فرصة وأنا أظهر على البيت أي فوق سطح البيت فأطرح عليه صخرة تكون فيها أجله " وإرتأ هذا اليهودي أن يعلو السطح ويرمي بصخرة حيث يقف رسول الله . يروي سعد هنا أن " سلم بن مشكم " وهو يهودي أيضا حذر من ذلك وقال لهم:" لا تفعلوا والله ليخبرن بما هممتم وإنه لنقض العهد الذي بيننا وبينه " أي في نيته لن ننجح وقالها خوفا على نفسه وأصحابه. فجاء رسول الله الخبر من السماء لما قد عزم عليه يهود بني النظير. فتظاهر المصطفى وكأنه يريد أن يقضي حاجة، ولكنه توجه مسرعًا إلى المدينة، نظر أصحابه يمينًا وشمالاً فلم يجدوه فلحقوا به. فقالوا: يا رسول الله قمت ولم نشعر لجماعة ذهبت لتأتي بالمال ؟ فقال:" همت يهود بالغدر فأخبرني الله عز وجل بذلك فقمت " ثم أرسل المصطفى صلى الله عليه وسلم إليهم:" أن أخرجوا من بلدي فقد هممتم بما هممتم به من الغدر وقد أجلتكم عشرًا فمن رُئِيا في المدينة بعد ذلك ضربت عنقه " فأخذ اليهود يتهيئون للخروج الجريمة واضحة. لكن " عبد الله ابن أبي ابن سلول " جاء ليتدخل في الأمر مرة أخرى، أرسل إلى يهود بني النظير يقول لهم:" لا تخرجوا فأقيموا في حصونكم معي ألفين من قومي وغيرهم يقاتلون عنكم " فعادوا وصدقوا ما قاله لهم. فأمر رسول

الله بإعداد العدة لمحاربتهم فحاصرهم رسول الله، وهم في حصونهم ومعهم النبل والحجارة يرمونها إلى المسلمين. ولكن " عبد الله بن أبي بن سلول " لم ينفد ما وعدهم به، واستمر حصارهم ولما اشتد بهم الحصار، أمر رسول الله بقطع نخيلهم، وإتلافها. فنادوه من حصونهم من النوافذ يصيحون قائلين:" يا محمد قد كنت تنهي عن الفساد وتعيبه على من يصنعه فما بال قطع النخيل وتحريقها؟ ولكن الله عز وجل أنزل تأيدًا لعمل المصطفى صلى الله عليه وسلم في قوله:" ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزي الفاسقين " ولما يئسوا من صاحبهم المنافق ورأوا ألا مناص لهم من القتل، نزلوا على أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخرجوا من المدينة. لكن رسول الله أرسل إليهم يقول:" الآن لا أقبله لكم إلا على دماؤكم فقط وليس لكم من أموالكم إلا ما حملته الإبل " وتفرق هؤلاء اليهود ما بين خيبر والشام،ولم يظفر بالإسلام منهم إلا اثنين " يمين بن عمير ابن كعب " و" أبو سعد ابن وهب " فأحرزا أمالهما وعاشا مع المسلمين في المدينة في سلم وأمان. قسم رسول الله الأموال التي غنمها من بني النظير على المهاجرين دون الأنصار. الذين هم أصحاب البلد والعقارات والأراضي، والمهاجرين جاءوا تاركين كل شيء في مكة، إلا بعض البيوت التي اقتسمها الأنصار معهم. وأموال بني النظير خاصة برسول الله، أي يضعها حيث يشاء لأنه تحصل عليها بدون قتال. وكان الرسول يزرع تحت نخيلهم قوت سنة، يأخذ من ذلك قوت سنة لنفسه وأزواجه، وما فضل من ذلك كله يجعله في الكراع والسلاح. ونزل في قصة بني النظير وإجلائهم سورة كاملة وهي سورة الحشر وفيها يقول الله سبحانه وتعالى في هذا المال الذي تركه بني النظير قوله:" وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ ۚ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ."

﴿تحليل المشهد﴾

1..مرة أخرى يبين لنا التاريخ لونًا آخر من ألوان خيانة اليهود التي تسري في دمائهم ولا تزال، والخائن لا يلدغ إلا نفسه وهي الحقيقة التي عرفت من التاريخ، والرسول صلى الله عليه وسلم لم يسئ إليهم وعليه أن لا يسئ إليهم والله تعالى يقول:" ولا يجرمنكم شانئان قوم على أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب لتقوى " أي مهما كان بغضكم لقوم فلا يحملكم ذلك على ظلمهم. واليهود هم

الذين غدروا بعد أن قالوا له نفعل ما تحب لكنهم ذهبوا يخططون لقتله، ودراستنا لتاريخ تبين لنا تصورنا في معاملتنا لهؤلاء كيف ينبغي أن تكون.

2. **حكم شرعي:** قاله كثير من الفقهاء وهو: أن مقاتلة المسلمين للمشركين، ليست من أجل إرغامهم على الإسلام وإنما من أجل كف يدهم من الحراب. قبيلة بني كلاب مشركين ومع ذلك كان بينها وبين رسول الله حلفًا وكان مسالما ومدافعًا عنهم، وفتح مكة من نتائج دفاع رسول الله على قبيلة بني كلاب. ورغم أن القاتلين اللذان قتلهما عمرو بن أمية خطئا مشركان إلا أن رسول الله وجد أنه ينبغي أن يدفع الدية لوليهما أو ورثتهما. كل هذا دليل على أن الحرب أو الجهاد ليس غرضه إرغام المشركين على الدخول في الإسلام وهو هذا الحلف مع بني كلاب، وهذه الحادثة مما ستدلل به كثير من الفقهاء أن قتال المسلمين لغير المسلمين لكف أيديهم عن الاعتداء.

3. **حكم فقهي:** الرسول صلى الله عليه وسلم عندما حاصر يهود بني النظير، حيث ركب اليهود رؤوسهم ولم يشاءوا أن ينزلوا على أمر رسول الله، أمر عندئذ باقتلاع النخيل وأخذوا يتصايحون من النوافذ ويقولون :" يا محمد قد كنت تنهي عن الفساد وتعيبه على من يصنعه فما بال قطع النخيل وتحريقها؟ ورأينا أن بيان الله أيد هذا الذي فعله رسول الله في قوله:" ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزي الفاسقين " والحكم الشرعي هو: جمهور الفقهاء قالوا أن الأمر داخل في فصل الإمامة والسياسة الشرعية أي تخريب البيوت وقطع النخيل عندما تكون حرب مع المشركين، وليست من أحكام التبليغ. وتصرفات النبي تنقسم إلى قسمان منها تصرفات وأوامر ونواهي تبليغية وهي لا تتغير. وهناك تصرفات يقوم بها بوصف كونه رئيس دولة، حيث ينتقي ما هو الأصوب لمصلحة المسلمين. ويجوز العقوبة بالمال إتلافًا لا امتلاكا .

4. الرسول لما رجع إلى المدينة سأله أصحابه قالوا:" يا رسول الله قمت ولم نشعر الجماعة ذهبت لتأتي بالمال ؟ فقال:" همت يهود بالغدر فأخبرني الله عز وجل بذلك فقمت " هذا الذي فعله رسول الله هو وحي لهذا قال: فأخبرني الله عز وجل، ولا نقول ألهم أو فراسته دلته على ذلك لا بل أخبر.

5. المال الذي جاءه من بني النظير جعله الله تحت سلطته، وهو من أحكام السياسة الشرعية. وكان أيضا

يزرع تحت نخيلهم قوت سنة، يأخذ من ذلك قوت سنة لنفسه وأزواجه، وما فضل من ذلك كله يجعله في الكراع والسلاح. هذا النهج على ما يدل ؟ على أن المصطفى ماله والدنيا شيئا بل قال عن نفسه كجالس تحت شجرة ثم تركها ومضى.

(الدرس 30)

6.حكم ما تركه الأعداء للمسلمين سواء بعد قتال أو عدم وجود قتال. أجمع فقهاء المسلمين أنه إذا وقعت غنائم في أيدي المسلمين أموال من أعدائهم بدون قتال، فأمر هذه الأموال عائد إلى رئيس الدولة، يطبق فيها مصلحة المسلمين وهو ما يسمى بالفيء وبين الله تعالى حكمه:" وما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب " ومن ثم فقد جعل الله أمر هذا الفيء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ووزع أكثرها على المهاجرين، ونظر إلى حال الفقراء من الأنصار فأعطاهم. أما الغنائم التي يتركها الأعداء بعد قتال، فإن التي تستهلك تقسم لقوله تعالى:" واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل " أما العقارات فقد اختلف في شأنها علماء الشريعة، أما المالكية والحنفية فترى " أن إمام المسلمين يرى في ذلك ما تقتضيه المصلحة إما أن توزع أو تبقى في ملك الدولة لتستثمر، هؤلاء رأوا إلى ما فعله سيدنا عمر بعد حرب القادسية لسواد العراق وهي أراضي زراعية أن تستثمر جيل بعد جيل إلى يوم القيامة " الشافعية ترى" أنه لا فرق بين العقارات والأموال التي تستهلك أي كلها توزع "

﴿المشهد الثامن و العشرين﴾

غزوة ذات الرقاع

كانت بعد شهر ونصف من إجلائه صلى الله عليه وسلم لبني النظير أي في العام الرابع للهجرة سبب الغزوة هو ما فعله بعض قبائل نجد بأولئك السبعين القراء الذين قتلوا إلا "عمرو بن أمية الضمري " حيث جهز رسول الله جيشًا ثأرا لهم، ولكن في الحقيقة أن رسول الله لما خرج من المدينة ونصب في مكانه "أبا در الغفاري" ووصل إلى نجد وتوغل بين قبائل نجد وعسكر في مكان اسمه نخل

من أرض غطفان، أدخل الله الرعب في قلوب تلك القبائل فولوا هاربين ولهذا سميت بغزوة ذات الرقاع وعمليًا ما حصل فيها القتال قط. ووقعت في هذه الغزوة أمور يجدر بنا أن نقف عندها :

1. **لماذا سميت بذات الرقاع ؟** الجواب أنه ورد في الصحيحين من حديث " أبا موسى الأشعري " قال " وقد خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة كنا ستة أشخاص نعتقب بعيراً لنا حتى نقبت أقدامنا وسقطت أظافرها فعمدنا نلف الخرق على أقدامنا، لهذا سميت بذات الرقاع لانعدام الأحذية. أبا موسى ندم بعد ذلك مما قال لأنه رأى أنه أسقط أجره عند الله تعالى.

2. **الحادثة الثانية** هي أن رسول الله صلى لأول مرة صلاة الخوف لوجود أناس يمكنهم الهجوم على المسلمين في كل لحظة، وقسم الرسول المسلمين إلى قسمين قسم أمره أن يحرص المسلمين وأن يتجه إلى العدو ويراقب تحركاتهم وقسم اقتدى برسول الله وصلى بهم ركعتين بينما رسول الله يقرأ في الركعة الثانية هم قد أتموا وسلموا وذهبوا حيث إخوانهم، وجاء هؤلاء واقتدوا برسول الله وهو ما زال في الركعة الثانية وأتموها معه ثم قاموا وأتموا لأنفسهم الركعة الثانية. وهكذا يكون عندما يكون العدو في جهة والقبلة في جهة ثانية.

3. **الحادثة الثالثة:** هي عندما قفل رسول الله عائدًا إلى المدينة المنورة، في الطريق تعبوا و أدركتهم القائلة وقد وصلوا إلى واد كثير الشجر فالنبي أمرهم أن يستريحوا في ذلك الوادي فاستراحوا تحت ظلال تلك الأشجار والنبي أيضا تمدد في إحداها حيث علق سيفه في تلك الشجرة. ويروي جابر يقول " نمنا نومة بسيطة ثم أيقضنا رسول الله ودعانا إليه يقول فجئنا إليه وإذا عنده أعرابي غريب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" إن هذا اخترت سيفي وأنا نائم فاستيقظت وهو في يده سلطًا وقال لي: من يمنعك مني ؟ قلت:" الله " فهاهو ذا أمامكم جالس . حيث لما قال الله سرت رعدة في جسم الأعرابي وسقط السيف من يده. لم يعاقبه رسول الله وكانت عاقبة ذلك أن دخل الإسلام قلبه.

4. **الحادثة الرابعة:** ما يرويه الإمام أحمد في مسنده وابن اسحاق في سيرته أيضا من حديث جابر قال:" خرجنا مع رسول الله أصيبت امرأة من المشركين فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم قافلا ولم يتبين كيف أصيبت ومن مَن جاء زوجها رآها تعاني من جرحها فأقسم أن يتعقب رسول الله وأصحابه ولا يرجع حتى يهرق بينهم دمًا وتتبع أثر رسول الله في تلك اللحظة كان الوقت ليلًا نزل رسول الله وأصحابه ليستريحوا فقال من يكلؤنا ليلتنا هذه ؟ فانتدبا اثنان واحد من

المهاجرين والأخر من الأنصار فقال لهما كونا بفم الشعب والجهة الثانية يوجد مثلهم. فلما بدأ مهمتهما قال الأنصاري للمهاجري أي الليل تحب أن أكفيكه؟ فقال له المهاجري بل اكفيني أوله. فاضطجع المهاجري وقام الأنصاري يحرص وقام يصلي. وزوج تلك المرأة يبحث ولعله أدرك أصحاب رسول الله يستريحون في ذلك الوادي رأى سواد رجل واقف وهو الأنصاري الذي يصلي رماه بسهمه تابع الأنصاري صلاته وتبث قائمًا أتبعه بسهم أخر أصابه أيضًا وبثالث ونظر وإذ بدم يشخب منه عندها قال لصاحبه قم فقد أسبتتُ قام الرجل قال: لماذا لم تناديني عند السهم الأول الذي أصابك ؟ قال: " كنت أقرأ سورة من كتاب الله عز وجل و والله لولا واجب أمرني به رسول الله لقطع نفسي قبل أن أقطعها .

5. كل رواة السيرة رووه عن جابر قال:" خرجت مع رسول الله إلى غزوة ذات الرقاع على جمل لضعيف، فلما قفل رسول الله راجعًا جعل الغزاة يسرعون وجعلت أتخلف حتى أدركني الرسول صلى الله عليه وسلم، لكونه يتعقب أصحابه ويسأل من المتخلف ؟ وعندما تخلف هنا جابر انتظره رسول الله، لما وصل إليه قال له: مالك يا جابر؟ قال: يا رسول الله أبطأ بي جملي هذا إنه ضعيف. قال: أنخه قال: فأنخته. وأناخ رسول الله ناقته. قال أعطني هذه العصا. ويقول جابر أخذها ونخس بها ناقتي نخسات و والله قامت تسابق ناقة رسول الله. وبقي جابر ورسول الله بعيدين عن الجيش يقول سيدنا جابر، أخذ رسول الله يحدثني قال لي: أتبعني جملك يا جابر؟. قال جابر: بل أهبه لك . قال له: بل بعني. فقال جابر: فساومه. قال: هل تبعني بدرهم. قال: لا يا رسول الله إذا تغبنني. قال: فبدرهمين. قلت: لا. إلى أن جعل قيمة هذا الجمل أقية من فضة. قلت: يا رسول الله أرضيت ؟ قال: نعم. قلت: فهو لك. قال: فإذا وصلنا المدينة إتني به. ثم قال لي: هل تزوجت يا جابر أم ليس بعد ؟. قال: نعم لقد تزوجت. قال ثيبا أم بكرًا ؟. قال: بل ثيبًا يا رسول الله. قال: هل لجارية تداعبها وتداعبك. قلت يا رسول الله توفي والدي في أحد وترك لنا سبعة أولاد فأحببت أن أتزوج امرأة جامعة تجمع رؤوسهن. فقال: حسنًا فعلت. أما لو جئنا وسمعت زوجتك بمقدمك فإنها ستنفض نمار قها أي البسط و الزرابي.فقال: والله يا رسول الله ليست لنا من نمارق. أما إنها ستكون، فإن وصلنا إلى المدينة فاعمل عملاً كيسًا. ومن عادة النبي عند عودته من غزوة عسكر في ضواحي المدينة بياض ذلك اليوم، حتى يسمع أهل المدينة بعودتهم ويتم تهيئ في البيوت لمقدمهم، من لطف رسول الله صلى الله عليه وسلم. يقول جابر في اليوم الموالي جئت ذلك الجمل فأنخته عند

باب المسجد ودخلت المسجد، فلما خرجنا. وجد رسول الله ناقة تبرك أمام باب المسجد. فقال: لمن هذه ؟ قالوا: هذه لجابر. فقال لجابر خذ ناقتك هذه. فأمر بلال أن يعطيه أقية وزاده أيضا على ذلك.

﴿تحليل المشهد﴾

1. غزوة ذات الرقاع كانت في العام الرابع بعد إجلاء يهود بني النظير وليست بعد غزوة خيبروالخندق التي علم فيها رسول الله بزواج جابر عندما قال لزوجه أطعموا الناس فإنهم جياع، وهنا يسأله هل تزوجت أم بعد؟

2. الذي ذكره أبا موسى الأشعري: أن الأحذية تتقطع في أقدم أصحابها وأن الأظافر تتساقط ويعمدون إلى الخرق بديلا عن الأحذية والقاعدة التي لا شدود فيها "أن المغنم على قدر المغرم " أي كل من

حلم بالنصر دون أن يدفع الثمن، ودون أن ينفد ما قد طلب منه من قبل الله عز وجل، فهو يحلم بما لن يتحقق. وكل من اشترى أحلامه بتنفيذ ما طلب الله عز وجل وتحمل الظمأ والآلام صابرًا محتسبًا لابد أن يجد الأجر. وفي القرءان ما يصب في هذا المعنى بسورة البقرة قوله تعالى:" فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلاَّ مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُواْ مِنْهُ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ قَالُواْ لاَ طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُو اللّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ"كانوا كلهم في ضمأ والنهر أمامهم، هنا يظهر أن تنفيذ أمر الله هو انقياد لله، والقلة الذين استجابوا نصرهم الله تعالى.

3. الطريقة التي صلى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم آنذاك صلاة الخوف كما يذكرها الفقهاء. على ما تدل؟ إن هذه الصلاة إن كانت واجبة علينا في وقت الرخاء فوجوبها في وقت الشدة يتضاعف أضعاف، ولما تشم رائحة الموت فإن قيمة الدنيا تنزل أمامك كثيرا ويكون اهتمامك بما أنت مقبل عليه. رأس مالنا هو صدق الالتجاء والتضرع إلى الله. وضعفنا يكون عند عدم انقيادنا لأوامر الله عز وجل.

4. الرسول كلف اثنان للحراسة، من الأخلاق أن سأل صاحبه أي جزء من الليل تريد أن تحرس ؟ وقام الرجل أثناء الحراسة بالصلاة وجاءته الأسهم ما ترك الصلاة، حتى اضطر أن يترك الصلاة من

أجل أداء الواجب. والله لو أن فعلنا ما فعل أصحاب رسول الله والتابعون من بعده واتجهنا إلى الله في لياليا التي نحرس فيها نكون مع الله مستغفرين مسبحين قارئين لكتابه.لأكرمنا الله بخوارق النصر.

5. الرسول كان نائم وجاءه أعرابي يريد قتله واخترق سيف رسول الله، والنبي نائم فأيقضه، فاستيقظ وهو مستلق على ظهره والسيف عليه مسلط وقال له: من ينجيك مني يا محمد ؟قال له: الله. المسألة مسألة رب يتجلى عليك بالنصر تنصر. " إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ" سارت رعدة في جسم الأعرابي فسقط السيف من يده، فعفا النبي عنه وأشهد على ذلك ثلة من أصحابه، لكي يعلمهم أدب الإخلاص لله ومنهج الدعوة إلى دين لله سبحانه وتعالى. وهو درس لنا أيضا. ولهؤلاء الذين يرفعون لواء الجهاد لكنهم لم يراقبوا أنفسهم لم يتخذوا الحذر ويسيروا على هذا النهج الذي ربانا به سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(الدرس 31)

﴿المشهد التاسع و العشرين﴾

غزوة بني المصطلق

جمهور العلماء قالوا أن هذه الغزوة كانت في شهر شعبان من العام الخامس للهجرة سبب الغزوة ما بلغ النبي من أن بني المصطلق يجمعون له لحربه وقائدهم " الحارث بن ضرار " لما سمع رسول الله بهذا الأمر خرج إليهم حتى قابلهم عند ماء **المريتية**، والتحم القتال في ذلك المكان، وهزم الله تعالى بني المصطلق وقتل منهم من قتل ونصر الله تعالى رسوله والمؤمنين، وغنم المسلمون إثر هزيمة المشركين ما غنموه. وقسم رسول الله الغنائم وهو الخمس حسب مصلحة المسلمين وبقية أرباع الخمس على المقاتلين الراجل سهم وللفارس سهمان.

في هذه الغزوة استفتى الصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم في شأن العزل أي (محاولة الزوج أن لا تحمل منه زوجه عند الجماع بأن يحتال الزوج بوسائل بأن لا يكون هناك حمل) سألوه أيجوز ذلك ؟ فقال لهم النبي فيما اتفق عليه الشيخان:" ما عليكم أن لا تفعلوا ما من كائنة تقع إلى يوم القيامة إلا وهي كائنة " يعني إفعلوا إن شئتم لا حرج لكنكم لن تستفيدوا من هذا شيئا، إن قضى الله أن يخلق طفلا يخلقه مهما فعلتم.

من الحوادث التي حدثت في هذه الغزوة ما رواه ابن سعد في طبقاته وابن هشام أن غلامًا لسيدنا عمر بن

الخطاب اسمه " جهشاء بن سعيد الغفاري " تنازع مع غلام آخر اسمه "سنان ابن وبر الجهني" تنازعا عند ماء المريسية واشتد التنازع بينهما فصاح أحدهما يا للأنصار وصاح الثاني يا للمهاجرين، سمع عبد الله ابن سلول " هذا الصراخ، فغضب وقال لمن حوله: أوى فعلوها ؟ يقصد المسلمين، قد نفرونا وكثرونا في دارنا، والله ما أعدنا وجلابيب قريش إلا كما يقول المثل سمن كلبك يأكلك، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن منها الأعز الأذل " سمع رجل من الصحابة اسمه " زيد ابن الأرقم " هذا الكلام من سلول. فمشى إلى رسول الله وأخبره بما قال. وكان عنده سيدنا عمر فقال مر به " عباد ابن بشر " فليقتله. فقال له عليه الصلاة والسلام:" فكيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمد يقتل أصحابه ؟ لا ولكن أذن بالرحيل " وكانت ساعة راحة لا يرتحل فيها رسول الله. فهب الناس مرتحلين تنفيذا لأمر قائدهم ، ومشى يومهم ذاك حتى أمسو وليلهم حتى أصبحوا، وصدرًا من النهار التالي. إلى أن آل حالهم التعب الشديد، حتى أذن لهم رسول الله بأن ينزلوا ليستريحوا. فلم تكد تمس جنوبهم الأرض، حتى ذهب كل منهم في سبات عميق. كل هذا ليشغل الناس عن الحديث في هذا الموضوع. نزلت في حق عبد الله ابن أبي بن سلول " آية في سورة المنافقين قوله تعالى:" يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ" في المدينة سمع عبد الله ابن عبد الله ابن أبي ابن سلول أن رسول الله قد غضب على أبيه وأنه قرر قتله. فمشى إلى رسول الله يقول له:" يا رسول الله بلغني أنك تريد قتل أبي فيما بلغك عنه، فإن كنت لا بد فاعلاً فأمرني أنا أحمل لك رأسه فو الله قد علمت الخزرج أنه ما كان لها من رجل أبر بوالده مني، وإني أخشى أن تأمر غيري فيقتله، فلا تدعني نفسي أنظر إلى قاتل أبي يمشي بين الناس " فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم:" لا بل نترفق به ونحسن صحبته ما كان بيننا "

وفي هذه الغزوة وقعت حادثة الإفك عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: " أنها خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الغزوة، فلما فرغ رسول الله من غزوته تلك وقفل عائدًا إلى مكة أذن ليلة بالرحيل فقمت إلى بعض شأني فلما رجعت إلى الرحل، لمست صدري فإذا عقدي قد انقطع فرجعت فالتمسته فحبسني ابتغاءه أي البحث عنه قالت وأقفل الرهط الذين كانوا يرحلونني فاحتملوا هودجي، فرحلوه على بعيري الذي كنت أركب عليه وهم يحسبون أنني فيه و

ساروا، فوجدت عقدي بعد ما استمر الجيش ، فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب، فيممت منزلي الذي كنت به، وظننت أنهم سيفتقدونني ويرجعون إلي وكان " صفوان ابن المعطل " من وراء الجيش فأصبح عند منزلي فرأى سواد إنسان، فعرفني حين رآني وكنت قد غلبتني عيناي فنمت فاستقضت باسترجاعه حين عرفني أي بقوله إنا لله وإنا إليه راجعون. فخمرت وجهي بجلبابي و والله ما تكلمنا بكلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه، وهوى حتى أناخ راحلته فقمت إليها فركبتها، فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش موغرين في نحر الظهيرة وهم نزول، فهلك من هلك في شأني، وكان الذي تولى كبر الإفك " عبد الله ابن أبي ابن سلول" قالت وهي لا تعلم بما يقوله الناس عنها وحين وصلت المدينة اشتكيت شهرا أي مرضت والناس يفيضون في قول الإفك ولا أشعر بشيء من ذلك غير أني لا أعرف من رسول الله اللطف الذي كنت أرى منه حين أشتكي، إنما يدخل ثم يسلم ويقول كيف تيلكم ؟ فلما نقهت خرجت ذات ليلة مع أم مصطح لقضاء حاجة ولم نكن قد اتخذنا الكنف أي المراحيض بعد، فلما رجعنا عثرت أم مصطح في مرطها فقالت تعس مصطح، قلت لها بئس ما قلت أتسبين رجلا قد شهد بدرًا قالت: أولم تسمعي ما قال ؟ قالت فأخبرتني بقولها للإفك، فازددت مرضًا إلى مرضي وبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرمق لي دمع ولا أكتحل بنوم. وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يستشير بعض أصحابه في الأمر وفي فراق أهله. ومنهم من يقول هم أهلك ولا نعلم منهم إلا خيرًا، ومنهم من يقول لم يضيق الله عليك والنساء كثير فاسأل الجارية بريرة تصدقك. فدعا رسول الله بريرة فسألها: هل رأيت من شيء يريبك من عائشة ؟ فأخبرتها أنها لم تعلم عنها إلا الخير.

فقام عليه الصلاة والسلام على المنبر فقال:" يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغ أداه في أهل

بيته فو الله ما علمت على أهلي إلا خيرا، ولقد ذكروا رجلا ما علمت عنه إلا خيرا. فقام " سعد بن معاد" فقال:" أنا أعذرك منه يا رسول الله، إن كان من الأوس ضربنا عنقه، وإن كان من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك فتلاغط الناس في المسجد حتى أسكتهم رسول الله. تقول عائشة رضي الله عنها: " ثم دخل علي رسول الله وأبواي عندي وهما يظنان أن البكاء فالق كبدي، ولم يجلس عندي مند قيل ما قيل وقد لبث شهر لا يوحى إليه في شأني بشيء قالت: فتشهد حين جلس ثم قال: أما بعد يا عائشة إنه قد بلغني عنك كدا وكدا فإن كنت بريئة فسيبرئك الله، وإن كنت ألممت بذنب

فاستغفري الله وتوبي إليه. قالت: فلما قضى رسول الله مقالته قلص دمعي حتى ما أحس منه قطرة. فقلت لأبي أجب عني رسول الله. فقال والله ما أدري ما أقول. فقلت لأمي أجيبي عني. فقالت والله ما أدري ما أقول. فقلت:

" والله إني قد عرفت أنكم قد سمعتم بهذا حتى استقر في نفوسكم وصدقتم به، فإن قلت لكم إني بريئة والله يعلم إني بريئة لا تصدقوني في ذلك، ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم إني بريئة لتصدقنني إنني والله ما أجد لي ولكم مثلا إلا كما قال أبو يوسف فصبرٌ جميل والله المستعان على ما تصفون قالت ثم تحولت فاضطجعت على فراشي. قالت فو الله ما رام رسول الله مجلسه ولا خرج من أهل البيت أحد حتى أنزل الله عز وجل على نبيه صلى الله عليه وسلم فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء عند الوحي حتى أنه لا يتحدر منه مثل الجمان من العرق في يوم شات من ثقل القول الذي أنزل عليه. فقالت فسري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يضحك، فكانت أول كلمة تكلم بها أن قال: أبشري يا عائشة أما فقد برأك. قالت أمي قومي إليه أي اشكريه، فقلت لا والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله هو الذي أنزل براءتي قالت فأنزل الله عز وجل قوله:" نَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ۚ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ ۚ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ " إلى آخر عشر آيات كلها نزلت في تبرئة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها. قالت:" وكان أبي ينفق على مسطح لقرابته ولفقره، فقال والله لا أنفق عليه شيء أبدًا بعد الذي قال لعائشة، حيث كان ينقل ما كان يقوله "عبد الله ابن سلول " فأقسم أبا بكر أن يقطع له الصدقة. فأنزل الله عز وجل قوله:" ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم " فلما تلا أبا بكر على رسول الله هذه الآية قال:" بلى والله إني أحب أن يغفر الله لي فأرجع على مسطح النفقة التي كان ينفقها عليه. ثم خرج رسول الله على الناس فخطبهم وتلا عليهم ما أنزل الله سبحانه وتعالى في ذلك.

﴿تحليل المشهد﴾

1. الصحيح أن الغزوة كانت في العام الخامس للهجرة وهو ما قاله الجمهور والدليل هو ما قاله " سعد بن معاد "بعد أن خطبهم رسول الله وقال:" إن كان من الأوس ضربنا عنقه، وإن كان من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك " وسعد ابن معاد توفي في غزوة بني قريظة بعد الخندق مباشرة، وكان ذلك في العام الخامس، وهذا لمن أراد التحقيق في التواريخ.

2. لا حظنا أن الرسول استبقى خمس الغنائم، يوزعها على الفقراء على النحو الذي ذكره الله سبحانه وتعالى في سورة الأنفال، والأربعة أخماس وزعها بين الغانمين. وهذا متفق عليه للأموال المنقولة، أما العقارات فيها خلاف.

3. **حكم فقهي**: بالنسبة للعزل عند الجماع أي حكم ما يسمى بتحديد النسل عمومًا، عرفنا من الحديث الذي اتفق عليه الشيخان أن هذا جائز. وأوضح من هذا ما رواه جابر في الصحيح قال:" كنا نعزل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، والقرءان ينزل علينا " خالف في هذا " ابن حزم " من علماء المسلمين فقال هذا غير جائز واستند في هذا إلى حديث يرويه مسلم في صحيحه، سئل عن العزل فقال تلك هي الموءودة الصغرى " والجمهور قالوا قوله ذاك دل على الكراهة التنزيهية، والأحاديث الأخرى دلت أن لا حرمة في ذلك. قاس العلماء الوسائل الأخرى التي تؤدي إلى الإجهاض على العزل. جمهور العلماء قالوا إن كان ذلك قبل التخلق أي قبل أربعين يوم جائز مع الكراهة التنزيهية. أما بعد التخلق فالجمهور على أن ذلك غير جائز. ودليلهم على ذلك ما قاله الشافعي في كتابه الأم قال:" النبي عليه الصلاة والسلام قال:" في إسقاط الجنين غرة أي نصف عشر الدية " في اللغة لا يسمى محصول الرحم جنينًا إلا إذا بدأ التخلق وهذا يتم بعد أربعين يومًا. أما إذا كانت هناك ضرورة سواء تعلقت بحياة الأم أو الجنين يجوز ما لم يبلغ الجنين عمر نفخ الروح.ولا يجوز لأحد أن يتدخل في هذا وما رخصه الله لفرد لا يجوز أن يتدخل المجتمع.

ننتقل إلى صفات يتصف بها رسول الله الإخلاص الصبر والحكمة، وهذا نراه عندما نطق " عبد الله ابن أبي بن سلول " بقوله والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنا الأعز منها الأذل وهو كلام يوجب قتله. وعندها أمر الرسول الجيش أن يرتحل حتى يفوت على الناس الحديث في هذا الشأن . وبعد يوم ونصف من السير، استراحوا وغرقوا في الرقاد. وبعد كثير من الناس ظنوا أنه سيقتل " ابن سلول " سرًا، ومنهم ابنه الذي جاء إلى رسول الله.. بل حبيبنا المصطفى قال:" لا بل نترفق به ونحسن صحبته ما كان بيننا " هذا التصرف لا يصدر إلا من نبي. وتحدثنا كيف أن النبي استجاب لإبن

سلول لما طلب منه قميصه ليكفن به أباه لما مات، وصلى عليه، وهذا كله لا يصدر إلا عن رسول ونبي.

(الدرس 32)

4. عن حادثة الإفك وما استنبط منها من أحكام

أولا: تعد حادثة الإفك هذه قمة لأذى الذي مني به رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأن أنواع الأذى الأخرى كانت متوقعة، وكان قد وطن نفسه لها لأن البيان الإلهي كان يبين له أن الأنبياء السابقين أذوا أيضا وأن له أسوة بهم، وعليه أن يصبر كما صبروا. أما هذا الإفك الذي نشره "عبد الله ابن أبي بن سلول " بين الناس، في وقت شاء الله أن ينقطع الوحي عن رسول الله، وأن يعود إلى وضعه البشري لا يعلم غيبًا، وبالتالي لا يعلم هذا الذي قيل عن أم المؤمنين أهو صحيح أم لا.والمسألة تتعلق بشرفه وبيته وعرضه، ومن تم اضطرب المصطفى صلى الله عليه وسلم. ومن ثم صح أن نقول أن هذا الأذى الذي نال المصطفى صلى الله عليه وسلم شر من كل أنواع الأذى الذي لقيه من المشركين. وهذا الذي يختلف به المنافقين عن المشركين، حيث أن المنافق تتأتى له ساحة واسعة للأذى لاحتكاكه بالمسلمين وتعامله الواسع معهم. وهذه قاعدة تصدق في كل عصر وفي كل زمان.

ثانيا: هذه الفترة التي مني بها رسول الله بهذا الألم الذي انتابه مع ما شاءه الله عز وجل من تلبث الوحي، في داخل هذا كله من أقوى الأدلة وأبهرها على نبوة رسول الله، وعلى الفارق الكبير بين شخصيته بشرًا من الناس وشخصيته نبيا يوحى إليه من عند الله عز وجل. وكل لحظة مرت في تلك الفترة كانت حاسما وجازما على نبوة محمد وأمانته على الوحي. وأنه لم يكن ليتفوه بكلمة واحدة يتقول فيها على الله. لهذا قال الله عز وجل " لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم " والواقع أن هذه الحادثة مكنت الإيمان في قلوب كثير من الناس الذين كانوا حديثي العهد بالإيمان. ورسخت إيمانهم بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم. وهذا يؤكد قوله تعالى: ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم عنه من أحد حاجزين"

ثالثا: لما كان رسول الله يسأل عائشة عن هذا الذي يقوله الناس وما أجابت به رسول الله، البارئ عز وجل أنزل على محمد عشر آيات بيانا لكذب هؤلاء المتقولين، ولبراءة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها. قالت لها أمها قومي إليه أي اشكريه، فقالت عائشة لا والله لا أقوم إليه ولا أحمد

إلا الله هو الذي أنزل براءتي. وهذه ليس فيها أي سوء أدب مع رسول الله، وهذه الظاهرة التي يسميها الربانيون وحدة الشهود. في الوقت الذي تألمت عائشة وليس بيدها دليل لبراءتها، والرسول في حيرة أيضا وتأتي البشارة من الله للبراءة عندها تذوب الأغيار ولا يبقى إلا الله هو المفرج. وحدة الشهود أن ترى كل المكونات كألواح الزجاج الصافي موجودة، لكن تأملك فيها لا ترى من خلالها إلا قدرة الخالق.

رابعا:هذه التبرئة التي برأ الله تعالى بها أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أهي حقيقية أم شرعية ؟ نلاحظ أن أول كلمة في تبرئة السيدة عائشة " إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ " والإفك شر أنواع الكذب، وهو يعلم أنه مفتر على أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها. إذا كانت شرعية إذا هي مبرأة بدون عشرة آيات لعدم وجود أربع شهود. واضطراب النبي عليه الصلاة والسلام والأسى الذي انتابه والحزن الذي هيمن عليه، فقط من أجل أن يعلم أهي ستخضع للحد أم لا تخضع ؟ لا وألف لا وإنما أهي صحيحة أم لا. ولهذا لما نزلت الآيات سكنت نفس المصطفى وزال الاضطراب لأن الله برأها.وهذا الذي تولى كبره وكان قد وصف الرسول وأصحابه بالكلاب وأنهم أذلة وهم الأعزة كيف نصدقه فيما يقول ؟؟؟

(الدرس 33)

﴿المشهد الثلاثين﴾

غزوة الخندق أو الأحزاب

كانت في الصحيح في شهر شوال من السنة الخامسة للهجرة، سببها أن نفر من زعماء بني اليهود من بني النظير الذين قد أخرجهم الرسول من المدينة إثر خيانة بدرت منهم بدون موجب، هؤلاء النفر خرجوا حتى أتوا إلى مكة ودعوا قريش إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يزالوا بهم يهيجونهم ويستثيرونهم ويقولون لهم مطمئنين سنكون معكم حتى نستأصله ومن معه. ويؤكدون لقريش أن ما هم عليه خير من دين محمد، ونزل في حقهم قول الله عز وجل:" ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا " فتم الاتفاق بينهم على حرب رسول الله صلى الله عله وسلم. ولم يكتفوا بهذا بل ذهبوا أيضا إلى قبيلة غطفان وهي من أكبر القبائل العربية وكانوا مشركين، فدعوهم إلى مثل ما دعوا به قريش، وما زالوا بهم حتى أقنعوهم بهذا

الذي جاءوا به. واتجهوا إلى قبائل أخرى هي "بني فجارة " و " مرا " وغيرها ألبوهم جميعا على حرب رسول الله وأكدوا لهم أن هذه الحرب هي القاضية على محمد ومن معه، لذلك سميت أيضا بغزوة الأحزاب.

بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الذي تم، فجمع أصحابه وجلس يشاورهم في الأمر كعادته، فأشار "سلمان الفارسي" رضي الله عنه بحفر خندق من الجهة التي تلي المشركين. وهي من وسائل الدفاع في الحروب كانت معروفة عند الفرس، ولم تعرف عند أهل الجزيرة العربية، فأعجب المسلمون بهذا الرأي، والمصطفى أعجب بهذا وندب المسلمون الموجودون، إلى الخروج لحفر الخندق بمقدار نصف دائرة من الجهة التي سيأتي منها المشركون. وهب الجميع لحفر الخندق وعلى رأسهم رسول الله وعددهم ثلاثة آلاف، وعدد ما اجتمع من المشركين حوالي عشرة آلاف. عرض الخندق لا يستطيع فارس أن يقفز من طرف إلى طرف، وعمق الخندق إذا قفز فيه الفرس لا يستطيع أن يقف من كبوته بمقدار نصف محيط المدينة المنورة.

يروي البخاري من حديث براء رضي الله عنه قال:" لما كان يوم الأحزاب خندق رسول الله، رأيته ينقل التراب حتى وارى عنه التراب جلدة بطنه " وروي أيضا عن أنس رضي الله عنه أن الأنصار والمهاجرين كلهم يسابقون رسول الله إلى هذا العمل حفر الخندق، وينقلون التراب على متونهم ويرتجزون من أجل أن يشجع بعضهم بعضا يقولون: نحن الذين بايعوا محمدَ على الإسلام ما بقينا أبدا

يسمع المصطفى كلامهم هذا فيرد قائلا:"اللهم لا خير إلا خير الآخرة، فبارك في الأنصار و المهاجرةَ "وكان عليه الصلاة والسلام لا يستطيع أن يقيم لسانه على بيت من الشعر. وقال الله تعالى:"وما علمناه الشعر وما ينبغي له "

وروى البخاري أيضا عن جابر قال:" كنا يوم الخندق نحفر فعرضت كدية شديدة أي صخرة عاتية، لم نستطع أن نحطمها، فجاءوا إلى رسول الله يستشيرونه في أمرها فقال أنا نازل لأرى هذه الصخرة، فجاء ، فنزل وأخذ المعول من يد أحدهم وضرب به تلك الصخرة. يقول جابر فعادت كتيبا أهيل وفي رواية أهيم أي تحطمت كلها. ورأى جابر الرسول يفعل ذلك وحجر معصب على بطنه من الجوع. وتأثر جابر لهذا المنظر، وأستأذن رسول الله ليذهب لبضع دقائق إلى البيت فأذن له رسول الله. ودخل بيته وقال لامرأته رأيت بالنبي شيئًا ما كان لي في ذلك صبر، فهل عندك شيء ؟

قالت:عندي شعير وجدي صغير. يقول جابر فذبحت العناق وطحنت الشعير وجعلنا اللحم في القدر، ثم جئت النبي صلى الله عليه وسلم، والعجين قد تهيأ و البرمة في الأسفي. فقلت لرسول الله همسًا طعيم يا رسول الله لي فقم أنت ورجل أو رجلان. فقال له رسول الله كم هو ؟ يقول جابر فذكرت له الطعام. فقال: إنه كثير طيب. فقل لزوجتك لا تنزعي البرمة ولا الخبز من التنور حتى أتي. ثم نادى رسول الله قائلاً: يا معشر المهاجرين والأنصار قوموا، فإن جابر قد صنع لكم صورا فحيا هلا بكم إلى بيت جابر. وعددهم ثلاث آلاف. وجابر سمع نداء رسول الله هذا، لما دخل على امرأته قال لها: ويحك جاءك رسول الله بالمهاجرين والأنصار ومن معهم. قالت: هل سألك كم طعامك ؟ قال: نعم قالت: وهل أخبرته ؟ قال: نعم. قالت: فالله ورسوله أعلم.ثم جاء النبي عليه الصلاة والسلام وقد إستاق معه أهل الخندق . وقال لهم أدخلوا ولا تضاغطوا، جلس رسول الله خاف البرمة وجعل يكسر الخبز ويجعل عليه اللحم والمرق وكلما أخذ شيئًا من اللحم يخمر البرمة أي لا يدعها مفتوحة. ويأمر جابر أن يقدم هذا إلى فئة بعد أخرى. يقول جابر ولم يزل يكسر الخبز ويغرف حتى شبعوا وبقي بقية. ونهض رسول الله يقول لزوج جابر كلوا وأهدوا إن بقي فإن الناس قد أصابتهم مجاعة. يقول جابر والله إنهم لأكلوا حتى شبعوا وإن برمتنا لتغط باللحم وإن عجيننا ليخبز.

لنرى موقف المنافقين: وهم أيضا خرجوا لنداء رسول الله في حفر الخندق. في الصحيح أنهم تباطئوا في الخروج، ثم خرجوا ويحفر الواحد منهم ساعة أو ساعتين ويأتي رسول الله، يوري ضعفه عن العمل وأن له عذرا يقتضي الرجوع إلى داره. فيتسللون الواحد إثر الأخر عائدين إلى دورهم. بعضهم دون إستأذان والأخر يختلقون أعذار قائلين بيوتنا عورة " و ما هي بعورة إن يريدون إلا فرارا " أما المسلمون الصادقون إن كانت له حاجة يستأذن رسول الله يذهب ثم سرعان ما يرجع إلى عمله. البارئ عز وجل أنزل في محكم تبيانه وصفا للمسلمين الصادقين ولغيرهم في قوله:" إنما المؤمنين الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه، إن الذين يستأذنك أولائك الذين يؤمنون بالله ورسوله فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله إن الله غفور رحيم "

قمة الخيانة التي ظهرت من اليهود: وهي خيانة بني قريظة ما الذي حصل ؟

خرج زعيم من زعماء يهود بني النضير اسمه " حيي بن الأخطب النضري " تسلل حتى دخل المدينة سرا بدون علم المسلمين وأوصل نفسه إلى "أسد بن كعب القرظي " زعيم بني قريظة في المدينة

فأغراه بنقض العهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له:" جئتك يا كعب بقريش على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بمجتمع الأسيار من روما وجئتك بغطفان من سادتها حتى أنزلتهم بالمكان الفلاني وقد عاقدوني وعاهدوني على أن لا يبرحوا حتى يستأصلوا محمد ومن معه " ويقول له كعب:" جئتني والله بدل الدهر ويحك يا حيي فأنا لم أرى من محمد إلا صدقًا ووفاءً، ولكنه يعود فيستتره ويحرك فيه كوامن الخيانة اليهودية النائمة بين جوانحه. وظل يستتره ويقنعه حتى اقتنع. وعندها أعلن في قومه أنه قد مزق كتاب العهد والعقد الذي بينه وبين رسول الله. شاع الخبر بالمدينة وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو في الخندق لم يتأكد من الأمر، أرسل " سعد بن معاد " ليتحقق من الخبر، وأوصاه إذا رجع أن يلحن له بالقول ولا يصرح. حتى لا يفت ذلك في عضد المسلمين، وإن كان الأمر كذبا فليجهر. فلما استطلع سعد الخبر ورأى أنه صحيح، وعاد إلى رسول الله يقول:"يا رسول الله عضل والقارة " أي غدر كيوم الرجيع وبئر معونة. فقال رسول الله:" الله أكبر أبشروا يا معشر المسلمين "

هنا آل أمر المسلمين إلى عدو من الخارج وأخر ظهر من الداخل. هنا استغل المنافقون هذا الأمر الذي فوجئوا به وراحوا يستثيرون عوامل الرعب والخوف في أذان المسلمين، حيث يقول أحد المنافقين مستهزأ بوعد رسول الله :"كان محمد يعدنا أن نأخذ كنوز كسرى وقيصر وإن أحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط " لما وجد المصطفى أن المنافقين أيضا يلعبون هذا الدور، رسول الله حكيم في الظاهر استشارة ولكن الحقيقة أن يشد عضد المسلمين ورباطة جأشهم، حيث جمع بعض الأنصار والمهاجرين واستشارهم في أن يعقد صلحًا مع قبيلة غطفان على أن يعطيهم بعض ثمر المدينة على أن يرجعوا ويخففوا من وطأة هذا البلاء على المسلمين. بعض الصحابة قالوا:" يا رسول الله هذا وحي أو أمر تصنعه لنا " قال:"شيء أصنعه لكم " قالوا لسنا بحاجة إلى ذلك غطفان ما كانت تستطيع أن تأكل شيئا من ثمار المدينة ونحن في ظل الكفر أَفَيَنَا لُونَ ذلك وقد أكرمنا الله بعزة الإسلام " عندها استبشر المصطفى و تهل وجهه لما سمع سرورا،وقال: وأنتم وما قلتم.إذاً لم يتم أي صلح مع غطفان، وإنما مروضة بين رسول الله وأصحابه. وجاء المشركين وهم يهزجون ويفرحون ظنا منهم أنه اليوم الذي تدور فيه الدائرة على رسول الله، نظروا فإذا هم يفاجئون بما لم يكونوا يتوقعون وهو الخندق. وقالوا إن هذه لمكيدة لم تكن العرب تكيدها. عسكروا أمام هذا الخندق، ولم يحدث قتال بسبب الخندق. سوى أنه ما بين العصر إلى المغرب كان هناك قتال بالنبال.

ولم يتأتى للمشركين المرور إلى المسلمين قط. وآل الأمر إلى هزيمة المشركين لعدة عوامل مرئية وهي الخندق من العدة التي أمر بها الله عز وجل، وغير مرئية رعب أدخله الله عز وجل في قلوب المشركين في جنح ليل مظلم شاءه الله عز وجل مع ريح مصفرة شديدة عاتية أقلبت قدورهم و أطارت خيامهم، كفى الله أيدي المؤمنين بهذه الطريقة.

ووسيلة أيضا غير مرئية وعجيبة: حيث قذف الله في قلب رجل من أعتا المشركين اسمه " نعيم بن مسعود " جاء إلى رسول الله سرًا يعلن إسلامه، ويستأذنه أن يفعل ما قد يأمره به، فقال له الرسول ولكنك شخص واحد ولكن خذل عنا ما استطعت، فألهمه الله ما يلي: تسرب إلى داخل المدينة وأوصل نفسه إلى بني قريظة واتصل " بكعب بن أسد القرظي " على أساس أنه مشرك فرحب به، قال له: أنت تعلم مدى إخلاصي لكم، هؤلاء زعماء قريش الأن يخططون إذا رأوا الدائرة دارت عليهم سيفرون عائدين والطريق أمامهم مفتوح، ولكن أنتم الذين ستقعون في الشباك ولسوف يستأصلكم محمد لذلك أرى أن تفعلوا التالي: " أرسلوا إلى حلفائكم الذين يحاصرون المدينة أن يرسلوا رهائن إليكم حتى لا يتركوكم ويولوا الأدبار، فإن فعلوا ذلك أستطيع أن أضمن أنهم سيدافعون عنكم " قالوا والله هذا هو الرأي وشكروه.وعاد " النعيم بن مسعود " إلى قومه يقول: لقد دخلت إلى المدينة واتصلت بيهود بني قريظة وتوصلت إلى خبر خطير جدًا، هؤلاء متفقون سرًا مع محمد أن يجتثوا شأفتكم، ولقد علمت أن خطة قبول ينبغي أن يأخذوا منكم رهائن بحجة أنكم أنتم ربما تتركونهم وتولون الأدبار، وهم سيقدمون هذه الرهائن إلى محمد حسب خطة مبيتة. وبعد قليل فعلا أرسل بني قريظة إلى هؤلاء المشركين، من غطفان وغيرهم يطلبون عدد من الرهائن، حتى يكون ضمانة أن لا يتركوا اليهود وحدهم بين أيدي المسلمين. فدخل بذلك رعب شديد في قلوب المشركين لأنهم تصوروا أنهم أمام الخبر الصحيح الذي جاءهم به " نعيم بن مسعود"

هي ثلاثة عوامل كانت سبب أن كفى الله بها المؤمنين القتال.للنظر إلى هذه الصورة التي يرويها لنا مسلم في صحيحه، من حديث "حذيفة بن اليمن " قال:" لقد رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الأحزاب وأخذتنا ريح شديدة وقر أي برد فقال رسول الله:"ألا رجل يأتيني بخبر من القوم أسأل الله أن يجعله معي يوم القيامة ؟" فسكتنا ولم يجبه أحدًا. الوقت ليل مظلم، وصوت الريح مرعب. عاد رسول الله يقول:" ألا رجل يأتيني بخبر من القوم أسأل الله أن يجعله معي يوم القيامة ؟ لما لم يجد في القوم من يجيبه قال لحذيفة:" قم يا حذيفة واذهب أنت وأتني بخبر القوم ولا تدعر هم

علي أي لا ترعبهم " فلما وليت من عنده، جعلت كأني أمشي في حمام، حتى أتيتهم فرأيت أبا سفيان يَصْلِي ظهره بنار،أي يتدفأ بالنار، فوضعت سهمًا في كبد القوس فهممت بأن أقذفه به، فتذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم:"ولا تدعر هم علي " ولو رميته لأصبته، ويقول فرجعت وأنا أمشي مثل الحمام فلما أتيته وأخبرته بخبر القوم وفرغت، ألبسني رسول الله من فضل عباءة كانت عليه يصلي بها قيام الليل، فلم أزل نائمًا حتى أصبحت. فلما أصبحت أيقضني رسول الله فقال لي:" قم يا نومان ". وهناك تفصيل أخر رواه علماء السيرة زيادة على هذا يقول حذيفة:" فسمعت أبا سفيان يقول يا معشر قريش لينظر امرؤ من جليسه . يقول حذيفة وأخذت بيد الرجل الذي كان بجانبي فقلت له من أنت ؟ فقال فلان بن فلان، ثم يقول أبا سفيان: "إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام لقد هلك الكرع أي الأكل و الخفث فأخلفتنا بني قريظة أي خانتنا وبلغنا عنهم الذي نكره، ولقينا من شدة الريح ما ترون، فارتحلوا فإني مرتحل ". وهكذا عاد أبا حذيفة بهذا الخبر إلى رسول الله. في صبيحة اليوم التالي كان المشركون قد ولو الأدبار، في سواد تلك الليلة لم تنم لرسول الله عين، طوال الليل كان يصلي ويدعوا ويلتجأ ويتضرع إلى الله عز وجل. وعاد رسول الله وصحبه إلى المدينة المنورة. ومن جملة دعاء رسول الله يوم الخندق:" اللهم منزل الكتاب سريع الحساب أهزم الأحزاب، اللهم أهزمهم وزلزلهم..."

في هذه الغزوة فاتت النبي صلاة العصر كانوا مشغولين برمي النبال، وفاتت أيضا بعض أصحابه منهم سيدنا عمر الذي جاء إلى رسول الله يقول:"يا رسول الله ما كدت أصلي العصر حتى غابت الشمس أو كادت " فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" والله ما صليتها " أي أنا أيضا فقمنا إلى بطحان، وعاء كبير به الماء فتوضأ رسول الله لصلاة وتوضأنا لها وصلينا العصر بعد أن غربت الشمس قضاءً، ثم صلى بعدها المغرب. وزاد مسلم على هذا في صحيحه:" أن سيدنا رسول الله قال لعمر شغلونا عن الصلاة الوسطى وهي العصر، ملأ الله بيوتهم وقبورهم نارًا ثم صلاها بين العشاءين "

(الدرس 34)

﴿تحليل المشهد﴾

1. هذه الغزوة أيضا كانت نتيجة مكر خططه اليهود، ونلاحظ أن كل الغزوات التي درست كان البادئ فيها الطرف الأخر، وموقف المسلمين بقيادة رسول الله الدفاع. وكان في هذه الغزوة كيد اليهود لجمع كل من يناصب العداء لدين ولرسول الله لمحاربة رسول الله، وأثاروا قريش وغطفان وقبائل أخرى، وأصروا إصرارهم على بني قريظة أن يلغوا معاهدتهم مع رسول الله، وأجبروهم على أن يعلنوا هم الآخرين الحرب على رسول الله وهم في قلب المدينة المنورة. هذه المواقف هي التي جعلت جمهور الفقهاء يقولون أن شرعة الجهاد في الإسلام هي ردًا للحرابة، لا جبرا للكافرين على الدخول في الإسلام. وأدلتهم كثيرة منها قوله تعالى:" وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين"

2. لاحظنا في هذه الغزوة أن رسول الله جمع أصحاب الرؤى والحل والعقد ليستشيرهم، في السبيل الذي يجب أن يتخذوه للوقوف في وجه هذا العدوان المقبل، وهذا شأن رسول الله في الاستشارة دائما. إلا إذا كان حكم شرعي أوحى الله به لتطبيقه، هذا لا مجال لشورى فيه. في هذه الغزوة أشار سلمان الفارسي رضي الله عنه بحفر الخندق، وهي عادة عند الأعاجم، والرسول سرعان ما وافق على ذلك. نفهم من هذا أن المصطفى صلى الله عليه وسلم يعلمنا كيف نسير في أمورنا المختلفة بناء على القول: أن الحكمة ضالة المؤمن أنَّ وجدها فهو أحق بها. يعني أنه إذا رأينا أن هنالك وسيلة من الوسائل التي لا يعرفها المسلمون، ولكنها معروفة عند غيره،نظرنا فوجدنا أنها تحقق للمسلمين خيرًا كثيرا ولا تضر، أو أن المصلحة الكامنة فيها أكبر من الضرر التي يمكن أن تأتي من ورائها. عندها لا مانع أن نأخذ بهذا الأمر. والحكمة ضالة المؤمن في كل الأوقات. وكل أمر مستحدث علينا وضعه في ميزان الشرع، إن حقق الأهداف الشرعية التي أمرنا بها الله عز وجل طبقناه. والبدعة الشرعية هي كل ما ستحدث في الدين وهو ليس منه.

3. **موضوع حفر الخندق:** صورة فريدة من نوعها، وكما عهدنا أن يخرج من يستطيع للحفر الحاكم يخرج يوما معين في إطار احتفال ويأخذ المعول من يد أحدهم ويضرب ضربات عدة ثم يذهب وينفض ثيابه مما علق عليها من تراب ويعود إلى داره، ويمارس المسلمون العمل. هذا ما ألفناه. لكن المصطفى لم يفعل ذلك بل خرج الجميع للحفر، والرسول أول من يحمل المعول ويحفر. وأصحاب رسول الله يجوعون من الحفر المتواصل للخندق، والمصطفى أكثرهم جوعًا، وشدة الجوع أدت بهم إلى ربط حجر على بطنهم. وهكذا العمل بقيادة رسول الله من بدايته إلى نهايته. هذا

المظهر يدل على أن سيدنا رسول الله يفعل ما قد أوحى الله إليه. والله تعالى ربا رسوله، وعلم هو بدوره الناس أنهم سواسية كأسنان المشط. والديمقراطية التي يدعيها الناس يومنا هذا هي ترجمة نفاق والتي تعني أن تتحقق المساواة في الشعارات والإعلانات والظواهر، فإذا مخرت هذه الظواهر وجدت نقيضها تمامًا. وجدت الاستبداد وتضييع الحقوق. الإسلام هو الذي أعلنا المساواة الحقيقية.

(الدرس 35)

4. دعوة سيدنا جابر لرسول الله إلى طعام في بيته يكفي لستة أو سبعة أشخاص ... المبادئ التي تستنبط من هذا المشهد هي : عن جابر تصرفه يدل على إنسانيته وشدة حبه لرسول الله ،عزَّ عليه أن يرى رسول الله وقد عصب على بطنه الشريف حجرا من شدة الجوع، والطعام لا يكفي للجميع لهذا دعا رسول الله ومن يشاء الرسول من أصحابه. أما رسول الله فلماذا فعل هذا، حيث استاق كل أصحابه وهم مئات مبدأه هو التالي: نتقاسم المغرم مهما كتف بالعدل أي الجهد، ونتقاسم المغنم مهما قل. هكذا تقول الرحمة المهداة صلى الله عليه وسلم. وأكثر من هذا أبى رسول الله أن يجلس خلف البرمة خادمًا ، ورسول الله آخرهم في الأكل. هذا المشهد الذي نراه يجعلنا نطمئن أن شفاعته صلى الله عليه وسلم ستنال أمته جمعاء، إلا المستكبرين. **كيف تزايد هذا الطعام** ؟ تدل هذه الغرابة أنها رحمة الله، وكأنه عز وجل يقول لرسوله أنت أبيت إلا أن تدعوا أصحابك جميعا رغم أن الطعام لا يكفيهم رحمة بهم أفا تكون أنت أكثر رحمة بهم مني. لهذا شاء الله عز وجل أن يتزايد هذا الطعام. إذا رحمة المصطفى هي فرع من رحمة رب العالمين.

5. الرسول دعا ثلة من أصحابه وعرض عليهم الصلح مع قبيلة غطفان على إعطائهم بعض ثمار المدينة، في مقابل أن يرحلوا ولا يقاتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، بعض الصحابة قالوا:" يا رسول الله هذا وحي أو أمر تصنعه لنا " قال:"شيء أصنعه لكم " قالوا لسنا بحاجة إلى ذلك غطفان ما كانت تستطيع أن تأكل شيئا من ثمار المدينة ونحن في ظل الكفر أَفَيَنَا لُونَ ذلك وقد أكرمنا الله بعزة الإسلام " عندها استبشر الرسول. ونقول هل الرسول كان جادا فيما قاله ؟ لا إنما قال هذا ليجس نبض المسلمين من أصحابه ليعلم مدى رباطة جأشهم وقوتهم المعنوية أمام هذه الشدة. ولهذا عندما سمع هذا الجواب منهم استبشر عليه الصلاة والسلام. هنا ندخل في مسألة فقهية هل يجوز دفع جزية لأعداء الله عندما يجدون أنفسهم ضعافا والخطر أحدق بهم والدليل أن الرسول شاور أصحابه في ذلك مع قبيلة غطفان. هل هذا جائز ؟ لا لأن مشاورة الرسول لأصحابه في أمر ما لا

يعد دليل شرعي إلا بعد تجاوز الأمر من المشاورة إلى التنفيذ، ولم تأتي آية من القرءان تحول الرسول من أمره عندها يصبح أمرا شرعيا.

لهذا قال الفقهاء لا يجوز للمسلمين أن يدفعوا شيئا باختيارهم من أموالهم لأعدائهم أبدا.

6. كيف وبأي وسيلة انتصر المسلمون في هذه الغزوة ؟ بالالتجاء إلى الله والتدلل على أعتاب الله والانكسار على باب الله وفي مقدمتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، هذا هو العمود الفقري لعوامل النصر، أنظروا إلى هذا الكلام الرباني:" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا" يبين الله عز وجل أن التجاءهم إلى الله مع وجود السبب المادي المتمثل في حفر الخندق هما سببا الانتصار. ودواء الانتصار اليوم هو نفسه دواء النصر اليوم وهو صدق الالتجاء إلى الله عز وجل.

(الدرس 36)

7. مسألة فقهية وهي أن رسول الله فاتته صلاة العصر وقضاها بعد المغرب ومعه ثلة من الصحابة السبب انشغال المسلمين في تلك الساعات بالرمي، نفهم من ذلك أن الصلاة المكتوبة إذا تركت يجب أن تقضى ولو لم يكن السبب نوم أو نسيان لحديث:" من نام عن صلاة أو نسيها فليصليها إذا ذكرها " وأمامنا دليل أخر وهو قول النبي: "ألا لا يصلينا أحدكم العصر إلا في بني قريظة " بعض الصحابة أدركتهم صلاة العصر وهم في الطريق،البعض عمل بما فهمه من الحديث وصلاها في بني قريظة، وآخرون قالوا إن قصد النبي أن نكون في وقت العصر هناك.فلنصليها الآن نحن تأخرنا. الذين لم يصلوا قضوها بعد إخبارهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

﴿المشهد الواحد والثلاثين﴾

غزوة بني قريظة

ورد في الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم لما رجع من الخندق دخل المدينة ووضع السلاح أتاه جبريل فقال له:" قد وضعت السلاح ؟ والله ما وضعناها فاخرج إليهم " قال:" إلى أين ؟ " أشار سيدنا جبريل إلى ضاحية بني قريظة، قال ها هنا. فخرج النبي صلى الله عليه وسلم مستجيبا لأمر الله عن طريق سيدنا جبريل. و نادى في المسلمين:" ألا لا يصلينا أحدنا العصر إلا في بني قريظة " وسار الناس وأدرك معظمهم العصر في بني قريظة، والبعض تخلفوا. فاختلفوا منهم من

صلى في الطريق، ومنهم من أخر استجابة لحرفية كلام النبي عليه الصلاة والسلام. حاصر بني قريظة الذين خانوا العهد الذي بينهم وبين رسول الله وهي أقدر خيانة. حيث كانوا آمنون مطمئنون لم يجدوا من رسول الله إلا خيرا، ومن المسلمين إلا أمنا وطمأنينة. فانتهزوا فرصة الضيق الذي انتاب المسلمون حيث أحدق الكل على المدينة، عندها طاب لبني قريظة أن تعلن أنها نقضت العهد، وأنها مع الذين جاءوا لقتال المسلمين. حاصر النبي حصونهم قيل خمسة وعشرون يوما وقيل خمسة عشرة الله أعلم، ضاق الأمر على بني قريظة. كعب بن أسد القرظي " هو رئيسهم جمع مستشاريه وقال لهم:" يا معشر يهود قد نزل بكم من الأمر ما ترون وأنا أعرض عليكم ثلاثة أمور اختاروا واحدا منها. قالوا: تفضل.

الحل الأول: نتابع هذا الرجل ونصدقه فو الله لقد تبين لكم أنه لنبي مرسل وأنه للذي تجدونه في كتابكم فتأمنون على دمائكم وأبنائكم ونسائكم تنتهي المشكلة قالوا:" لا نفارق أمر التوراة أبدا. التي كتبوها بأيديهم " فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله "

الحل الثاني: فهلم نقتل أولادنا ونساءنا ثم نخرج إلى محمد وليس وراءنا شيء ونغامر. قالوا:" وما ذنب المساكين

الحل الثالث: غدا السبت محمد وأصحابه يعلمون أننا في السبت لا نعمل شيء تعالوا لنغامر ونواجه المسلمين بالقتال لعلنا نحصل منهم على غرة أي نصر. رفضوا أيضا القتال يوم السبت. عندئذ استسلموا للأمر الواقع وخضعوا لحكم رسول الله. بني قريظة كانوا في الجاهلية حلفاء للأوسيين فدعا رسول الله رجل من الأوس ليحكم هو في الأمر، وكان سيدنا " سعد بن معاد "كان مريض وقد أصابه سهم في كاحله وكان يمرض في خيمته. استدعاه الرسول وجيء به على حمار، لما وصل قال رسول الله لأصحابه قوموا إلى سيدكم حملوه فنزل. طلب منه رسول الله أن يحكم بما يراه فيهم قال:" يا رسول الله أحكمي نافد هاهنا وها هنا " أي لا يرى حكمي نقضًا قال: نعم. قال:" تقتل مقاتلتهم جميعًا " قال حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سماوات. وأنزل هؤلاء الخونة وجيء بهم إلى الخندق فكانوا يقتلون واحد إثر أخر، إلا من دخل الإسلام. أما "حيي بن أخطب " النظري الذي كان هو السبب في إقناع "كعب بن أسد" وقد جيء به إلى رسول الله وقد قيدت يداه إلى عنقه ولما نظر إلى رسول الله قال:" والله ما عاتبت نفسي في عداوتك " أنا إلى الآن على ما

كنت لكن من يخذل الله يخذله وضربت عنقه . نلاحظ أن الرسول لم يقتل هؤلاء لأنهم كافرون، وإنما للخيانة التي بدرت منهم في أحلك أوقات المسلمين.

(الدرس 37)

﴿تحليل المشهد﴾

1. **حكم شرعي**: هام وهو جواز قتال من نقض العهد مع المسلمين، إذا وجدوا أن المصلحة تقتضي ذلك. ومن الغريب أن هناك من اتهم المسلمين من هذا لموقف الذي وقفه رسول الله من يهود بني قريظة ونقضهم العهد اتهموهم بالظلم والقسوة، عميت عيناه على الظلم الذي أوقعه اليهود على المسلمين على مر التاريخ. ولم يتنبه إلى شناعة عمل بني قريظة إذ نقضوا العهد في أحلك ظروف المسلمين وشريعة الله تريد عز المسلمين وتأبه للمسلمين المهانة، وأن يكونوا ديولا لمن يخططون على القضاء عليهم.

2. **يجوز التحكيم في أمور المسلمين ومهامهم**، أي يجوز لولي أمر المسلمين أن يحكم واحدا من رعايا الأمة الإسلامية، في مهمة من مهام المسلمين، ممن يرى أنه يصلح لتحكيم في هذا الأمر مع توفر صفات الصدق والأمانة والورع.... ودليل ذلك تحكيم رسول الله " لسعد بن معاد " في أمر بني قريظة، وكان حكمه نافذ.

3. **مشروعية الاجتهاد** في الفروع وضرورة وقوع الخلاف فيها، أي الخلاف أمر لابد منه، هذا استنبطناه من قول المصطفى:" ألا لا يصلينا أحدنا العصر إلا في بني قريظة " هذا النص دلالته على المعنى ظنية، يحتمل أن يكن قصد المصطفى أن يسعى المسلمين الوصول إلى بني قريظة في أقرب وقت وهو العصر، ويحتمل أن يكون مراد المصطفى أن صلاة العصر لا تسوغ إلا في بني قريظة. والجماعة التي لم تصل في الوقت المحدد وقع بينهم خلاف في المعنى الذي يقصده رسول الله صلى اله عليه وسلم.والرسول أقر عمل الفريقين. شاء الله عز وجل أن تكون معظم أحكام الشريعة محتملة أي غير قطعية كنصوص العقائد. والحكمة من ذلك والله أعلم تيسير الأمر للمسلمين، وعلينا نحن الأدب مع هذه الإجتهدات واحترامها.

4. تأكد اليهود من نبوة محمد صلى الله عليه وسلم،ونستدل بهذا من قول "كعب بن أسد القرظي ": نتابع هذا الرجل ونصدقه فو الله لقد تبين لكم أنه لنبي مرسل وأنه للذي تجدونه في كتابكم فتأتمنون على دمائكم وأبنائكم ونسائكم تنتهي المشكلة:" ومع ذلك لم يتبعوه و نجد هذا في قوله تعالى: "وَجَحَدُوا بِهَا و اسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسهمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا "

5. **حكم شرعي:** ما هو الحكم الشرعي لقادم نأمل صلاحه وتقواه ؟ الجواب عندما أقبل " سعد بن معاد" وهو راكب حماره قال: قوموا إلى سيدكم أو خيركم . إكراما للقادم الذي يستأهل الإكرام. وربما يقال أن طاب رسول الله لكون سعد مريض فقال قوموا لإنزاله عن دابته لا، العبارة واضحة من قوله إلى سيدكم. وهناك أدلة أخرى في الترمذي والبخاري وردت في الأدب المفرد، أن النبي عليه الصلاة والسلام إذا دخل على السيدة فاطمة قامت إليه فقبلها وأجلسته في مكانها، وإذا دخلت السيدة فاطمة إلى رسول الله قام رسول الله وأجلسها في مكانه. ونهى رسول الله عن القيام التمثل أي أن يقوم الناس لك حتى تأذن لهم بالجلوس لقوله:" من أحب أن يتمثل الناس له قياما فليتبوأ مقعده من النار " وقيامك للعالم الفاضل شيء وجبه لأن تقوم له شيء أخر، وإذا شعرت أنه يحب ذلك فلا تقم له. والرسول أيضا قال:" لا تقوموا لي كما يقوم الأعاجم بعضهم لبعض " وهم يقومون لسيدهم إلى درجة الركوع. ونهى رسول الله عن هذا النوع من القيام.والنووي يقول أن القيام للعالم إكراما لا تعظيما.

6.

(الدرس 38)

﴿المشهد الثاني والثلاثين﴾

صلح الحديبية

صلح الحديبية كان في أواخر شهر دي القعدة من أواخر السنة السادسة للهجرة، سبب هذا الصلح أن النبي صلى الله عليه وسلم أعلن في المسلمين في هذا الشهر أنه متوجه إلى مكة معتمرا، فتبعه جمع كبير من الأنصار والمهاجرين بلغوا ما يقارب ألف وأربعمائة شخص، وأحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم في الطريق وساق معه الهدي ليأمن الناس جانبه وليعلموا أنه ما خرج لحرب أحد، وإنما خرج زائرا البيت الحرام وقاصدا مناسك العمرة، وأرسل رسول الله عينا له من قبيلة خزاعة اسمه " بشر ابن سفيان " ليأتيه بأخبار المشركين من أهل مكة، هل علموا بالخبر أم لا وإن علموا ما

هي ردة الفعل عندهم ؟. سار صلى الله عليه وسلم إلى أن وصل إلى مكان اسمه "غدير الأشطاط "، في هذا المكان رجع إليه " بشر ابن سفيان " وقال له: إن قريش قد علمت بالخبر وإنها قد جمعت جموعا كثيفة جمعوا لك الأحابيش وهم مقاتلوك وصدوك عن البيت الحرام ومانعوك من دخول مكة. فقال الرسول صلى الله عليه وسلم:" أشيروا عليَّ أيها الناس ماذا ترون ؟ " فقال له أبا بكر:" يا رسول الله خرجت عامرا إلى هذا البيت لا تريد قتل أحد ولا حرب أحد فتوجه إليه، فمن صدنا عن البيت قاتلناه ومن تركنا مضينا لشأننا " أعجب المصطفى برأيه وقال:" أمضوا على اسم الله " ولكنه قال:" من رجل فيكم يدلنا على طرق خلفية غير الطريق التي سيوجهنا منها المشركون الأتون من مكة ؟ فخرج رجل من بني الأسلم خبير بالطرق وقال أنا يا رسول الله. وأخذ يدله والمسلمون على طرق مستوعرة غير الطرق التي قد يظن المشركون أنه سيأتي منها. إلى أن وصلوا إلى مكان اسمه " ثنية المرار " وهو مكان يشرف على ساحة واسعة اسمها " الحديبية " هنالك بركت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأخذ الصحابة الذين من حولها يقولون لها حل حل وهو اسم صوت يقال لناقة من أجل استنهاضها، فما تحركت الناقة قط. قال قائل منهم خلأت القصوى أي حرنت. فقال المصطفى صلى الله عليه وسلم:" ما خلأت القصوى وما ذلك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل. وعندئذ قال المصطفى بصوت مرتفع: " والذي نفسي بيده لا يسألونني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها " أي لا أريد لنفسي شيئا، وإذا اشترطوا شرطا أن يعظموا حرمات الله. ثم استنهض الناقة فنهضت وتوجه بها وجهة أخرى فسارت. عندئذ نزل المصطفى وأصحابه إلى ساحة الحديبية، بحثوا عن ماء وجدوا حفيرة بسيطة بها ماء قليل سرعان ما انتهى الماء منها جاءوا يشكون إلى رسول الله الظمأ فانتزع المصطفى صلى الله عليه وسلم سهما من كنانته وأمرهم أن يجعلوه في تلك الحفيرة ففعلوا ذلك، يقول الراوي:" فو الله مازال تجيش لهم تلك الحفيرة بالري " أي نبع الماء منها وما زال ينبع حتى صدروا عنه.

- الرسول مقيم هناك في تلك الأثناء جاء رجل من المشركين اسمه " بذيل ابن ورقاء الخزاعي " ومعه نفر، فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم:" إني تركت قريش بمختلف بطونها وقبائلها نزلوا بماء الحديبية أي مكان قريب ومعهم العود المطافيل وأنوق الأمهات ومعها صغارها لأنها ذات ألبان ليبقوا المدة الطويلة ومعهم حاجاتهم وألبانهم وهم صادوك ورادوك عن البيت. فقال الرسول لبديل وهو يحمل رسالة إلى قريش:" إن قريش قد نهكتهم الحرب، وأضرت بهم فإن شاءوا مادتهم مدة

بدون حروب أي عقد صلح ويخلوا بيني وبين الناس، وإن أظهر أي إذا انتصرت في دعوتي التي بعثت بها، إن شاءوا دخلوا فيما دخله الناس فعلوا، وإلا فقد جموا من القتال لهم ذلك، وإن هم رفضوا إلا القتال فو الذي نفسي بيده لأقتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي ولينفذن الله أمره " فقال بذيل حسنا سأبلغهم هذا الذي تقول. الرسول في أدنى ساحة الحديبية والمشركون في الطرف الأخر مما يلي مكة. وعاد بذيل بهذا الخبر إلى المشركين.

- فقام رجل اسمه " عروة بن مسعود " يعرض على المشركين أن يأتي رسول الله ويناقشه في هذا الأمر الذي جاءهم به " بذيل بن ورقاء " فقالوا اذهب. فذهب " عروة بن مسعود " إلى أن وصل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكلمه المصطفى بنفس ما كلم به بذيل فقال له عروة: أرأيت إن استأصلت قومك، هل سمعت أحدا من العرب اجتاح أهله قبلك، أي فأنت تقول فإن أبوا لأقتلنهم على أمري حتى تنفرد سالفتي ؟؟؟ ما هذا وهل سمعت أحدا من العرب اجتاح أهله وحاول أن يقضي عليهم. و إذا أردت أن تعرف موقفنا نحن عندما تريد أن تواجهنا فإني والله لا أرى وجوها وإنما أرى أشوابا أي أخلاطا من الناس يوشك أن يدعوك فيفروا. المسلمون يسمعون هذا الكلام منهم أبو بكر " الذي قال له:" انصص بدر اللات أنحن نفر عنه وندعه ؟؟ كلام أبا بكر في محله لهذا عروة المفتخر بنفسه وبما قاله. فالتفت عروة قائلا من هذا ؟؟ قالوا هذا أبو بكر. قال:" أما إنه لولا يد لك عندي لأجرتك. أي أنت لك فضل علي قبل الأن لهذا لا أجيبك. ثم جعل يكلم النبي وهو يمد يده إلى لحية رسول الله مستهزئ، وكان سيدنا " المغيرة بن شعبة " واقفا على رسول الله حارسا وبيده السيف وكان كلما مد يده إلى لحية رسول الله ضربه بنعل السيف وقال له:" أرجع يدك عن رسول الله قبل أن لا تعود إليك " فقال من هذا ؟ قيل له " المغيرة بن شعبة " أي غدر وهل غسلت سوأتك إلا بالأمس. وجعل عروة ينظر إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتفاتهم إليه. يقول عروة عندما رجع إلى المشركين:" ما تنخم محمد نخامة إلا ابتدروها يتباركون بها، وما توضأ وضوء إلا وابتدروا وضوءه ليتباركوا بالوَضوء. وقال لهم:" والله لقد وفدت على الملوك ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي، والله ما رأيت ملك قط يعظمه أصحابه كما يعظم أصحاب محمد مُحَمَدْ، وإنه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها "

- اتفق المشركون مبدئيا على هذا الذي قاله رسول الله. وأرسلوا رجلا اسمه " سهيل بن عمر " يبدوا أنه كان كاتبا ممثلا عنهم ليكتب كتاب عهد وسلم بين المسلمين والمشركين. ولما جلس إلى

رسول الله قال:" هات لنكتب كتابا بيننا وبينكم، فدعا رسول الله الكاتب وكان علي رضي الله عنه، وأخذ يملي رسول الله وسيدنا علي يكتب، أول كلمة أملاها عليه، بسم الله الرحمان الرحيم. فقال سهيل: لا الرحمان الرحيم لا نعلم ما هو ولكن أكتب بسمك اللهم. قال المصطفى صلى الله عليه وسلم لعلي:" أكتب كما قالوا باسمك اللهم. الكلمة التي بعدها. هذا ما طاب عليه محمد رسول الله مشركي قريش. قال: سهيل:" لو نعلم عنك رسول الله ما صددناك عن البيت. قل هذا ما طاب عليه محمد بن عبد الله مشركي قريش " فقال عليه الصلاة والسلام والله إني لرسول الله وإن كذبتموني.لكن أمحها، فرفض سيدنا علي أن يمحها، قال والله لا أمحوها، فأخذ الرسول القلم من علي وقال أرني مكانها، فأراه مكانها فشطب عليها. ثم أملا ما يلي:

1. " العهد بيننا عشر سنوات على أن تخلوا بيننا البيت فنطوف فيه " لا تتحدث العرب على أننا أخذنا ضغطة، ترجعون هذا العام وفي العام القادم تأتون وتطوفون بالبيت وليس معكم من الأسلحة إلا السيوف في قرابها ثلاثة أيام ثم ترجعون. قبل الرسول هذا الشرط واستكتب علي هذا الكلام.

2. ثم قال سهيل:" وعلى أن لا يأتيك يا محمد منا رجل وإن كان على دينك إلا رددته إلينا، أما إذا جاءنا من عندكم رجل فنحن لا نلتزم بإعادته إليك ".

المسلمون استعظموا هذا الكلام، والتفت بعضهم لبعض وقالوا لرسول الله، أنكتب هذا الكلام ؟ قال الرسول:" نعم فإنه من ذهب منا إليهم فلا رده الله، ومن جاءنا منهم سيجعل الله له فرجا ومخرجا "

الظاهر أن هذا الصلح كله لمصلحة المشركين إلا في مسألة عشر سنوات لا حرب بينهم. سيدنا عمر يقول عن نفسه:" إن هذا الأمر أهمه جدا جدًا وجاء إلى رسول الله وقال له:" ألست نبي الله حقا ؟" قال:" بلى" قال:" ألست على حق وأعداؤك على باطل ؟" قال:" نعم " قال:" أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار؟" قال:" بلى " قال:" فلماذا نرضى الدنية في ديننا " قال:" يا عمر أنا لا أعصي الله وهو ناصري" أي هي أوامر الله وأنا لا أعصيه. ما شفي غليل سيدنا عمر. فقال ذهبت إلى أبا بكر وأعاد له نفس الكلام الذي قاله لرسول الله. فقال له أبا بكر:" إنه رسول الله لا يعصي ربه، والله ناصره. وسكت. وسرعان ما نزلت سورة الفتح كاملة أثناء عودة المسلمين إلى المدينة. فاستدعى رسول الله عمر وتلا عليه سورة الفتح. عندئذ انفرجت أساريره وقال أهو فتح يا رسول الله

؟ قال " نعم ". الآن المسلمون لا يمكنهم الدخول إلى مكة فقد حوصروا، وهم محرمون. أعلن رسول الله لأصحابه أن ينحروا بدنهم ثم يحلقوا. وجم المسلمون ولم يتحركوا، ولم يفعلوا ما أمرهم به رسول الله. دخل رسول الله خباءه وكانت معه " أم سلمة " فأخبرها رسول الله بالأمر وأحزنه ذلك. فقالت له زوجه:" أتحب يا رسول الله أن يفعلوا ذلك ؟ قال نعم. قالت:" أخرج لا تقل شيئا أنحر بدنك وادعوا حالقك يحلق رأسك وانظر كيف يفعلون ما تفعل " وخرج رسول الله وفعل ما أشارت عليه به زوجه " أم سلمة " لما رأى القوم جد في أمر رسول الله وأنه بدأ فنحر بدنه وحلق رأسه، قاموا هم أيضا ينحرون بدنهم ويحلق بعضهم رأس الأخر، والهم يكاد يخنقهم لأنهم عائدون دون أن يدخلوا مكة. في هذه الأثناء جاءت نسوة هاربات مؤمنات من مكة، والبند يقول:" أن كل من جاء من مكة مسلما يجب على رسول الله رده. مقتضى البند أن يرجع رسول الله هؤلاء النسوة إلى المدينة. لكن البارئ أنزل آية شاء من خلالها أن يستثني النساء.في قوله تعالى:" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ " وعندئذ أبى رسول الله أن يعيدهن، وتلا على " سهيل بن عمر" الآية التي نزلت وخنس. وهذا سهيل بعد ذلك أسلم. لكن آنذاك كان مشركا. في تلك الأثناء أرسل رسول الله سرا " عثمان بن عفان " إلى مكة، وأمره أن يدخل بيوتات للمسلمين ضعاف لم يتمكنوا من الهجرة، أمره أن يدخل إلى هذه الأسر ويبشرها بالفتح القريب. وفعل ذلك سيدنا عثمان وتلبست عودته أي تأخرت. فشاع بين المسلمين في الحديبية أن عثمان قتل. فجمع رسول الله أصحابه فطلب منهم أن يبايعوه على الموت، إذا تبين فعلا أن عثمان قد قتل، هذه البيعة كانت تحت الشجرة وأشار إليها بيان الله سبحانه وتعالى، بايعهم الرسول واحدا تلو الأخر،ولما بايعهم جميعا، أمسك رسول الله يديه وقال هذه عن عثمان. ثم تبين أن عثمان بخير ورجع ولم يكن هناك أي إشكال.

﴿تحليل المشهد﴾

1. من دلائل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم في هذا الصلح، وإنها من أبين الأدلة التي تثبت أنها يستحيل أن تنبثق من عبقرية مفكر ذكي أو سياسي ماهر، ولم تنبثق من استناد المسلمين لقوتهم واعتزازهم بها، ويتبين لنا ذلك من موقف سيدنا عمر الرافض في البداية لبنود الصلح. إذا أشكال الصلح تنزلت وحيا من علياء الربوبية إلى محمد نبي الله ورسوله. وتساؤلات سيدنا عمر لرسول الله لم

يجد لها جوابا بشريا يقنعه، وكان جواب المصطفى:" يا عمر أنا لا أعصي الله وهو ناصري". إنها الحكمة الخفية التي لا يمكن أن تخطر في بال أحد، ولا يمكن أن تثمرها عبقرية عبقري، أو من سياسة سياسي.الحكمة تجلت فيما بعد وهي مشيئة الله تعالى أن تفتح مكة فتح مرحمة وسلم لا فتح ملحمة وقتال. ومقدمة هذا الفتح هو هذا الصلح الذي تم بهذا الشكل، وهو من تخطيط البارئ عز وجل.

2. من ثمرات الصلح، يقول علماء السيرة:" إن المسلمين الذين دخلوا ما بين صلح الحديبية وفتح مكة إلى الإسلام كانوا يساوون عدد المسلمين الموجودين إلى ذلك اليوم أي الصلح. في هاتين السنتين كان بإمكان المسلمين أن يحاوروا ويناقشوا، والمشركون بدؤوا يفكرون ويتحدثون ويعودون إلى هوياتهم. في هذه الفترة دخل الإسلام " خالد بن الوليد " و" عمرو بن العاص " وكثير من صناديد قريش. يقول سيدنا عمر:" يا أيها الناس اتهموا أنفسكم فإني مازلت أستغفر الله وأستغفره مما قلته لرسول الله يوم صلح الحديبية ولقد رأيتني ولو استطعت أن أرد أمر رسول الله لرددته".

(الدرس 39)

3. رأينا هنا استعانة الرسول بغير المسلمين مرة أخرى حيث أرسل " بشر ابن سفيان الخزاعي " وهو مشرك عينا ليأتيه بخبر حال المشركين في مكة وردة فعلهم عن مجيء رسول الله للعمرة، هذا يفتح لنا باب تساؤل. هل يجوز شرعا لولي أمر المسلمين أن يستعين بغير المسلمين في مثل هذه الأمور ؟ ذهب جمهور العلماء إلى أن هذا من أحكام الإمامة والسياسة الشرعية فيما دون القتال. مثل هذا الأمر أو في استعارة أسلحة كما فعل الرسول في غزوة حنين واستعار من " صفوان بن أمية "كان مشركا.

4. طبيعة الشورى في الإسلام وهو مبدأ مشروع ومطلوب من ولي أمر المسلمين لقوله تعالى: " وشاورهم في الأمر " ومدح المسلمين في قوله:" وأمرهم شورى بينهم" مسألة طرحت ليس فيها نص من كتاب الله واضح، وليس فيها كلام من رسول الله من حديث صحيح واضح، ينبغي أن نعرضها على الشورى. ومجلس الشورى مؤلف من علماء الشريعة الإسلامية الأمناء المخلصين. والشورى في المجالس الإسلامية ليست ملزمة،ويتلمسون حكم الله في الأمر، وإذا اختلفوا قيل أن المسألة كذا فيها خلاف.عكس ما هي عليه في الحكم الديمقراطي الذي يأخذ برأي الأغلبية باعتبار أن الحكم

لشعب. أما عند المسلمين الحكم لله:" وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك ".

الرسول صلى الله عليه وسلم في صلح الحديبية أخذ برأي أبا بكر لوحده، وبعد السير بركت الناقة وعندئذ قال المصطفى بصوت مرتفع:" والذي نفسي بيده لا يسألونني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها " أي الغرض من مجلس الشورى تبين حكم الله تعالى وهي معلمة وليست ملزمة وفائدتها أن ولي أمر المسلمين ينبغي أن يستعرض أكثر من رأي، عندها يتبين له الرأي الأصوب. هذا إذا كان عالم ومجتهد مثلهم. أما إذا كان أقل علم من مستشاريه هنا ينبغي أن يتبعهم. والمسألة هنا مرجع إسلامي ينبغي أن ينفد، لأنه حصيلة اجتهاد تدل على حكم الله في الأمر.

5. التوسل والتبرك بآثار النبي عليه الصلاة والسلام رأينا موقف " عروة بن مسعود " وقوله عند رجوعه إلى قومه وهو:" ما تنخم محمد نخامة إلا ابتدروها يتباركون بها، وما توضأ وضوء إلا وابتدروا وضوءه ليتباركوا بالوَضوء. وقال لهم:" والله لقد وفدت على الملوك ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي، والله ما رأيت ملك قط يعظمه أصحابه كما يعظم أصحاب محمد مُحَمَدْ، وإنه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها " نفهم من هذا أن الصحابة كانوا يتباركون بماء وضوء النبي وعرقه... ذل هذا كله أنه لا يتم إيمان المرء بالله ورسوله بدون محبة لله ولرسوله.والمحبة عاطفية ووجدانية، وهذا ما كان عليه أصحاب رسول الله.

علينا أن نفهم أن الفاعلية لله، وتوسل والتبرك برسول الله حيا أو ميتا للمكانة التي يتبوأها رسول الله، ولأن الله تعالى جعله رحمة للعالمين وهو يحبه، هذه المزايا هي التي تجعلنا نستشفع به عند الله تعالى.من السيرة أن رجلا ضرير كان مع جمع من الصحابة سأل رسول الله أن يدعو له أن يرجع له بصره. فقال له النبي:" أوى تصبر فيكون أفضل لك ؟ " فشكا أنه لا يجد قائدا يقوده إلى المسجد. فقال له النبي:" أسبغ الوضوء فصلي ركعتين ثم قل:" اللهم إني أتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة يا محمد إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي لتقضى اللهم فشفعه في " وأذكر حاجتك " فعل الرجل ذلك وأصبح يبصر.

(الدرس 40)

6. حكم الوقوف على إنسان وهو قاعد، أي رجل قاعد وبجانبه شخص واقف تعظيما وتكريما له، وهذا غير جائز، وهذا ما نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال:" من أحب أن يتمثل له الناس قياما فليتبوأ مقعده من النار ". ورأينا في هذا الصلح أن " المغيرة بن شعبة " وهو من أصحاب رسول الله، كان واقفا على رسول الله وبيده السيف ولاحظنا أن " عروة بن مسعود " كلما مد يده إلى لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم يعبث بها ضرب المغيرة يده بنعل السيف وقال له:" رد عنك يدك عن رسول الله قبل أن لا تصل إليك " وهذا يتعارض مع ما قد قلناه. الجواب: أن ذلك الحكم العام يستثنى منه هذا الحال أي أن يكون قائد المسلمين في معركة، وتكون له ساعة لقاء بينه وبين من يمثل أعداءه، في هذه الحالة يشرع وجود من يقوم على قائد المسلمين بهذا الشكل الذي رأيناه. وهذا يذكرنا بما قاله رسول الله يوم أحد عندما جاء أبو دجانة وأخذ السيف من رسول الله، وقد قال عليه الصلاة والسلام:" من يأخذ هذا السيف بحقه " فأقبل أبو دجانة وقال:" أنا يا رسول الله " ومشى مشية متبختر فقال الرسول:" هذه مشية يبغضها الله إلا في هذا الموقف " حالات الحرب لها أحكامها، ينبغي فيها إبراز عزة المسلمين، و إدخال هيبتهم في قلوب الأعداء.

7. مشروعية الهدنة بين المسلمين وأعدائهم، جمهور المسلمين قالوا أنه جائز واستدلوا على ذلك بالصلح الذي أبرمه الرسول يوم الحديبية مع المشركين.والمسألة منوطة بما يراه ولي أمر المسلمين.

8. الشروط التي تؤخذ بين المسلمين وأعدائهم ما حكمها ؟ الجواب كل شرط لا يتعارض مع كتاب الله ومع ما صح من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا مانع لولي أمر المسلمين أن يشترط على الأعداء.لنرى إلى الشرط الذي يقول كل مسلم ذهب إلى المدينة يرجع إلى مكة، لو أعيد هذا الشرط اليوم هل لولي أمر المسلمين الأخذ به ؟ قالوا نعم لأن الرسول قبل هذا الشرط. إلا الشافعية استثنت أن الجماعة التي تأتي مسلمة إن كانت لها عشيرة تحميها أو فئة نرسلهم، أما إن لم تكن لها فلا يجوز إرسالهم.لو أن العدو اشترط أن أي امرأة مسلمة جاءت إلينا ينبغي أن ترد، هل يجوز ؟ لا هذا غير جائز لأنه يخالف كتاب الله في قوله تعالى:" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ "

9. حكم الإحصار إن في الحج أو العمرة، جماعة داهبة إلى الحج أو عمرة وحيل بينهم وبين تنفيذ المناسك ما الحكم ؟ الحكم أن يذبحوا ويحلقوا ثم يتحللوا. ولا يجب عليهم العودة في العام المقبل إذا الحكم مندوبا أما إذا كان واجبا، نعم يجب إذا أمكن.

10. موضوع بيعة الرضوان يوم أرسل الرسول سيدنا عثمان إلى مكة ليبلغ بيوتات في مكة أن الفتح قريب، فذهب فتلبثت عودته، فشاع بين الصحابة أنه قتل، ودعا الرسول إلى البيعة فبايعوه صلى الله عليه وسلم، والرسول أمسك بيده وقال:" وهذه عن عثمان، هذا يتبين مدى مكانة سيدنا عثمان عند الله وعند رسول الله، وعلينا أن نتأدب مع هؤلاء جميعا من الصحابة والخلفاء والصالحين.

11.

(الدرس 41)

﴿المشهد الثالث والثلاثين﴾

غزوة خيبر

حدثت الغزوة في آخر شهر محرم لسنة السابعة من هجرة النبي صلى الله عليه وسلم، وخيبر هي مدينة كبيرة ذات حصون ومزارع تقع على بعد مائة ميل من شمال المدينة المنورة إلى جهة الشام، تجمع فيها اليهود الذين أجلوا من المدينة المنورة، بسبب سلسلة الخيانات التي بدرت منهم. سبب الغزوة أن النبي صلى الله عليه وسلم بلغه أن يهود خيبر يخططون مع قبيلة غطفان لقتال رسول الله، ولما تأكد الرسول من الخبر، قطع الطريق ما بين خيبر وغطفان، واتجه إلى خيبر، وكان معه ألف وأربعمائة مقاتل بين فارس وراجل، ولما أشرف الرسول على خيبر من علو وكان الوقت ليلا قال:" اللهم رب السماوات وما أظللن ورب الأراضين وما أقللن أي وما حملنا ، ورب الشياطين وما أضللن ورب الرياح وما أدرين إنَّ نسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها، ونعود بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها، أقدموا بسم الله " وكان النبي عليه الصلاة والسلام إذا أراد أن يغزوا مدينة بات على مشرفة تلك المدينة إلى الصباح فإن سمع آذان ما يدل على الإسلام رجع، وإلا دخل. في الصباح لم يسمع ما يدل على إسلام هذه المدينة، لهذا أمر أصحابه بالدخول إلى خيبر، فرآه فلاحوا خيبر الذين خرجوا باكرا إلى مزارعهم، ولو هاربين يصيحون محمد والخميس أي الحرب. و نادى الرسول الله أكبر خربت خيبر،إن إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين. وعظ رسول الله الناس ودعا وفرق عليهم الرايات، وابتدأت المعارك بين رسول الله وأهل خيبر، وتحصن اليهود بحصونهم ،

وأخذ المسلمين يفتحونها حصنا بعد حصن، إلا حصنين تعسر على المسلمين في بادئ الأمر فتحهما وهما الوطيح والسُلالِم ، حاصرهما الرسول صلى الله عليه وسلم بضعة عشرة ليلة، ثم إن الله عز وجل فتح عليه .

فيما يرويه أحمد والنسائي وابن حبان وابن الحاكم من حديث "بُريده ابن الخطيب " رضي الله عنه قال:" لما كان يوم خيبر أخذ أبو بكر اللواء فرجع ولم يفتح له، ولما كان الغداة أعطى الرسول الراية لعمر فرجع ولم يفتح له، في مساء اليوم الثالث، قال عليه الصلاة والسلام:"لأدفعن غدا لوائي إلى رجل يفتح عليه يحبه الله ورسوله أو يحب الله ورسوله " يقول بُريده بتنا تلك الليلة ندوك أي نتفكر من هذا الرجل الذي سيعطاها، والنبي عليه الصلاة والسلام بشر أن الفتح سيكون على يديه وأنه يحب الله ورسوله. لما أصبح والناس كلهم يتساءلون من الرجل، فنظر فيهم المصطفى وقال أين علي ؟ فقيل هو بعيد يشكو عينيه. قال:" فأرسلوا إليه. فجاءه وهو يعاني من رمد في عينيه، فبصق المصطفى غليه الصلاة والسلام في عينيه ودعا، فبرأ وكأن لم يكن به وجع، ثم أعطاه الراية.

(فقال علي:" يا رسول الله نقاتلهم على أن يكونوا مِثلنا مؤمنين " فقال أنفد على رسلك فو الله لأن يهديا الله بك رجلا واحدا خير لك من حمْرُ النعم أي الجمال الحمراء " فخرج علي وقاتل نهاره ذاك فكان الفتح على يديه ") متفق عليه.

أما الوطيح والسُلالِم حاصرهما المسلمين حتى أيقن من فيه بالهلاك، عندئذ نزلوا على أمر رسول الله، لكنهم اقترحوا عليه على أن يخرجوا ويحقن رسول الله دماءهم ويتركوا له الأموال المنقولة، أما الأرض فقالوا نحن أدرى بزراعتها، والخارج منها يكون قسم للمسلمين وقسم لهم. رضي رسول الله معهم على هذا، أي الأرض للمسلمين والعاملين فيها اليهود، واشترط الرسول إخراجهم متى شاء إن اقتضت المصلحة ذلك باعتبار الأرض ليست لهم. ولما وضعت الحرب أوزارها واطمأن الرسول لذلك وثم هذا الاتفاق، جاءت امرأة يهودية اسمها " زينب بنت الحارث " زوجة "سلام ابن مشكم" جاءت بشاة مصلية أي مشوية إلى رسول الله بعد أن سألت طبيعة المصطفى عليه الصلاة والسلام أي اللحم أحب إليه؟ فقيل لها الذراع. فدست السم فيه ما شاءت أن تدس، ووضعت هذه الشاة بين يدي رسول الله،تناول الرسول الذراع ولاك منها مضغة، فلم يسغها وأخرجها، وكان معه " البشر بن البراء " جالس معه هو الأخر أخذ من هذا اللحم قطعة، لكن الرسول لفظ هذه القطعة، وقال:" إن هذا العظم يحدثني أنه قد سُمَّ. لكن بشر كان قد ابتلع اللقمة فأنجى الله رسوله، أما البشر فقد

مات. واستقدم رسول الله هذه المرأة " زينب بنت الحارث " قال لها:" ما حملك على هذا ؟ قالت له:" ما بلغت من قومي فقلت إن كان ملكا تخلصنا منه وإن كان نبيا لن يصاب بأذى. فقال لها الرسول صلى الله عليه وسلم:" ما كان الله ليحملك على ذلك أو ليقدرك على ذلك. الصحيح فيما رواه علماء السيرة أن النبي عليه الصلاة والسلام تجاوز عنها. وهناك من قال أن الرسول دفعها إلى أهل بشر فاقتصوا منها فقتلت. والصحيح أن النبي صفح عنها.

قسم رسول الله أموال خيبر المنقولة لراجل سهم وللفارس سهمان وقيل ثلاثة . وفسر ذلك فيما رواه البخاري أنه إذا كان رجل معه فرس فله سهم وللفرس سهمان، وإن لم يكن له فرس فله سهم واحد.

قدوم جعفر من الحبشة : قدم منها في هذه الفترة إلى خيبر وقد وضعت الحرب أوزارها ومعه ستة عشرة رجلا، ففرح رسول الله بمقدمهم وأسهم له من الغنائم، ولكن بعد أن استأذن المسلمين. ويروي ابن هشام في رسالته أن سيدنا جعفر لما وصل خيبر قام رسول الله فاستقبله إكراما له، وقبل بين عينيه وقال:" لا أدري بأيهما أسر بفتح خيبر، أم بقدوم جعفر ؟ "

ولما قفل رسول الله عائدا إلى المدينة استعمل على خيبر واليا اسمه " سواد بن غزية " وهو من الأنصار من بني عدي، وبعد أشهر أخذ إجازة وجاءه من خيبر بثمر ممتاز اسمه ثمر جنيب فقال الرسول:" أكل ثمر خيبر هكذا ؟ قال لا يا رسول الله إن لنأخذ الصاع منه بصاعين وثلاثة صعان. فقال رسول الله لا تفعلوا ذلك، بل بع بالدراهم واشتري بدراهم جنيبا."

﴿تحليل المشهد﴾

1. جميع الغزوات الأخرى فإن العدوان الفعلي بدأ من المشركين، أما في خيبر فإن الرسول فاجأ أهلهم بعد أن علم أنهم يخططون مع غطفان لمحاربة رسول الله. والرسول لم ينتظر أن يصل التخطيط إلى التنفيذ. هل يجوز مباغتة العدو بدون إنذار سابق ؟ نعم استدل الفقهاء مما فعله الرسول يوم خيبر أنه يجوز،مادام موجبات الغزو موجودة والعدوان وقد بلغتهم الدعوة.

2. تقسيم الغنائم على الأساس الذي ذكر وهذا في قوله تعالى:" واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير " وهذا ما فعله الرسول يوم خيبر. السؤال الوارد هل هذا الحكم ماض إلى يوم القيامة ؟ أي ما غنمه المسلمين يقسم على

المقاتلين. وقلنا أن ما غنمه المسلمون إن كان غير منقول عند جمهور من الفقهاء لا يوزع، أي يبقى بيد الدولة، ويستصلحه المسلمين جيلا بعد جيل. ويسمى مال خراجي، وهذا مما استشهد عليه سيدنا عمر من قوله تعالى:" وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آَمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ " جُعِل المال للمهاجرين والأنصار ومن جاء من بعدهم.أما المنقول فينبغي أن يوزع، وحاليا لا بأس أن تقسم على شكل إضافات لرواتب وعلاوات على الجُنْد، وهذا من أحكام السياسة الشرعية أي ولي أمر المسلمين لا يدفع الغنائم دفعة واحدة. والحكمة من جعل الجند مرفهين دائما، لأنهم مطموع فيهم من قبل الأعداء، والعدو يبحث دائما عن نقطة ضعف الجنود، ليتسللوا منها إلى حمى الإسلام، وليخترقوا قوة المسلمين بواسطة ذلك. وأخطر نقطة الضعف أن يحتاج الجنود. هل يجوز أن نشرك غير المقاتلين في الغنائم ؟ الجواب نعم شرط أن يأذن بذلك المقاتلين،وهو ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم مع " جعفر بن طالب " وآخرين معه، بعد إذن المقاتلين.

3. العصمة التي قضى الله تعالى بها لرسوله صلى الله عليه وسلم، طعام مسموم دليل ذلك موت البِشْرُ من لقمة واحدة أكلها، والرسول مج اللقمة التي وضعها في فيه وقال:" إن هذا العظم يحدثني من أنه قد سُم " واستقدم المرأة فأقرها فأقرت وقالت أنه حملها على هذا ما فعلته بقومي.السؤال: لماذا لم يقتلها رسول الله ؟ الجواب أن القصاص شرعة يخضع لها المسلمون فقط، هنا الأمر يعود إلى ولي أمر المسلمين إن شاء صفح وإن شاء قتل. والرسول هنا أراد أن يظهر مزية الشريعة الإسلامية التي تأمر بالصفح والفرق بينها و الآخرين، في حين أن الخيانة من صفات اليهود .

(الدرس 42)

4. عقد المساقات هو أن يتعاقد صاحب الأرض مع فلاح على أن يخدم أشجار هذه الأرض من سقية ورعاية على أن يكون قسم مما تنتجه الأرض لهذا الفلاح، جمهور العلماء قال أن هذا العقد جائز ودليل على ذلك العقد الذي أجراه رسول الله مع يهود خيبر، ورضاه بما اقترحه اليهود من بقائهم في الأرض لأنهم الأدرى بخدمتها. أما عن عقد المزارعة فهو أن تكون الأرض مزروعة بحشائش ونباتات...ويتم العقد ذاته بين المالك والفلاح جمهور العلماء قالوا عقد المزارعة قياسا على عقد المساقات جائز.

5. مشروعية تقبيل القادم والتزامه قال العلماء هذا جائز ودليلهم استقبال رسول الله جعفر عند قدومه من الحبشة قام إليه وقبله صلى الله عليه وسلم و التزامه. وما رواه الترمذي من حديث عائشة رضي الله عنها قال:" قدم زيد بن حارثة يقرع الباب فقام إليه رسول الله فاعتنقه وقبله " وفي الترمذي أن أحد أصحاب رسول الله ولعله أنس قال:" يا رسول الله الرجل منا يلقى صاحبه أينحني له ؟ " قال:" أيقبله؟ قال: لا قال:" أيصفحه " قال:" نعم "كيف نوفق بين هذا الحديث وتقبيل الرسول لجعفر وزيد ؟لا إشكال وسؤال أنس عن تكرار اللقاء في اليوم بين الأصدقاء والإخوة. و الانحناء مرفوض في كل الأحوال سواء القادم من السفر أو غيره.

6. ما لاحظناه من ذلك الصحابي الذي وظفه رسول الله واليا على خيبر، عاد بعد أشهر إلى المدينة المنورة وجاء إلى رسول الله بثمر ممتاز من خيبر اسمه ثمر جنيب أعجب رسول الله بالثمر وقال:" أكل ثمر خيبر هكذا ؟ قال لا والله يا رسول الله إننا لنبتاع صاع منه بصاعين من الثمر العادي قال الرسول:" لا تفعل ذلك، بل بع الثمر بالدراهم واشتري بالدراهم جنيبا " دل ذلك على أن مبادلة مطعوم بمطعوم من جنس واحد لا يجوز إلا أن يكونا متماثلين. وأكد لنا رسول الله هذا في حديث آخر يرويه عبادة بن الصامت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:"سمعت رسول الله ينهى عن بيع الذهب بالذهب والفضة بالفضة والثمر بالثمر والبر بالبر والشعير بالشعير والملح بالملح إلا سواء بسواء عينا بعين يدا بيد فمن زاد أو استزاد فقد أربى "

7. قول رسول الله لأصحابه لأعطينا غدا لوائي رجلا يحبه الله ورسوله أو يحب الله ورسوله، وتبين أنه سيدنا علي رضي الله عنه. وعندما سأل عنه قال أنه يشكو عينيه، بصق رسول الله فيهما وعادتا التو إلى حالتهما العادية وشفيتا، وهذا يدل على أمرين اثنين أولا مزية علي رضي الله عنه، وحسبنا شهادة رسول الله له وهي كافية ووافية. وهكذا علينا أن نحب علي وآل بيت رسول الله وجميع الصحابة بنفس القدر رضي الله عنهم جميعا.

8.

﴿المشهد الرابع والثلاثين﴾

سرايا إلى القبائل...وكتب إلى الملوك

- في أثناء الصلح مع المشركين انتهز رسول الله هذه الفرصة لبعث سرايا إلى القبائل ورسائل إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام، وكلها كانت في العام السابع من هجرة النبي عليه الصلاة والسلام،

عدد السرايا عشرة، وعن الرسائل منها ما يروي ابن سعد في طبقاته عدد الرسائل التي أرسلها رسول الله إلى الملوك " حيث لما رجع من الحديبية في ذي الحجة من ذلك العام أرسل رسول الله إلى الملوك رسائل متشابهة يدعوهم فيها إلى الإسلام، قالوا يا رسول الله إن الملوك لن يقرءوا كتابك لم يختم بخاتم المرسل، فاتخذ رسول الله خاتما ونقش عليه محمد رسول الله وكان يضعه في إصبعه، وفي يوم واحد أرسل ستة من أصحابه إلى أماكن متفرقة، وكل واحد كان يتقن لغة الملك الذي أرسله إليه، أولهم:

- " عمرو بن أمية الضمري" إلى النجاشي سلمه الرسالة فنزل النجاشي من عرشه، وجلس معظما كتاب رسول الله وقبله وتشهد شهادة الإسلام وقال:" لو استطعت لجئت إليه ".
- وبعث دِحْيَة الكلبي " الذي كثيرا ما يأتي سيدنا جبريل بشكله، إلى هرقل ملك الروم، ما استطاع أن يعطيه الرسالة مباشرة، بل دفعها إلى عظيم بصرا، فدفعها الأخر إلى هرقل قرأه وكان نص الكتاب:" بسم الله الرحمان الرحيم من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى أما بعد، فإني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فإن عليك إثم الأرثيين، ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله، فإن تولوا فقل اشهدوا بأن مسلمون " الواقع أن هرقل تأثر بالكتاب، وقرأه أمام جمع من حاشيته وقال:" يا معشر الروم هل لكم في الفلاح والرشد وأن يثبت ملككم وتتبعون ما قال عيسى بن مريم عن هذا الرجل " قالوا:" وما ذاك يا عظيم الروم؟ قال:" تتبعون هذا النبي العربي. فحاصوا حيصة حمر الوحش أي نخروا بأفواههم وتصايحوا صيحة المنكر لهذا الذي اقترحه عليهم هرقل، و تنجزوا ورفعوا الصليب. فخشي هرقل عندئذ على سلطانه وقال:" أنا كنت أريد أن أمتحنكم " وآثر الملك على الهداية واستمر على نهجه.

(الدرس 43)

- أرسل " عبد الله بن حذافة السهمي " إلى كسرى ملك الفرس يدعوه إلى الإسلام وأرسل معه كتابا إليه، ولما وصل الكتاب إلى كسرى وتلي عليه وترجم له، أخذه ومزقه وبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال:" مزق الله ملكه " ولم يكتفي كسرى بهذا بل أرسل إلى " بادان" عامله إلى اليمن التي كانت تحت سلطة الفرس ووواليها "بادان " يقول له ابعث برجلين جلديين إلى محمد فليأتياني به، وبعث فعلا رجلين جلديين كما طلب كسرى إلى رسول الله وكتب " بادان " كتابا

معهما ليسلم نفسه إليهما ليذهبا به إلى كسرى، وقدما المدينة ومعهما هذا الكتاب ودخلا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعطياه الكتاب، فتبسم الرسول صلى الله عليه وسلم فقال:" ارجعا عني يومكما هذا وإتياني غدا " فانصرفا وعادا إليه من الغد فقال لهما رسول الله:" أبلغا صاحباكما أن ربي قد قتل ربه في هذه الليلة لسبعة ساعات مضت منها " وكانت ليلة الثلاثاء لعشرة ليالي مضينا من شهر جمادى الأولى سنة سبع من هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لهما الرسول أيضا:" أن الله سلط عليه ابنه " شراويه " فقتله ". فرجعا إلى اليمن بذلك الخبر، فكان الأمر كما أخبر رسول الله، فأسلم هو وجمع ممن كانوا يديرون شؤون اليمن هناك.

- وأرسل رسول الله " الحارث بن عمير الأسدي " إلى عظيم بصرا تحت قيادة الروم في بلاد الشام، أعطى له كتاب رسول الله إلى " شرحبيل ابن عمر الغساني " عظيم بصرا، قرأ الكتاب فغضب وأوثق رسول رسولِ الله رباطا فقتله، ولم يقتل رسولٌ لرسول الله غيره. بيد عربي.

- وأرسل رسول الله بكتب كثيرة أخرى إلى أمراء عرب وغير عرب في ذلك العصر، أسلم كثير منهم، والكثير منهم لم يسلم.وأسلم أيضا في هذه الفترة صناديد من أهل مكة من أبرزهم " سيدنا عمرو بن العاص " و " خالد بن الوليد " والتقيا معا في طريقهما إلى المدينة المنورة. يروي ابن اسحاق عن "عمرو بن العاص " يقول خرجت عامدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقيت " خالد بن الوليد" فقلت له إلى أين يا أبا سليمان ؟ فقال:ط أذهب والله لأسلم فحتى متى ؟ فقال:" أنا والله أيضا خرجت لأسلم فأتيا معا ودخلا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسلما. وهي من أكبر الظواهر في عصر الرسول.

﴿تحليل المشهد﴾

1. قبل صلح الحديبية كان رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين مشغولين بالحروب، وما إن وضعت الحروب أوزارها وثم الصلح وهدأت النفوس وفرغ العقل وتهيأ لتفكير تحول الرسول عندئذ لإبلاغ الناس وهو أساس رسالة الله سبحانه وتعالى.

2. فارق أخر الحروب التي كانت قبل صلح الحديبية كلها دفاعية حيث إذا شعر الرسول أن العدو على مقربة من مدينتهم يخرجون لدفاع عنها، لكن بعد الصلح انتقلت المرحلة الجهادية إلى أن الرسول يبادئ كل من يخطط للإعتدء عليه، مثل مفاجأته لأهل خيبر.

3. البارئ عز وجل قال:" لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي " عند الجمهور أن لا هنا نافية أي لا يتأتى الإكراه في الدين، لأن مكان التدين القلب، لكن الإسلام له قانون ونظام وجاء ليعم العالم كله، والناس تحت سلطان هذا الدين لهم إذا شاءوا الدخول فيه، ولهم أن يظلوا على دينهم، لكنهم ماداموا تحت مظلة الإسلام لهم أن يخضعوا لنظامه وسلطانه وقوانينه. من هنا جاءت هذه المرحلة الثانية. نحن مدعوون الآن لأن نبسط سلطان الإسلام في العالم كله، أي نظام الإسلام. و ندعو الناس إلى معرفة هذا الدين، وأن الله قد أمرهم بأن يخضعوا لهذا الدين، وأن يصطبغوا بعقائده، إذا أبوا نهددهم بعذاب الله وعقابه. فإن نصبوا لنا العداء ومنعونا من تبليغ الدعوة لناس عندئذ يجب أن نقاتلهم إذا استطعنا إلى ذلك سبيلا، لدرأ العدوان وهو ما ذهب إليه كثير من الفقهاء.

4. لاحظنا أن هرقل لما قرأ رسالة رسول الله، نظر وأراد أن يدخل الإسلام، وجس نبض رجال الدين الذين من حوله وقال لهم :" يا معشر الروم هل لكم في الفلاح والرشد وأن يثبت ملككم وتتبعون ما قال عيسى بن مريم عن هذا الرجل " قالوا:" وما ذاك يا عظيم الروم؟ قال:" تتبعون هذا النبي العربي. فنخروا نخرة حمر الوحش. فخشي هرقل على ملكه قائلا :" أنا كنت أريد أن أمتحنكم " هذا يوضح لنا أن كثيرين هم الذين يمنعهم من الإسلام شيء واحد هو العصبية لذات، حيث رغم معرفتهم أنهم على باطل الذي يغذي عصبيتهم أقدس عندهم من الحق الذي يدعون إليه.

5. وكلمة الأرثيين التي جاءت في رسالة هرقل هم نسبة لأريوس الذي كان واحدا من كبار رجال الدين من أتباع سيدنا عيسى دون أن يحرف أو يبدل ما جاء به، عندما عقد قسطنطين مؤتمر نيقيا وكان له أتباع ورجال أوحى إليهم أن يعتمدوا أربعة أناجيل بعد أن حرفت قام أريوس في وجه قسطنطين وأخذ يبرهن أن سيدنا عيسى نبيا ولم تكن له شخصية لاهوت و لاسوت.. ودافع عن حقيقة سيدنا عيسى. ولكنه لم يتمكن أن يتغلب على الموقف، وبقي هو وثلة معه على الحق، وفي عصر هرقل بقي منهم الكثير يسمون الأرثيين وقال النبي في رسالته " فإن أبيت فعليك إثم الأرثيين " أي تتحمل نتيجة الضغط عليهم وفي عدم تمكينهم من استعلاء عقائدهم الحقة.

6. قيل لرسول الله لما أراد إرسال الرسائل أنها لا تقرأ إن لم يكن فيها ختم مرسلها، فاتخذ عندئذ خاتم من فضة وضعه في خنصر يده اليمنى ونقشه بمحمد رسول الله، واستنتج العلماء أن وضع الخاتم سنة من فضة على خنصر اليد اليمنى.

7. الرسول صلى الله عليه وسلم أرسل ستة أشخاص من أصحابه إلى ست بلاد دعة إلى الله يحملهم رسائل الدعوة، كل واحد منهم يتقن لغة القوم الذين أرسل إليهم، وهذا يدلنا أن اللغة العربية هي فعلا لغة مقدسة، ولكن ينبغي للمسلمين أن يعلموا أنهم دعاة إلى الله، ومن أهم الأسلحة التي تعينهم على الدعوة إلى الله معرفة لغة الآخرين .

8. الرسول صلى الله عليه وسلم بعث الرسائل إلى الملوك بعد سبع سنوات من الهجرة دلنا هذا أن الدعوة إلى الله عز وجل تبدأ من دائرة صغرى، فتكبر شيئا فشيئا، والداعي يبدأ بأسرته، فالبلدة التي هو فيها،والتوفيق الذي يحالفك أثناء هذه الدعوة، يجعل من مجتمعك وسيلة إيضاح، يسهل عليك من خلالها الدعوة إلى الله في أوسع نطاق.

(الدرس 44)

﴿المشهد الرابع والثلاثين﴾

عمرة القضاء

كانت عمرة القضاء في العام السابع من هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهي ترتبط بصلح الحديبية حيث كان من بين البنود بند ينص، على أن على المسلمين أن يعودوا في هذا العام إلى المدينة، وأن لا يدخلوا مكة ولهم إن شاءوا أن يدخلوا في العام القادم أن يأتوا مكة معتمرين لمدة ثلاثة أيام.ولا تكون معهم إلا السيوف في قرابها، تنفيذا للبند توجه رسول الله ومن كان معه في صلح الحديبية وآخرين لأداء العمرة وهذا في شهر ذي القعدة ، علمت قريش بمقدم رسول الله وتحدثت فيما بينها أن رسول الله وجماعته يعانون من عسر وجهد وشدة وأمراض بسبب وباء المدينة، وعندما وصلوا فعلا إلى مكة اصطف المشركون لينظروا إليهم، متصورين أنهم يعانون من ذلك. فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد إضطعض بردائه وأخرج يده اليمنى واتجه لأصحابه قائلا :"رحم الله اليوم امرأ أراهم اليوم من نفسه قوة " ثم استلم الركن وخرج يهرول ويهرول أصحابه معه ثلاثة أشواط ومشى مشيا عاديا في الأربعة الأخرى، وفي حجة وداع الرسول أيضا هرول الرسول في ثلاثة الأشواط الأولى. وتزوج الرسول وهو في مكة " بميمونة بنت الحارث ".ولما مضى ثلاثة أيام

من دخول الرسول مكة، أتى صناديد المشركين علي وقالوا له:" قل لصاحبك ليخرج " فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه وسلم.

﴿تحليل المشهد﴾

1. نلاحظ في هذه العمرة التي تكحلت فيه أعين صحابة رسول الله بمرأى الكعبة ودخول مكة نجد في ذلك مصداق قول الله عز وجل:" لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رءوسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا " نزلت هذه الآيات لتطمين المسلمين عندما حيل بينهم وبين دخول مكة في صلح الحديبية، ونفد الله وعده وهو مقدمة الفتح الكبير.

2. ظن المشركين أن أصحاب رسول الله في ضعف ووهن من أمراض المدينة، وفقر وشدة، وأوحى الله إلى رسوله بهذا الذي كانت تتهامس به أفواه المشركين ولذلك اضطبع بردائه وقال:" رحم الله امرأ أراهم اليوم من نفسه قوة "اضطبع بردائه أي جعل وسط ردائه تحت إبطه الأيمن وألقى طرفيه على كتفه الأيسر وفعل الصحابة كذلك. نظر المشركين لما فعلوا وأخذوا يقولون لبعضهم البعض:" هؤلاء الذين زعمتم أن الحمى قد أنهكتهم، إنهم أجلد من كدا وكدا.." إنه مظهر من مظاهر الرعب في قلوب المشركين تمهيدا للفتح، الذي شاء الله عز وجل أن يكون فتح مرحمة وسلم لا فتح ملحمة وقتال.من السنة الإضطباع والهرولة في الأشواط الثلاثة الأولى.

3. وعن زواج النبي من " ميمونة بنت الحارث " نتوصل إلى حكم شرعي وهو ذهاب بعض الفقهاء إلى جواز عقد النكاح أثناء الإحرام لحج أو عمرة، واعتمدوا على الرواية التي نقلت أنه صلى الله عليه وسلم أنه عقد على ميمونة أثناء إحرامه. لكن جماهير الفقهاء قالوا أنه لا يجوز للمحرم أن يعقد نكاحا لا لنفسه ولا وكالة عن غيره. والسادة الأحناف قالوا المحرم هو البناء وليس العقد.

4. الرسول صلى الله عليه وسلم اعتمر أربعة مرات وحج مرة واحدة .

﴿المشهد الخامس والثلاثين﴾

غزوة مؤتة

" الحارث بن عمر الأزدي " الذي حمل رسالة من رسول الله إلى " شرحبيل بن عمرو الغساني " وهو عميلا لروم على بلاد الشام، أخذ كتاب رسول الله فغضب فعاد على الحارث وقتله، ومن حق رسول الله أن يواجه العدوان بالردع، فجهز جيشا إلى ذلك المكان الذي قتل فيه رسول رسُولِ الله

وهو يعلم أن ذلك شرحبيل يعد جيشا للمدينة لقتال رسول الله، كان هذا في العام الثامن من هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم،والغزوة كانت في مكان يسمى مؤتة وهو الكرك اليوم على مشارف الشام، وتجمع لرسول الله ثلاثة ألاف مقاتل، ولم يخرج رسول الله معهم، لذلك في المصطلح التاريخي تسمى سرية، ولكثرة العدد سميت غزوة، ودعهم حبيبنا المصطفى قائلا:" أمير الناس " زيد بن حارث " فإن قتل "فجعفر بن طالب "فإن قتل " فعبد الله بن رواحة " فإن قتل فليرتضي المسلمون من بينهم إماما فليجعلوه عليهم " وفي تلك الأثناء رؤيا سيدنا " عبد الله بن رواحة " يبكي فسأله بعضهم ما يبكيك ؟ قال:" أنا والله ما بي حب الدنيا ولا الصبابة بكم أي التعلق بكم ولكني سمعت رسول الله يقرأ سورة في كتاب الله عز وجل: " وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا " فهذا هو الورود فأن لي بالصدر أي الورود أكيد لكن من الذي يصدر عن هذا الورود سالما، وأنا غدا سألقى الله فهل أنا من الذين يردون فيصدرون أم من الذين يردون فيقعون ؟. وقيل لهم صحبكم الله وردكم إلينا سالمين ودفع عنكم الله عز وجل " سمعهم " عبد الله بن رواحة " وقال لهم "

لكنني أسأل الرحمان مغفرة وضربة ذات قرع تقذف الزبد
أو طعنة بيدي حران مجهزة بحربة تنفد الأحشاء والكبد
حتى يقال إذا مروا على جدثي أرشده الله من غاز، وقد رشدا

وسار الجيش إلى المكان الذي قتل فيه الحارث، جاءهم الخبر أن هرقل جهز جيش قوامه مائة ألف مقاتل. وشرحبيل جهز هو الأخر جيشا من جماعته والعملاء من أصحابه قوامه أيضا مائة ألف مقاتل، أي مائتا ألف مقاتل مقابل ثلاثة ألاف. جلس المسلمون يتشاورون حوالي ليلة ويوم، ولكن سيدنا " عبد الله بن رواحة " شجعهم وقال:" يا قوم إن هذا الذي تخشونه لا الذي خرجتم من أجله، أنتم خرجتم إما لنصر أو لشهادة وإنها لأحدى الأمرين فاثبتوا وسيروا على توفيق من الله متوكلين عليه " حيث كانت الفكرة هل نرسل إلى رسول الله بهذا الذي فوجئنا به أم لا ؟ عندما قال لهم " عبد الله بن رواحة " هذا الكلام اتحدت آراءهم، ووصلوا سيرهم متكلين على الله عز وجل. والتقى المسلمون الثلاثة آلاف بأعدائهم مائتا ألف وأكثر في الكرك أي مؤتة آنذاك، فقاتل " زيد بن حارثة " حِبُّ رسول الله حتى قتل،فأخذ الراية " جعفر بن طالب " فأبلى بلاء عظيما حتى ألجمه القتال فنزل عن فرسه فعقرها ثم انطلق يقاتل قتالا شديدا وهو ينشد:

يا حبذا الجنة واقترابـها طيبة وباردا شرابها
والروم روم قد دنا عذابها كافرة بعيدة أنسابها
عليَّ إذا لاقيتها ضرابها

وقتل سيدنا جعفر، وأخذ الراية حسب وصية رسول الله " عبد الله بن رواحة " وأقبل يقاتل وهو يقول:

أقسمت يا نفس لتنزلـنه لتنزلن أو لتكرهـــنه
إن أجلب الناس وشدوا الرنة مالي أراك تكرهين الجنة
قد طال ما كنت مطمـئنة هل أنت إلا نطفة في شنَّة

وأخذ يقاتل حتى قتل، ونظر أصحاب رسول الله الآن أن يختاروا واحدا منهم، وجدوا أمامهم خالد بن الوليد واجتمعوا عليه، وهي أول غزوة يغزوها خالد مع المسلمين. روى البخاري أن الرسول صلى الله عليه وسلم وقف أمام أصحابه في المسجد ينعي هؤلاء الذين يقاتلون قال:" قاتل زيد بن حارثة " حتى قتل ثم أخذ الراية جعفر فقاتل حتى قتل ثم أخذ الراية " عبد الله بن رواحة " فقاتل حتى قتل إلى أن أخذ الراية سيف من سيوف الله عز وجل ففتح الله عليه " وهذه شهادة كبرى " لخالد بن الوليد " وهذا يدل أن الله عز وجل نصر المسلمين. سيدنا خالد غير الخطة حيث جعل الميمنة ميسرة والميسرة ميمنة وغير القلب، الروم نظروا فوجدوا وجوها جديدة وظنوا أن معونة كبيرة من الأعداد والعدد وصلت إلى المسلمين، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول:" نصرت بالرعب " وقاتل سيدنا " خالد بن الوليد " قتالا عجيبا وغريبا وكأنه في قتاله هذا يكفر عن أيامه الغابرة التي كان يقاتل فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، حيث قطعت بيده ثلاثة سيوف ولم تبقى في يده إلا صفحة يمنية انتهى القتال وهي في يده. وهذا يدل على العدد الكبير الذين قتلوا على يد سيدنا خالد رضي الله عنه من الروم. سيدنا خالد لما رأى المشركين ولو الأدبار وفروا وقد داخل الرعب قلوبهم جميعا، عاد بجيش رسول الله إلى المدينة، لما وصلوا إلى مشارف المدينة خرج رسول الله في مقدمة الموجودين معه يستقبلون القادمين من جيش رسول الله، وكان معهم الصبيان وكل واحد يحمل ابنه، وأخذ رسول الله يحمل أولاد جعفر، وأخذ البعض يصيح بالجيش " يا أيها الفرارون أي لم تأتوا بكتاب الصلح، بل النبي صلى الله عليه وسلم قال:" بل أنتم الكرارون " حسبهم أنهم انتصروا على أعداد كبيرة.

﴿تحليل المشهد﴾

– ما يلفت النظر هو ثلاثة آلاف مقاتل يتغلبون على مائتا ألف فلا نتعجب من هذا عندما نؤمن بقوله تعالى:" وما النصر إلا من عند الله " وقوله:"إن ينصركم الله فمن يخذلكم وإن يخذلكم فمن ذا ينصركم من بعده " والله تعالى هو الذي أدخل الرعب في قلوب الكفار حتى ولو مدبرين، وتحركات الناس إنما تتم بقدرة الله عز وجل.

– حكم فقهي أنه يجوز لولي أمر المسلمين أن يعلق إمارة أحد المسلمين بشرط، وأن يولي المسلمين بعدة أمراء في وقت واحد، لكن واحد إثر الأخر. وهو ما فعلة الرسول في هذه الغزوة. ودلت وصية رسول الله في قوله وإن قتل عن " عبد الله بن رواحة " فليختر المسلمين واحدا منهم. هذا دليل أن الرسول أعطى أصحابه حق الاجتهاد.

– نعث الرسول خالد أنه سيف من سيوف الله وهي شهادة من رسول الله " لخالد بن الوليد ". لما كان سيدنا خالد على فراش المرض بين يدي الموت، ولا يوجد مكان في جسده إلا وفيه ضربة بسيف أو طعنة برمح وقال كلمة قبيل وفاته:" ما من مكان في جسدي إلا وفيه ضربة بسيف أو طعنة برمح ومع ذلك ها أندا أموت في فراشي حذف أنفي كما يموت البعير فلا نامت أعين الجبناء ".

– سيدنا رسول الله جاء يستقبل العائدين، وأخذ أولاد جعفر يضمهم إليه وقال: " اصنعوا لأهل جعفر طعاما فإنه قد جاءهم اليوم ما قد شغلهم " مضت السنة تنفيدا لهذا الذي قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم يستحب لجيران الذي توفي أحد فيه أصدقاءه أقربائه...أن يصنعوا طعاما ويرسلوه إلى البيت الذي حدثت فيه الوفاة.

(الدرس 45)

﴿المشهد السادس والثلاثين﴾

فتح مكة

وكان ذلك في شهر رمضان من السنة الثامنة للهجرة، السبب الظاهر للفتح أنه لما تم صلح الحديبية من طرف الرسول والمسلمين معه وطرف أهل مكة، كان هناك قبيلتان قبيلة خزاعة وقبيلة بني بكر كانتا مشركتين، فأما خزاعة فدخلت في حلف رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأما بني

بكر انحازوا إلى قريش. قبيلة بني بكر أرسلوا سرا إلى رجال في مكة أن يعينوهم على غارة خططوا لها ليبيتوا بها قبيلة خزاعة، فوافقت قريش على ذلك فأرسلوا عددا من رجالاتهم إلى قبيلة بني بكر،وفعلا بيتوا على خطة وشنوا غارة على قبيلة خزاعة، وقتل فيها ما لا يقل عن عشرين رجلا بدون موجب. وهرع رجال من قبيلة خزاعة إلى رسول الله يخبرونه بما حصل، فقام رسول الله يجر رداءه قائلا:" لا نصرت إن لم أنصر بني كعب أي خزاعة مما أنصر به نفسي " ونظر إلى سحابة في السماء فقال:" إن هذا السحاب ليستهلُ بنصر بني كعب " بعد أيام ندمت قريش على ما فعلت، كأنها استيقضت أن هذا الذي أقدمت عليه خيانة صلعا واضحة. أرسلت قريش رجلا منها وهو" أبو سفيان ابن حرب " إلى رسول الله ليجدد الهدنة ويمددها. فعلا دخل أبو سفيان على رسول الله وعرض عليه هذا الأمر، فلم يجبه لا سلبا ولا إيجابا. تحول عنه إلى سيدنا أبي بكر طلب منه أن يكون وسيطا في قبول هذا الأمر، لكنه رفض أن يتوسط له بذلك. فمضى أبو سفيان إلى " عمر بن الخطاب " فكلمه في الأمر فقال:" أنا أشفع لكم عند رسول الله والله لو م أجد إلا الدر لقاتلتكم به " الدَّر هو صغار النمل. فرجع أبو سفيان خائبا. أما رسول الله صلى الله عليه وسلم فتجهز سرا، واستكتم الخبر وقال: لا " اللهم خد على أبصار قريش فلا يروني إلا بغتة " أي لا يطلعون على ما عزمت عليه حتى يروني بغتة. ولما أجمع الرسول صلى الله عليه وسلم على المسير سمع رجل من الصحابة اسمه " حاطب ابن أبي بلتعة "فعرف الأمر، فأرسل كتابا إلى قريش يخبرهم بما عزم عليه رسول الله ويقول فيه:" خذوا حذركم " .

والخبر كما يرويه سيدنا علي، أن الرسول صلى الله عليه وسلم كلف علي والمقداد والزبير أن يسرعوا متجهين في طريق مكة حتى وإن وصلوا إلى مكان اسمه " روضة خاخ " سيجدون امرأة معها كتاب يأخذوه منها ويعودوا به إلى رسول الله ، يقول علي فخرجنا تتعادى بنا خيولنا، حتى إذا وصلوا إلى ذلك المكان، وجدوا امرأة تستريحُ في ذلك المكان، ففاجئوها قائلين أخرجي الكتاب. قالت ما معي كتاب. قال لها علي:" لتخرجنا الكتاب أو لنلقينا الثياب، عندئذ أخرجت الكتاب من عكيصة في شعرها. أخذوا الكتاب وعادوا به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. قرأ الكتاب وإذا به فيه " من حاطب ابن أبي بلتعة إلى أناس بمكة من المشركين..." يخبرهم بما قد عزم عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم. فاستدعى رسول الله حاطب وقال له:" يا حاطب ما هذا ؟" قال حاطب:" يا رسول الله لا تعجل علي إني كنت امرأ ملصقا بقريش أي أنا حليف لقريش، وكان من

معك من المهاجرين لهم قرابات يحمونهم في مكة إن أصابهم ضير، فأحببت أنا إذ فاتني هذا الذي يتوفر للمهاجرين أن أتخذ معهم يدا، حتى يحموا بذلك قرابتي وأنا لم أكفر بعد إيمان ولم أرتد بعد إسلام " فقال سيدنا عمر دعني أقطع عنق هذا الكافر أو المنافق. فقال له رسول الله:" إن هذا قد شهد بدرا، ولعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم " وعفا عنه رسول الله وأنزل الله في حق حاطب قوله عز وجل:" يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم إن كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون إليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل " الله تعالى خاطب حاطب وأمثاله بصفة الإيمان.

استخلف رسول الله على المدينة رجلا اسمه "كلثوم ابن حسين " وخرج في يوم الأربعاء لعشرين من رمضان بعد العصر متجها إلى مكة، وقد اجتمعت قبائل كثيرة إلى جانب رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم أسلم، كِفَار، هزينة وغيرهم كلهم اتجهوا إلى مكة مع رسول الله، واجتمعوا مع رسول الله في مكان اسمه " الظهران " بين مكة والمدينة وبلغ عددهم عشرة ألاف كلهم مدججون بالسلاح.

أما قريش فأرادت أن تستشم الأخبار، وخاصة لما رأت أن رسول الله لم يشأ أن يمدد أجل الصلح، فأرسلوا أبا سفيان والد معاوية، وحكيم ابن حزام، وهديل ابن ورقاء ليلتمسوا الخبر، بينما هم يتحسسون الأخبار رأوا نيران عظيمة في الليل وأرادوا أن يدنوا منها ويتعرفوا على مصدرها وإذا بحراس رسول الله قبضوا عليهم جميعا وأخذوهم إلى رسول الله.

يقول ابن إسحاق في تفصيل الخبر، أدخل سيدنا العباس أبا سفيان إلى رسول الله جلس إليه وقال له المصطفى:" ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله " قال أبا سفيان:" بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأوصلك وأكرمك لقد حسبت أن لو كان مع الله أحد أخر لنصرنا " وقال له:" ويحك يا أبا سفيان ألم يأني لك أن تعلم أني رسول الله ؟ قال له أبا سفيان:" بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأوصلك وأكرمك، أما هذه ففي النفس منها شيء " فقال له العباس " ويحك أسلم قبل أن تضرب عنقك " قال: نعم فتشهد شهادة الإسلام. ولم يكن العباس ليضربه لو لم يتشهد فقط قالها هكذا. فقال العباس لرسول الله:" يا رسول الله إن أبا سفيان رجل يحب الفخر لو جعلت له شيئا " قال: " نعم أعلنوا أنه من دخل دار أبا سفيان فهو آمن " ثم قال للعباس:" امضي

بأبي سفيان وأحبسه عند مضيق الوادي كي يرى جند الله تعالى وهم يمرون "كل هذا كي يدخل الرعب في قلوب المشركين ليكون الفتح فتحا مسالما. يقول العباس فخرجت بأبي سفيان وحبسته عند مضيق الوادي الذي سيمر منه الجنود، وعند مرورهم كان أبا سفيان يقول هذه قبيلة أسلم " ويقول مالي ولأسلم. تمر قبيلة أخرى يقول من هؤلاء. يقول هذه قبيلة غفار. ويقول مالي ولغفار. ثم جاء قوم لايرى منهم إلا الحلق. قال: من هؤلاء. قال: هؤلاء المهاجرين والأنصار. فالتفت أبا سفيان للعباس فقال:" لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيما " قال:" ويحك إنها النبوة " ثم قال العباس لأبي سفيان " الحق بقومك قبل وصول رسول الله صلى الله عليه وسلم لتحدثهم عما رأيت " ودهب أبا سفيان ولمجرد دخوله مكة أخذ ينادي:" يا معشر قريش هذا محمد قد جاءكم بما لا قبل لكم به فمن دخل دار أبا سفيان فهو آمن " فأقبلت إليه امرأته هند وأخذت بشاربه تقول:" أقتلوا الحميتة الدسم الأحمس قبح من طليعة قوم " فقال:" ويلكم لا تغرنكم هذه من نفوسكم فإنه قد جاءكم ما لا قبل لكم به فمن دخل دار أبا سفيان فهو آمن" فنظر إليه المشركين قائلين قاتلك الله وما تغني عنا دارك " فعاد فقال:" ومن دخل البيت فهو آمن، ومن دخل داره وأغلق بابه فهو آمن ومن دخل دار أبا سفيان فهو آمن "

وفي الطريق بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن " سعد بن عبادة " قال وقد أخذت النشوة برأسه " اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحل الكعبة " فرد الرسول مقالته هذه وقال:" بل اليوم يوم المرحمة اليوم تكسى الكعبة " وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم قادة جيوشه أن لا يقاتلوا أحدا إلا إن قوتلوا. ثم إن المصطفى صلى الله عليه وسلم قسم الجيش قسمين، قسم دخل برئاسته مكة من الأعلى، والقسم الثاني أمر خالد بن الوليد أن يكون أميرا عليهم حيث دخلوا مكة من الأدنى، كي يفوت فرصة الاجتماع على المشركين. ورأى رسول الله بارقة سيوف تلمع من بعيد. فقال:" ما هذا ؟ " قالوا له:" خالد بن الوليد قوتل فقاتل " فقال:" قضاء الله خير "

فدخل رسول الله مكة معتجرا بعمامته وصح أنه كان واضعا رأسه حتى أن شعيرات ذقنه تلمس واسط رحله من شدة ما طأطأ رأسه ويروي البخاري من حديث عبد الله بن المغفل يقول:" رأيت رسول الله يوم فتح مكة على ناقته وهو يقرأ سورة الفتح ويرجع فيها أي يترنم بقراءتها و والله لولا أني خفتُ أن يجتمع الناس علي لرجعت كترجيعه " ودخل عليه الصلاة والسلام البيت وكان حولها ثلاث مائة وستين صنم مرصصين بالأرض وكان معه صلى الله عليه وسلم عصاه فجعل يطعن

الواحدة منها تلو الأخرى قائلا: " جاء الحق وزهق الباطل، جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد " وحطم الأصنام جميعا، وكان أيضا بداخل البيت أصنام ، فأبى الرسول الدخول حتى يخرجوها. أمر فجيء بمفتاح الكعبة وفتحت وأخرجت هذه الأصنام، ثم دخل الرسول وصلى كما ورد في الصحيح ركعتين في جوف الكعبة . وكان قد أمر " عثمان بن طلحة" وهو من حجرة البيت أن يأتيه بالمفتاح. ولما خرج أرجع له المفتاح ثانية وقال:" خذوها خالدة تالدة لا ينتزعها منكم إلاُّ ظالم ". ثم نادى صلى الله عليه وسلم بلال فصعد فوق الكعبة وأذن لصلاة. وخرج المصطفى صلى الله عليه وسلم والمشركون يحيطون به ينظرون إليه لا يعلمون ماذا سيصنع، وقف وقال: " لا إله إلا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ألا كل مأثرة أو دم أو مال يدعى فهو تحت قدمي هاتين إلا سدانة البيت وسقاية الحاج... يا معشر قريش إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء. الناس من آدم وآدم من تراب، وتلا قوله تعالى:" يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير" ثم قال:" يا معشر قريش ما ترون أني فاعل بكم؟ قالوا:" خيرا، أخ كريم وابن أخ كريم. فقال: اذهبوا فأنتم الطلقاء "

ورأى الشيخان البخاري ومسلم أن رسول الله قال أيضا في خطابه هذا:" إن مكة حرمها الله ولم يحرمها أناس، لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دما أو يعضد بها شجرا، فإن أحد ترخص لقتال رسول الله فيها فقولوا له: إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم، وإنما أذن له فيه ساعة من نهار، وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس وليبلغ الشاهد الغائب " يقصد الساعة التي قاتل فيها خالد بن الوليد.

ثم إن الناس اجتمعوا بعد ذلك لمبايعة رسول الله، وهنا الرسول لم يكلف أحدا أن يبايعه، ولكن هم تسابقوا من شاء منهم لمبايعة رسول الله لدخولهم الإسلام. فجلس الرسول يستقبلهم وبايعهم واحدا واحدا للإسلام. والمبايعة لرسول بوصف كونه رئيس دولة. ثم إن النساء أقبلن ليبايعن المصطفى صلى الله عليه وسلم فبايعهن بالكلام. وجاءت امرأة متقنعة، وكان الرسول يقول لهن تبايعنني على أن لا تشركن بالله شيئا ولا تسرقن ولا تزنين... وقالت هذه المرأة المقنعة والله إنك لا تأخذ علينا أمرا ما أخذته على الرجال وسنؤتيك هو أي نلتزم بما تقول. ثم قال ولا تسرقن. وقالت: والله إن كنت لأصيب من مال أبا سفيان الهنة والهنة وهو لا يعلم. وعلم رسول الله أنها هند. وكان

أبا سفيان يسمع وقالت لا أدري إن كان ذلك حلالا أم لا ؟ فقال أبا سفيان:" أما ما أصبت فيما مضى فهو حل لك. ثم قال لها رسول الله:" وإنك لهند بنت عتبة ؟ قالت نعم فاغفر غفر الله لك. ثم قال:" ولا تزنين. فقالت:" وهل تزني الحرة. قال: ولا تقتلن أولادكن. قالت قد ربيناهم صغارا وقتلتهم كبارا فأنت وهم أعلم. فضحك عمر من قولها حتى استغرب. قال: ولا تأتين ببهتان تفترينه بين أيديكن وأرجلكن. وقالت: والله إن إتيان البهتان لقبيح ولَبعض التجاوز أمثل. ثم قال: ولا تعصينني في معروف. فقال رسول الله لعمر فبايعهن واستغفر لهن رسول الله. فبايعهن سيدنا عمر. وروى البخاري عن عائشة رضي الله عنها أن الرسول كان يبايع النساء بالكلام وأنه ما مست يدا رسول الله امرأة أجنبية عنه قط.

الرسول صلى الله عليه وسلم نهى عن قتال المشركين إلا ستة أشخاص هؤلاء أدن رسول الله بقتلهم أينما وجدوا لأنهم ارتكبوا أشياء كثيرة منهم " صفوان ابن أمية " الذي أسلم فيما بعد.

لكن أم هانئ أخت سيدنا علي أدخلت واحدا من هؤلاء في حمايتها، فجاء سيدنا علي ليقتله فقالت أبدا أنا أدخلته في ذمتي. فأقبلت إلى رسول الله فوجدته يغتسل فانتظرته حتى خرج ثم صلى الضحى ثمانية ركعات وهي تنتظر، ثم رحب بها الرسول صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله:" إني أجرت رجلا زعم ابن أمي أنه قاتله " فقال رسول الله:" لقد أجرنا من أجرتي يا أم هانئ "

أما عن أولائك النفر الذين أسلموا انتهى الإشكال وصفح عنهم رسول الله، والبعض منهم قتل.

كان من المشركين الذين لم يبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل اسمه " فضالة بن عمير الليثي" وكان شديد الكراهية لرسول الله قرر في نفسه أن يقتل المصطفى، فوجد أن خير مكان لذلك الكعبة، لأنه كلما فرغ يطوف حول الكعبة فاختبأ لرسول الله وراء ركن من أركان الكعبة بحيث يمكنه مواجهة المصطفى وجها لوجه ويقتله فجأة. ولكن الله عز وجل أوحى إلى رسوله فالنبي استدار وغير مساره وفاجأ فضالة من خلفه فالتفت إليه وقال له الرسول أفضاله ؟ قال نعم. قال: ماذا تصنع ؟ قال: لا شيء يا رسول الله استغفر الله. فضحك المصطفى صلى الله عليه وسلم ووضع يده على قلبه. فقال فضالة: " فو الله لم يكن شخص أكره إليَّ من محمد رسول الله فلما وضع يده على صدري ثم رفعها لم يكن أحدا أحب إليَّ من رسول الله صلى الله عليه وسلم " وتشهد شهادة الإسلام وعاد إلى داره. في الطريق كان يختلي إلى فتاة له، فلما رأته من بعيد ظنت أنه آتٍ لزيارتها

كالعادة، فاستضافته ورحبت به لكنه أعرض عنها ونشوة الإسلام تطوف برأسه. قالت:" هلم إلى الحديث " فقلت:

قالت هلم إلى الحديث فقلت: لا يأبى الله عليَّ والإســلام
لو ما رأيت محمدًا و قبيــله بالفتح يوم تكسر الأصــنام
لرأيت دين الله أضحى بيــنًا والشرك يغشى وجهه الإظلام

(الدرس 46)

﴿ تحليل المشهد﴾

1.نلاحظ الصلة الممتدة بين صلح الحديبية وفتح مكة الذي كان تمهيدا لفتح مرحمة وسلم، وقد كان تخطيطا ربانيا أوحى بها نبيه محمد عليه الصلاة والسلام، وكل هذا يزيدنا يقينا بنبوة المصطفى صلى الله عليه وسلم.

2.الهدنة التي كانت في صلح الحديبية، وهذا استتبع دخول قبيلة من المشركين في حماية المسلمين وهي خزاعة، ودخول قبيلة بكر تحت حماية المشركين. نفهم من هذا أنه لا مانع من دخول فئة من الكافرين الجاحدين في حماية المسلمين ويشيع في الدولة الإسلامية بينها وبينهم علاقة سلمية، ولا مانع أن يكون موقف الدولة الإسلامية موقف الحارس والمحامي على تلك الفئة ضد من يعتدي عليها. وهذا الذي فعله رسول الله من أكبر الأدلة أنه رسول مبلغ غير مجبر أحد على الدخول في الإسلام.

3. إذا قام صلح بيننا وبين دولة أخرى، وكانت هناك دولة محالفة مع التي صالحنا معها، وفئة أخرى في حمايتنا، فإذا فئة من الذين صالحناهم نقضوا العهد شرعا نعتبر أنهم جميعا نقضوا العهد.

4. عن قصة " حاطب ابن بلتعة " الذي كتب رسالة للمشركين يخبرهم عن ما يريد رسول الله فعله ويحذرهم، وهو مسلم شهد بدر. وعلم به رسول الله وهو دليل أخر على نبوته صلى الله عليه وسلم.ولقد عفا عنه رسول الله ونفهم من هذا أن سمة الإيمان لا تسقط بسبب هذا التصرف ودليل هذا كلام الله الذي نزل في حق حاطب. والفتوى التي تجيز قتل أعوان الظلمة فتوى باطلة لا تتفق مع كتاب الله وسنة رسوله.

إذن قضاء الرسول هذا بالعفو عن حاطب داخل في أحكام الإمامة.وفي الآية تشديد على عدم اتخاذ الكفار أولياء، ولا مانع أن يشيع البر بينهم أي العدالة والتعاون.في قوله تعالى: " لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين "

1. حكم استنتجه الفقهاء من قول سيدنا علي للمرأة " لتخرجنا الكتاب أو لنلقينا الثياب " أنه يجوز لنا أن نعذب المتهم في سبيل أن يعترف. واستدلوا أيضا من ما فعله رسول الله بعد غزوة خيبر وسأل اليهود عن مسك " حيي بن الأخطب " المسك هو كيس من جلد به كنوز خبأها على الأرض. وسأل رسول الله ما فعل بالمسك ؟ قالوا:" أكلتها الأيام والسنون. فقال عليه الصلاة والسلام:" الوقت أقرب من ذلك لم يحل " وأحيل اليهودي الذي سأله إلى أحد أصحابه ليعذبه حتى اعترف بالمكان الذي دفنت فيه الكنوز. ونقول هنا أن كلا الحادثين الرسول أوحيا إليه بأمر المرأة واليهودي وهما مجرمين وليسا متهمين. والمتهم برئ إلى أن يجرم بعد التحقيق معه.

أمر أبي سفيان وموقف رسول الله منه

1. في أمر أبا سفيان وبعض أصحابه عندما كانوا يتحسسون أخبار رسول الله، فوقع أبا سفيان في الأسر و استقه العباس إلى رسول الله وجرى حوار بينه وبين رسول الله كما ذكر في المشهد وفيه أن العباس قال له:" أسلم قبل أن تضرب عنقك " والعباس هنا ليس مشرعا حتى يستدل منه أنه يجوز إجبار المشرك على الدخول في الإسلام. وسكوت رسول الله لا يدخل في حكم الإقرار وإنما هو حكم لا ينسب إلى ساكت قول

2. موقف رسول الله لما همس له العباس أن أبا سفيان رجل يحب الفخر فافعل له شيئا، وقال الرسول من دخل دار أبا سفيان فهو آمن. وهذا يدخل من قبل تألف قلوب الداخلين في الإسلام جديدا لرفع من شأنهم ومكانتهم، مثل ما قيل ذلك في المال لتأليف القلوب.

3. وإبقاء أبا سفيان في مضيق لرؤية المسلمين الوافدين والحكمة الإلهية من وقوعه هو بالذات في الأسر وهو من قادة المشركين، من أجل أن يعود أبا سفيان مسلما فيدخل الرعب في قلوب إخوانه ويقول لهم:

" لقد جاءكم محمد بما لا قبل لكم به... " وهذا من العوامل التي جعلت فتح مكة سلميا.

4. كلمة قالها أبا سفيان لما رأى فئة المهاجرين والأنصار قائلا للعباس:" لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيما " قال العباس:" ويحك إنها النبوة " كلمات أجراها الله على لسان العباس لإخراس من ينعت أن الرسول زعيم، ملك وأن دماء الملك كانت تنبض في عروقه...والرسول دائما يتجلبب بجلباب العبودية لله، ويومها قال للمشركين نصر عبده وهو ينتشي بعبوديته لله.

5.الرسول صلى الله عليه وسلم عند دخوله مكة كان معتجرا بعمامة أي كورها وتدلل وطأطأ رأسه وهو يتلو سورة الفتح ويترنم فيها وهذه من مظاهر عبوديته لله سبحانه وتعالى. ثم حطم الأصنام وهو يقول جاء الحق وزهق الباطل، وفي داخل الكعبة وجدت صور وأمر بنزعها واستدل العلماء من هذا عدم جواز تعليق الصور واختلف العلماء في ذلك.

(الدرس 47)

الحديث كان بيان موقف رسول الله صلى الله عليه وسلم اتجاه حاطب ورسالته لكفار قريش، وبيان قول العباس لأبي سفيان رضي الله عنهم. بيان مستفيض في تعامل المسلمين مع الكفار.

(الدرس 48)

تأملات في كيفية دخوله صلى الله عليه وسلم إلى مكة

1. ما رواه البخاري من حديث " عبد الله ابن المغفلي " أن الرسول وهو على مشارف مكة يقرأ سورة الفتح يرجع في تلاوتها، وقد زاد ابن إسحاق أيضا في وصف النبي عند دخوله مكة " كان قد وضع رأسه تواضعا لله سبحانه وتعالى حتى أن شعرات أسفل شفته السفلى لتمس واسطة رحله، هذا من شدة تذلُلِهَ لله تعالى. هذا كله يدل على صفة العبودية التي كانت ملازمة لرسول صلى الله عليه وسلم في كل أحواله وشؤونه. أثناء الشدة مارس عبوديته لله بالصبر والرضا بما قضاه الله له، و الأن لما دانت له مكة ودخلها من أعلى قمم النصر ترجمت عبوديته هنا بالشكر والتدلل لله تعالى الذي نصره، وهكذا يجب علينا أن نمارس عبوديتنا لله تعالى بالصبر عند الشدة والشكر في الرخاء. وعن تلاوته لسورة الفتح وهو يرجع فيها أي الترنم إذا نستنبط من هذا أن الترنم بالقرءان أمر مطلوب، بشرط المحافظة على الأحكام أثناء الترنم. أي الجمع بين التجويد والترنم.

2. المصطفى عند دخوله مكة فرق أصحابه إلى عدة مداخل، كي يفوت فرصة القتال على أهل مكة، لأن المصطفى كان يبتغي أن يتم فتح مكة بفتح مرحمة وسلم لا فتح ملحمة وقتال. كلها ترتيبات ربانية.

أحكام تخص الحرم المكي: لما خطب الرسول تضمنت خطبته طائفة من الأحكام تخص الحرم المكي.

1. نهى الرسول عن أي قتال يمكن أن يقع في الحرم المكي حيث قال:" إن مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس، ولا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الأخر أن يسفك بها دما، وأن يعضد بها شجرا أي يقطع، فإن أحدا رخص لقتال فقل إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم، وإنما أذن له ساعة من نهار أي ما فعله خالد لما قوتل فقاتل " تساءل المسلمين إن دخل مكة مشركين وأرادوا القتال أو بغاة من المسلمين خرجوا عن أمر ولي المسلمين، ما السبيل ؟ وتساءلوا عن إقامة الحدود أي في حالة شخص ارتكب موجب حد ما السبيل أيضا ؟ الجواب على هذه الأسئلة كما قالها علماء الشريعة الإسلامية في مسألة المشركين يمنعون من دخول مكة " لا يجوز لمشرك أن يدخل مكة " من قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا) أما إن اقتحموا جل العلماء قالوا نصدهم ونقاتلهم. أما البغاة إن لم ينتصحوا جاز القتال بضوابط معينة وهذا حق من حقوق الله . عن إقامة الحدود ذهب جمهور العلماء منهم الشافعية والمالكية إلى أن الحدود تقام عليهم داخل مكة، وهناك من قال نخرجهم خارج الحرم ونقيم عليهم الحدود.

2. يحرم صيدها حيث قال:" لا يعضد شوكه ولا ينفر صيده " إذا اصطاد أحد حيوان من مكة عليه أن يخلي سبيلها، إن أتلفها عليه أن ينبغي أن يدفع الجزاء الذي يدفعه المحرم نفسه. واستثنى الرسول خمسة حيوانات لأذاها وهي الغراب، الحدأة، العقرب، الفأرة، الكلب العقور وقاس العلماء حيوانات مؤدية أخرى مثل الحية والسباع الضارية.

3. لا يقطع نباتها الذي خرج بذاته لا الذي زرع ، إلا الضار منها كنبات الذي به شوك.

4. ينبغي لمن دخل الحرم المكي أن لا يدخله إلا محرما، إما لعمرة أو لحج إلا من كانت لهم وظيفة تقتضيهم إما داخلين أو خارجين من مكة. ومكة حرمها الله تعالى على غير المؤمنين.

5. بخصوص دخول النبي إلى داخل الكعبة سؤال صلى أم لم يصلي ؟ روى البخاري من حديث " عبد الله ابن عباس " أنه صلى الله عليه وسلم دخل جوف الكعبة وخرج ولم يصلي. ومسلم في

صحيحه روى في حديث عن "عبد الله ابن عمر " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دخل جوف الكعبة وكان هو معه وبلال وأسامة وعثمان ابن طلحة حاجب البيت يقول:" جعل عمودين عن يساره وعمودا عن يمينه، وثلاثة أعمدة وراءه فصلى ركعتين " بالنسبة لروايتين كلاهما صحيح " عبد الله ابن عباس " لم يكن مع النبي داخل الكعبة فقال أنه لم يصلي، أما رواية مسلم فإن الصحابة الذين روى عنهم دخلوا معه جوف الكعبة المشرفة، لهذا نرجح رواية مسلم. لهذا معظم العلماء أجازوا الصلاة داخل الكعبة.

(الدرس 49)

موضوع التصوير

1. حيث أن الرسول أمر بالصور التي في داخل الكعبة فأخرجت، وأن تمحى التي كانت مرسومة على الجدران، بعد ذلك دخل المصطفى عليه الصلاة والسلام، لهذا استدل العلماء على عدم جواز تصوير الأشياء التي لو كانت حقيقة لعاشت أي الأحياء. جاء رجل إلى ابن عباس فقال:" يا ابن عباس أنا رجل أكتسب رزقي من هذه الصور، فأنشدك الله هل بلغك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا شيء ؟ " فقال:" أما وقد سألتني فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" من صور مثل هذه الصور كلف يوم القيامة أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ " ولكن أما وإن كان لا بد عليك فصور الجبال ورحال الإبل والأشجار ونحو ذلك "

2. وقد ذكر الإمام النووي في هذا كلاما مفصلا في شرحه على صحيح مسلم، وذكر ما خلاصته أن جمهور العلماء على أن الصور المحرمة لا فرق فيها على أن تكون مجسدة لها ظل أي تماثيل وبين أن تكون نقوشا على الورق أو الجدران مادامت صور حيوانات لو كانت حقيقة لعاشت، وهناك من العلماء من قال أن الشيء المحرم إنما هو التماثيل. لكن الإمام النووي رد ذلك، بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم عاد يوما من سفر له فدخل بيت السيدة عائشة فنظر فوجد ستر عليها صور، فخرج. ولما علمت السيدة عائشة السبب مزقت هذه الحجب وجعلت منها وسائد، أي الصور إن كانت على الأرض يداس عليها أو النوم لا بأس. وتساءل العلماء اليوم عن التصوير الفوتوغرافي اليوم وكثير من العلماء الثقاة قالوا أن التصوير في عصر رسول الله كان يتم حسب مهارة المصور في رسمه أحياء كما هي أي رسم يدوي قائم على المهارة سواء نقشا أو مجسدا هذا حرام، والشيخ " بخيث المطيعي " يقول:" هذا التصوير لا ينطوي على أي مهارة للإنسان في

ذلك، كمن يقف أمام مرآة بناء على ذلك أجاز العلماء هذا النوع من التصوير " ولكن إذا أتينا إلى الشيء المصور إذا كان مما يحرم النظر إليه فهنا التصوير محرم والنظر إليه محرم.

بيعة النساء وكيفية بيعة الرسول لهن:

1. الرسول صلى الله عليه وسلم بايع الرجال والنساء، وكانت باختيار الناس دون أن يجبر أحد عليها، وموضع البيعة أنها بيعة الرعية لإمامهم، والمرأة لها الحق أيضا في مبايعة إمام المسلمين وهي مساوية لرجل في الحقوق السياسية.

2. وعن أدأب بيعة النساء أن الرسول بياعهن بالنطق والكلام، وليست بالمصافحة. الحكم هو حرمة مصافحة المرأة، والرسول بايع الرجال بالمصافحة والنساء بالكلام. ولنا دليل أخر في قول عائشة مما رواه البخاري:" ما مست يد رسول الله يد امرأة أجنبية عنه قط "

هل فتحت مكة سلما أم عنوة وحربا ؟ من خلال الأحداث التي قرأناها فإن مكة فتحت صلحا، والذي كان يمثل هذا الصلح عند المشركين هو أبو سفيان وبنود الصلح التي قالها الرسول لأبي سفيان هي من دخل بيته فهو آمن ومن دخل البيت فهو آمن ومن دخل دار أبا سفيان فهو آمن.

من العلماء من قال أن مكة فتحت عنوة ودليلهم الصحابة حينها كانوا كلهم مدججين بالأسلحة، ودخلوا من ينتظر قتالا، ولو كان صلحا لدخلوها محرمين. نقول لماذا لم يفعل رسول الله كما فعل بخيبر ويقسم أراضي مكة وغنائمها. قالوا: لا أرض مكة لها مزايا خاصة بها لا يضع المصطفى يده فيها على مغنم من أرض أو مال وهذا ليس دليل أن مكة لم تفتح عنوة. هذا رأيهم.والراجح أن مكة فتحت صلحا. وسيدنا خالد قوتل فقاتل. لذلك قال الرسول:" قضاء الله خير "

ـ الحديث عن موقف المصطفى لما خرج من الكعبة والمشركون ينظرون إليه واتجه إلى هذه الجموع يخطب قائلا:" لا إله إلا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده ألا كل مأثرة أو دم أو مال يدعى فهو تحت قدمي هاتين إلا سدانة البيت وسقاية الحاج... يا معشر قريش إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء. الناس من آدم وآدم من تراب، وتلا قوله تعالى:" يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير" ثم قال:" يا معشر قريش ما ترون أني فاعل بكم؟

قالوا:" خيرا، أخ كريم وابن أخ كريم. فقال: اذهبوا فأنتم الطلقاء " هنا طافت عبوديته لله تعالى وهو ما يسمى بوحدة الشهود. ولا يقول هذا الكلام إلا رسولٌ صلى الله عليه وسلم.

(الدرس 50)

﴿المشهد السابع والثلاثين﴾

غزوة حنين

إن قبيلة هوازين عندما بلغها انتصار رسول الله صلى الله عليه وسلم في فتح مكة، جزعت لهذا الخبر، ومشت أشراف هوازين بعضهم إلى بعض وقد توغرت صدورهم من هذا الذي فوجئوا به فجمعوا أمرهم بقيادة " مالك ابن عوف " فأمرهم وجاءوا جميعا، وهم هوازين و تقيف وقال لهم أن يصطحبوا معهم درا ريهم أي النساء والأولاد وأموالهم، كي تحبسهم عن الفرار وهي عادة عربية قديمة.ونزلوا في مكان بين الطائف ومكة اسمه أوطاس عسكروا هناك في انتظار أوامر من رئيسهم ليتجهوا إلى مكة غزاة مقاتلين، وبلغ الخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج إليهم في اليوم السادس من شهر شوال في العام الثامن للهجرة، وقد اجتمع له من المسلمين اثنا عشرة ألف، أرسل رسول الله " عبد الله ابن أبي حدرد الأسلمي " ليذهب متنكرا فيدخل فيقيم بين المشركين، ثم يعود إليه بأخبارهم. وذهب واستطاع الدخول في صفوف المشركين وجاء إلى رسول الله بالأخبار. كان قد ذكر لرسول الله أن " صفوان ابن أمية" كان مازال مشركا، عند أذراع وأسلحة كثيرة والنبي بحاجة إلى المزيد فأقبل إليه وطلب منه هذه الأسلحة والأذرع، فقال له صفوان:" أغصبا يا محمد ؟ قال: لا بل عارية وهي مضمونة حتى نؤديها لك " وأعطاه صفوان مائة ذرع بما يكفيها من الأسلحة. وعلم " مالك ابن عوف " بمقدم رسول الله، فعبأ أصحابه في واد حنين وأمرهم أن ينتشروا في أطراف هذا الوادي وشعبه ومضايقه، وأن يكمنوا لرسول الله حتى إذا دخلوا الوادي حملوا عليهم حملة رجل واحد من كل الأطراف. ووصل المسلمين إلى ذلك الوادي وقد قال قائلهم من المسلمين من قبل " لن نغلب اليوم من قلة ". لما وصل المسلمين إلى ذلك الوادي كان الوقت في غبش الصبح، فوجئوا بالكتائب تخرج لهم من هنا وهناك من مضايق الوادي وشعبه ينحطون قتالا في المسلمين فدعر المسلمين وانكشفت الخيول، ونشمر الناس راجعين، وانحاز رسول الله وكان يركب بغلة بيضاء ذات اليمين وأخذ يصيح في المسلمين وكأنه يعلن عن نفسه. " إليَّ يا عباد الله، إليَّ يا عباد الله أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب "

ويروي مسلم في صحيحه عن العباس رضي الله عنه عم النبي قال: " شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين فلزمته أنا و" أبو سفيان ابن الحارث ابن عبد المطلب " ولم نفارقه وكان على بغلة له بيضاء، فلما التقى المسلمون والكفار. ولى المسلمون مدبرين فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يركض بغلته البيضاء قبل الكفار وأنا أخذ بزمام بغلة رسول الله أكفها إرادة أن لا تسرع وأبو سفيان أخذٌ بركاب رسول الله " فقال الرسول لأبي سفيان وكان صيتا نادي أصحاب السمرة أين البيعة ؟. والسمرة اسم الشجرة التي بايع رسول الله فيها أصحابه يوم صلح الحديبية. فكان الرسول ينادي وأبا سفيان يردد كلامه يقول لما سمعوا نداءه، فكأن عطفة المسلمين إلى رسول الله عطفة البقر إلى أولادها " فقالوا يا لبيك يا لبيك، وأقبلوا يقاتلون الكافرين. وكان الشعار آنذاك ياللأنصار. أشرف رسول الله ينظر إلى قتالهم قائلا: " الآن حمي الوطيس " كناية عن شدة الحرب وهو مثل عربي أول من قاله رسول الله . وأخذ رسول الله من الأرض حصيات وقذف بها في وجوه الكفار، ثم قال:" انهزموا ورب الكعبة". قذف الله عز وجل عندئذ في قلوب المشركين الرعب، فانهزموا لا يلوي واحد منهم على أحد، وفي مقدمتهم رئيسهم " مالك ابن عوف " واتبع المسلمون هؤلاء الفارين يقاتلونهم ويأسرون. فما رجع الناس إلا والأسرى مجندلة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم. هناك كلمة قالها رسول الله في هذه الغزوة ويتساءلون عن حكمها هي: " من قتل قتيل له عليه بينة فله سلب "

الرسول عليه الصلاة والسلم في هذه الغزوة عندما هيمن المسلمين على الموقف وانتصروا وولى جل المشركين منهزمين، رأى رسول الله أثناء ذلك " أم سليم " زوجة " أبي طلحة " فقال لها رسول الله:" أم سليم ؟ أنت هنا ؟ قالت:" نعم بأبي وأمي يا رسول الله أقتل هؤلاء الذين ينهزمون عنك كما تقتل الذين يقاتلونك. وكان بيدها خنجر وقال لها زوجها أبا طلحة:" ما هذا الخنجر معك ؟ قال:" خنجر أثقب به بطن من يريدني بسوء.

في هذه الأثناء أيضا مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بامرأة وقد اجتمع عليها الناس مقتولة سأل من الذي قتلها ؟ قيل له " خالد ابن الوليد " فقال الرسول لبعض من معه:" أدرك خالد وقل له إن رسول الله ينهاك أن تقتل وليدا أو امرأة أو عسيفا أي أجيرا.

"مالك ابن عوف" ومن معه فروا إلى الطائف. وضعت الحرب أوزارها عندها جمع الرسول الغنائم والأسرى فحبست في منطقة الجعرانة ووقف عليها حراسا، واتجه رسول الله بمن معه إلى الطائف

وحاصرها وفيها "مالك ابن عوف" بضعة عشرة ليلة وقتل بعض الصحابة بالسهام التي كانت تقذف من الحصون بالطائف. في اليوم الثاني قال الرسول إن راحلون غدا. فقال له بعض أصحابه :" أنرحل عنها ولم نفتحها ؟ فقال: أبقوا. في اليوم التالي قتل عدد من المسلمين وجرح آخرون. فقال الرسول:" إن راحلون غدا. فقالوا: نعم يا رسول الله. وتبسم الرسول وعادوا. فقال له قائل وقد ملأ قلبه غيظ من أهل الطائف والمشركين:" يا رسول الله أدعوا الله على ثقيف. فرفع رسول الله كفيه وقال:" اللهم اهدي ثقيف وأتي بهم مسلمين " . عاد الرسول إلى جعرانة حيث الغنائم، وبدأ في تقسيمها، والرسول كان معه قرابة ألفين من المسلمين الجدد من أهل مكة، فالرسول أراد تأليف قلوبهم فأعطاهم أكثر مما أعطى أصحابه الأنصار والمهاجرين. بعض الأنصار اجتمعوا فيما بينهم وقال قائل منهم: " يغفر الله لرسوله صلى الله عليه وسلم يعطي أقواما ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم " بلغ هذا الكلام رسول الله، فجمع هؤلاء الأنصار فقط وخطب فيهم خطابا يصب فيه عطف وحساسية ودوق النبي عليه الصلاة والسلام حمد الله وأثنى عليه وقال: " يا معشر الأنصار مقالة بلغتني عنكم ألم أتيكم ظلالا فهداكم الله بي وعالة فأغناكم الله بي ومتفرقين فوحدكم الله بي ومخذولين فنصركم الله بي. ألا تجيبوني يا معشر الأنصار ؟ قالوا بلى يا رسول الله، يعود فيقول ألا تجيبونني يا معشر الأنصار ؟ قالوا:" بماذا نجيبك يا رسول الله ؟ قال:" أما والله لو شئتم لقلتم فلصدقتم ولصُدِّقتم : أتيتنا مُكذَّبا فصدقناك، ومخذولا فنصرناك،وطريدا فآويناك، وعائلا فآسيناك " فصاحوا بل المن علينا لله ورسوله. ثم تابع رسول الله قائلا:" أوجدتم يا معشر الأنصار في أنفسكم من أجل لعاعة من الدنيا تألَّفتُ بها قوما ليسلموا، ووكلتكم إلى إسلامكم، ألا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعوا برسول الله إلى رحالكم ؟ فو الله لما تنقلبون به خير مما ينقلبون به، والذي نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرءًا من الأنصار، ولو سلك الناس شعبا، وسلكت الأنصار شعبا، لسلكت شعبًا الأنصار وإنكم ستلقون أثرة من بعدي فاصبروا حتى تلقوني على الحوض، اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار "

فبكى القوم حتى أخضلت لحاهم ، وقالوا رضينا بالله ورسوله قسما ونصيبا.

بعد أن قسم رسول الله الغنائم جاء جمع كبير من هوازن مسلمين، فقال لهم والله لقد تأخرتم، ولا أستطيع أن أسترجع حتى أستأذن فجمع رسول الله أصحابه وذكر لهم: " إن إخوانكم هؤلاء جاءوا مسلمين فإن سمحت نفوسكم تستعيدوا الأموال التي أخذتموها، ونعوضكم عنها بأول فتح من الله

سبحانه وتعالى" فقبلوا ما قاله رسول الله مجتمعين، وقال:" لقد قلتم جميعا ولا ندري من طيب منكم ومن لم يطب فعودوا إلى رحالكم " وأرسل صحابة يسألونهم واحدا واحد.وهكذا طابت نفوسهم جميعا لإعادة ما قد أخذوه.

وركب رسول الله بغلته متجها إلى مكة، في الطريق أدركه عدد من الأعراب يطالبونه بالعطايا، فعلق رداء رسول الله بشجرة ذات شوك، فوقف رسول الله قائلا:"يا أيها الناس ردوا علي ردائي والله ليس لي من فيئكم إلا الخمس، والخمس مردود عليكم "

وأدركه أعرابي مسرعا جاء إلى رسول الله وجذبه جذبة شديدة حتى أثر الرداء في طرف عنقه وكاد ينثره ويقول له:" أعطني مما أعطاك الله "فضحك المصطفى صلى الله عليه وسلم، وأمر له بعطاء.

ثم إن الرسول صلى الله عليه وسلم خرج من جعرانة معتمرا ,اتجه إلى مكة وأدى مناسك العمرة، ثم عاد مع الأنصار والمهاجرين إلى المدينة المنورة ونفد ما قد قاله لهم المحيي محياكم والممات مماتكم.

﴿تحليل المشهد﴾

إ ذا كانت قلة المسلمين في غزوة بدر لم تكن سببا لخذلانهم، وكثرة المسلمين في هذه الغزوة لم تكن سببا لانتصارهم، وإنما الأمر عائد في كلتا الحالتين إلى الله سبحانه وتعالى:" إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده " النصر والتأييد من الله وقال تعالى:" لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم" حيث سرعان ما تحول الخذلان إلى نصر لأن الرسول ناداهم وذكرهم وكأنهم كانوا قد أخذوا وذهلوا لكثرتهم، وبعدها تنبهوا إلى أن النصر بيد الله سبحانه وتعالى.

الأحكام والعضات

1. بث العيون في صفوف العدو هل هو مشروع أم غير مشروع ؟ النبي عليه الصلاة والسلام فعل ذلك في كثير من الغزوات، إذن بث العيون هو أمر مطلوب، مع انضباط ذلك بأمور الشرع وأحكامه.

(الدرس 51)

2. حكم استعارة إمام المسلمين أسلحة أو عتادا من غير المسلمين ليجهز بذلك جيشا لقتال عدو. ما رأيناه في غزوة حنين أن الرسول عليه الصلاة والسلام استعار أسلحة من " صفوان ابن أمية"، دل هذا أنه يجوز لولي أمر المسلمين أن يستعين في تجهيز الجيش بغير المسلمين.ويجوز استملاك أو استئجار.لكن بشرط أن تدرس الحالة الراهنة التي هم فيها ويتأكدوا أن هذا لا يجر للمسلمين وبالا، أي أن هذا الأمر من قبيل السياسة الشرعية.

3. لفتة إلى مزية عجيبة تميز بها الرسول عن بقية أصحابه، وهي هذه الجرأة التي لاحظناها في شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم، هذا ما لاحظناه لحظة انهزام المسلمين وبقاء الرسول صامدا يعلن عن نفسه وقد انكشف وبغلته بطيئة والأعداء كلهم يحيطون به ومع ذلك كان يركض ببغلته اتجاه المشركين. ويقول سيدنا علي:" كنا إذا حمي الوطيس التجأنا إلى رسول الله " وهذا كي يستمدوا منه شجاعة لأنفسهم. وهي مزية من الله عز وجل، إذ أهله للمهمة التي أرسله إليها.

4. حكم خروج المرأة للجهاد مع الرجال، في حالة النفير العام ينبغي للمرأة أن تشارك مع الرجل في ذلك. الحالة الثانية الدفاع القتالي لعدو يخطط لمحاربة المسلمين، عندها يخرج المسلمون ليبادئ العدو لأجل إفساد خطته مثل غزوة حنين، عن خروج المرأة هنا،إن كان من أجل تطبيب الجرحى وعلاجهم وسقايتهم فالاتفاق أنه جائز، أما خروجها لكي تقاتل ذهب جمهور العلماء أنها غير مكلفة بذلك.أخذ الحكم من أن الرسول لما رأى أم سليم في غزوة حنين فقال لها رسول الله:" أم سليم ؟ أنت هنا ؟ قالت:" نعم بأبي وأمي يا رسول الله أقتل هؤلاء الذين ينهزمون عنك كما تقتل الذين يقاتلونك. وكان بيدها خنجر وقال لها زوجها أبا طلحة:" ما هذا الخنجر معك ؟ قال:" خنجر أثقب به بطن من يريدني بسوء.أي الخنجر كان لدفاع عن النفس.لكن هناك إشكال عند قولها أقتل هؤلاء الذين ينهزمون عنك كما تقتل الذين يقاتلونك، جواب الفقهاء كان على عدم وجوب مشاركتها في القتال، لكن هذا لا يتنافى بقيام المرأة بمقاتلة هؤلاء الأعداء. روى البخاري عن عائشة أنها استأذنت رسول الله في الجهاد مرة فقال:" جهادكن الحج "أي ليس واجب عليها ولا حرج إن خرجت للجهاد مع توفر شروط لذلك.

5. هل يجوز أثناء قيام المسلمين بالقتال أن تقتل امرأة أو أجيرا أو طفلا ؟ لا يجوز ذلك وتبين ذلك من موقف رسول الله من المرأة التي قتلها خالد ونهاه عن ذلك.

6. سلب القتيل وتعني سلاح القتيل وماله والأشياء التي لها قيمة بحوزة قتيل قتل بيد فلان من الناس من المسلمين هذا يسمى سلبا. الرسول قال في غزوة حنين:" من قتل قتيلا عليه بينه فله سلبه " هل هذا حكم تبليغي ؟ أم من السياسة الشرعية ؟ اختلف الفقهاء الشافعي قال حكم تبليغي، أما أبا حنيفة ومالك وآخرون قالوا هذا من أحكام الإمامة لأن الرسول لم يقل هذا إلا في غزوة حنين تشجيعا للمسلمين.

7. هل الجهاد القتالي بكل أنواعه ينبغي أن يستشف حقدا على الكافرين في نفوسنا ؟ الجواب لا، الدليل لما قال قائل لرسول الله وقد ملأ قلبه غيظ من أهل الطائف والمشركين:" يا رسول الله أدعوا الله على ثقيف. فرفع رسول الله كفيه وقال:" اللهم اهدي ثقيف وأتي بهم مسلمين " .ودليل أخر في قوله صلى الله عليه وسلم:" الدين نصيحة " لعامة الناس، والحقد والنصح لا يجتمعان.

(الدرس52)

8. متى يمتلك الجنود الغنائم عندما تضع الحرب أوزارها ؟ الجواب أنه لا يمتلكون الغنائم إلا بعد أن تقسمها الدولة عليهم. وإذا بقيت الغنائم لم تقسم ومرت عليها سنة، لا زكاة فيها، ودليل ذلك ما فعله رسول الله عندما حبس الغنائم في منطقة جعرانة، وذهب إلى الطائف، على أمل عودة بعض هؤلاء المشركين تائبين مسلمين. وإذا قسم الإمام الغنائم وبدا له أن يسترجعها فلا يجوز له ذلك، وعرفنا ذلك من أحداث الغزوة، والرسول بعد أن قسم الغنائم، جاء أناس من هوازن وغيرها مسلمين ، وما فعله الرسول أنه جمع المسلمين واستشارهم في استرجاع بعض العطايا لهؤلاء الوافدون، إذا طابت أنفسهم لذلك.

9. أحكام المؤلفة قلوبهم والسياسة الشرعية التي ينبغي إتباعها لهؤلاء، والمؤلفة قلوبهم هم الذين دخلوا الإسلام حديثا، وهم بحاجة إلى ما يرسخ إيمانهم. وهناك من يرى أن الكافرين الذين يرجى إسلامهم يدخلون تحت اسم المؤلفة قلوبهم. في غزوة حنين الرسول ميز هؤلاء بالعطاء، سواء الألفين الذين دخلوا الإسلام حديثا من أهل مكة أو الذين جاءوا من هوازن. وفعل الرسول ذلك بوحي من الله تعالى. من هنا كانت المؤلفة قلوبهم من الفئات التي تستحق الزكاة.

10. نلاحظ في خطاب رسول الله للأنصار فضلهم ومدى محبة رسول الله لهم، ولا غرابة في أن الشيطان دس بعض وساوسه في بعض الأنصار حتى قالوا:" أن الرسول أدركته الرحمة لأبناء وطنه"

شدة حب الرسول للأنصار جعلته يعتب عليهم وقد صدر منهم هذا الكلام. ثم نجد الدوق العالي، والإحساس السامي جدا جدا، واللطف المتناهي، والحكمة العالية في حبيبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم

﴿المشهد الثامن والثلاثين﴾

غزوة تبوك

سبب الغزوة أن الرسول صلى الله عليه وسلم سمع من الأنباط وهم الذين يفدون من الشام لتجارة وهم نصارى، أن الروم قد حشدت حشودا كثيرة لقتال رسول الله، وأجلبت معها كثير من القبائل العربية، وهؤلاء قد عسكروا بأرض البلقاء وهي في الأردن، وعددهم أربعين ألف مقاتل، فندب رسول الله الناس إلى الخروج،وشاء الله تعالى أن يكون هذا في أشد أيام الصيف حرا، وكان في شهر رجب سنة تسع من الهجرة، وكان الناس في عسرة من العيش، وثمار المدينة قد أينعت وظلال الأشجار امتدت، كل شيء يغري بالبقاء في المدينة المنورة، في هذه الغزوة نظرا لبعد المسافة وعسر الوقت أخبرهم عن مكان التوجه ليستعدوا جيدا، ومن أثارها أنها ميزت بين المنافقين والمؤمنين المخلصين وهؤلاء جميعا أي المؤمنين استجابوا لنداء رسول الله، والمنافقين ظهر نفاقهم ولم يستجيبوا، وأخذوا يعتذرون. أحدهم جاء لرسول الله يقول:" أخشى على إيماني وأنا معروف بين الناس أنني أفتتن بالنساء، وأخشى أن لا أصبر عند رؤيتي نساء بني الأصفر". والبارئ عز وجل سلط بيانه المعجز على هؤلاء وهؤلاء حيث قال:" فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون فإن رجعك الله إلى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا إنكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين " وعقب الله على الأخر بقوله تعالى: " منهم من يقول ائذن لي ولا تفتني ألا في الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين "

وجاء أناس فقراء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلبون ظهورا يركبونها، والرسول كان يعتذر لهم أنه لا يجد لهم دواب يركبونها، عادوا وهم يبكون يتألمون، البارئ عز وجل يوضح الفرق بين هؤلاء المؤمنين الصادقين وبين أولائك المنافقين. الرحلة شاقة وطويلة والناس يعانون من شظف

العيش، فطلب الرسول من كل واحد أن يأتي بفضل من المال، وكل واحد أتى إلى الرسول بما يستطيع من عون لتجهيز الجيش. وفي حديث يرويه الترمذي وغيره عن عمر رضي الله عنه يقول:" أمرنا رسول الله أن نتصدق ووافق ذلك عندي مالا، فقلتُ اليوم أسبق أبا بكر قال فجئته بنصف مالي فقال رسول الله:" ما أبقيت لأهلك ؟" قلت له مثله.وأتى أبا بكر بكل ما يملك، فقال له الرسول:" ما أبقيت لأهلك ؟ قال:" أبقيت لهم الله ورسوله. فقلتُ في نفسي:" لا أسبقه إلى شيء أبدًا " وعن البكائين قال الله عز وجل: " ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون "

(الدرس 53)

خرج رسول الله فيما يقرب ثلاثين ألف من أصحابه، وتخلف نفر دون ريبة أو شك وكانوا مسلمين صادقين وهم "كعب ابن مالك " و " هلال ابن أمية " و " مرارة ابن الربيع " وتخلف رابع واسمه " أبو خيتمة " ولكنه تدارك أمره وأدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم على مقربة من تبوك، وسبب تخلف الثلاثة هو الجو الذي كان يغريهم بالبقاء في المدينة المنورة.

يروي الطبراني وابن إسحاق وغيرهم عن أبو خيتمة، أنه رجع في يوم شديد الحر إلى بستان له دخله وكانت له زوجتان كل منهما قد هيأت له طعاما لذيذا وبردت له الماء، ولكل منهما عريش داخل البستان، ولما دخل أبو خيتمة ووجد العريشين، وقف رضي الله عنه يقول:" رسول الله ﷺ في الشمس والريح والحر، وأبو خيتمة في ظل بارد وطعام مهيأ وزوجة حسناء ما هذا والله بالنصف " وأقسم أنه لن يدخل عريش أي منهما ويظل واقفا حتى تهيأ راحلته ويلحق برسول الله ﷺ.فقامت كل منهما بتهيئة الراحلة، وسرعان ما تهيأت وبدأ السير لحاقا برسول الله لحقه وكان هو وأصحابه في مكان هناك يستريحون، ولما دنا أبو خيتمة قالوا يا رسول الله هذا راكب على الطريق آت، فنظر رسول الله قائلا كن أبا خيتمة، قالوا والله يا رسول الله هو، فأقبل وسلم على رسول الله ﷺ فقال له المصطفى:" أولى لك يا أبا خيتمة "كلمة عتاب ، ثم أخبر المصطفى بسبب تأخره، فدعا له رسول الله بخير.

وواصل رسول وأصحابه طريقهم في جو لاهب من الحر الشديد والماء القليل، والظهر الأقل، حيث كان الثلاثة من أصحاب رسول الله أو أكثر يتناوبون على ظهر واحد والمسافة طويلة جدا. حتى أنهم من شدة الظمأ أحيانا يذبحون إحدى الإبل ويشربون ما في أكراشها. وفي مرحلة من

المراحل أثناء الرحلة، استشاروا رسول الله في ذبح بعض من ظهورهم لشدة المجاعة فقال:" افعلوا إن شئتم " لكن عمر رضي الله عنه قال:" الظهر قليل فإن أذنت لهم بهذا فسوف يكون الظهر أقل وتكون العاقبة أسوأ، ولكن أدعوا أصحابك بفضل أزوادهم أي بقايا الطعام التي عندهم بالبركة ولعل ذلك يكون أولى.فوافق رسول الله سيدنا عمر فيما اقترح، وطلب أن يأتي كل منهم بما عنده، وهكذا كل منهم يأتي بطعامه أحدهم كف درة والأخر شعير وأخر ثمر أو كسرات خبز وجمع كل ذلك في بساط من جلد، فمسح رسول الله بيده على ذلك الطعام، ثم دعا بالبركة وقال:" خذوا لأزودكم، فالبارئ عز وجل أكرمهم وتضاعف ذلك الذي جمعوه بالوفير من الطعام. النبي عليه الصلاة والسلام لما رأى ذلك قال:" أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أني محمد رسول الله لا يلقى الله بهذه غير شاك فتحجب عنه الجنة" لاقى المسلمين في طريقهم إلى تبوك ما لم يلقوه من قبل أو من بعد من الشدائد. والله سبحانه وتعالى حكيم ورحيم ، حيث أنهم لما وصلوا تبوك ألقى الله الرعب في قلوب أولائك الذين حشدوا جموعهم التي يبلغ عددها ما لا يقل عن أربعين ألف مقاتل من الرمان وبعض القبائل العربية. ولو الأدبار ولم يجد المسلمون من يقاتلوهم. جاءت بعض الوفود من نصارى الشام أهل جرداء و أدرح، فصالحوا رسول الله ﷺ على الجزية رضا منهم.

وعاد رسول الله ﷺ أدراجه إلى المدينة المنورة في الطريق مر رسول الله وأصحابه بالحجر منازل ثمود التي شهدت غضب الله سبحانه على القوم هناك فقال لأصحابه:" لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم أن يصيبكم ما أصابهم إلا أن تكونوا باكين متخشعين" بدأ رسول الله فقنع رأسه وأسرع السير حتى اجتاز ذلك الوادي وهو رسول الله ﷺ. ولما أصبح الرسول على مقربة من المدينة ولاح أمامه وأمام أصحابه جبل أحد ونظر الرسول إليه قائلا:" هذه طابة هذا أحد جبل يحبنا ونحبه " استغرقت الرحلة ما لا يقل عن شهرين.

﴿تحليل المشهد﴾

عن واقع الإمبراطورية الرومانية التي كانت تستعمر هذه البلاد وهي الشام ومصر، كانت تراقب انتشار الإسلام وتطوره من ضعف إلى قوة، تراقب ذلك بحذر وتخوف، ولما جاءتهم أخبار فتح مكة وانتصار المصطفي ﷺ أدركت أن الخطر أصبح يحدق بها، لذلك أعدت العدة لمحاربة رسول الله، ولما وصل الخبر لرسول الله، وهنا كان لابد له من درء الحرابة ورد العدوان.

– أهمية الجهاد بالمال وهو من أنواع الجهاد و به يتم تهيئة الجهاد القتالي ، ونلاحظ في غزوة تبوك أن الرسول ندب أصحابه بالتبرع بالمال، لضائقة التي كان فيها المسلمين آنذاك ولبعد المسافة إلى تبوك. وأقبل الصحابة يتبرعون كل حسب استطاعته منهم سيدنا عثمان الذي جاء بقدر كبير من المال بـ 200 أقيه من فضة و بـ 200 راحلة وبأكثر من ذلك وضعها بين يدي رسول الله ﷺ لما رأى ذلك قال الرسول:" ما ضر عثمان ما صنع بعد اليوم " هذا الكلام يتضمن زجرا كبيرا لمن جاء من بعد ويمد لسانه بقالة سوء في حق سيدنا عثمان رضي الله عنه.

– عن قول عمر رضي الله عنه عندما قال:" لو أتيح لي أن أسبق أبا بكر اليوم ولسوف أسبقه اليوم " وجاء بنصف ماله ظنا منه أن أبا بكر لا يستطيع إلى ذلك سبيلا، ثم وجد أن أبا بكر جاء بكل ماله، وقال:" أنا لا أستطيع أن أسبق أبا بكر أبدا " الحديث رواه أبو داوود والترمذي والحاكم هذا هو الصحيح، أما الزيادة التي وجدت في بعض المساند أن الرسول قال لأبي بكر إن الله راض عنك وهل أنت راض عنه ونهض أبا بكر يرقص إنها زيادة لا أصل لها وما بني على باطل فهو باطل.

الرقص أثناء الذكر قال العلماء هذا من قلة الأدب مع الله تعالى وهذا مما تسرب في الحضرة.

– دور غزوة تبوك في تميز المنافقين عن المؤمنين، أثناء الابتلاءات والمحن يعرف المنافقين من غيرهم وأعقب البيان الإلهي عنهم في قوله:" فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله..." والابتلاءات من أجل الحكم التي يبتلي بها المؤمنين ليميز الخبيث من الطيب، وفيها يبرز المنافقين.

– عرفنا أن النبي عليه الصلاة والسلام لما مر بمنازل ثمود قنع رأسه بردائه وأسرع، وأمر أصحابه أن لا يمر بالمكان إلا متخشعين باكين مالحكمة ؟ الحكمة هي أن المؤمن عليه دائما أن يكون بين حالتين حالة من الرجاء والأمل بالله وحالة من تذكر سطوة الله عز وجل وعقابه، وأنه يأخذ أخذ عزيز مقتدر. إذا مرور المسلم بهذه الديار ينبغي أن يكون مرور تذكر وعبرة وخشية لله تعالى لا مرور سائح متجول.

– عن المخلفين نلاحظ أن الرسول قبل عذر المنافقين، ولما جاءه "الجد ابن قيس " قال يا رسول الله أنا رجل أفتتن بالنساء وأخشى أن لا أصبر عند رؤيتي نساء بني الأصفر" فقبل الرسول عذره، ولكن كما سنرى أنه لم يقبل عذر الثلاثة. لماذا ؟ أما المنافق في دار الدنيا نعطيه ما يشاء، كأن

الله يقول لنا دعوا محاكمته للآخرة، ونحن نحاكمه حسب مقاييسه الظاهرة، أما عن الثلاثة فإن الرسول عاتبهم بشدة وعزرهم وخرجوا بعد ذلك من العقاب كيوم ولدتهم أمهاتهم.

(الدرس 54)

﴿المشهد التاسع والثلاثين﴾

جبل أحد وقصة المخلفين

عندما قفل الرسول وأصحابه عائدا من تبوك إلى المدينة عانى من الصعوبات كالتي عانها عند الذهاب، من حيث الحر والشدة وعدم وجود الظهر الكافي لركوب و الظمأ والجوع، حتى أن كثير من أصحاب رسول الله توفوا في الطريق منهم " عبد الله دو البجا دين" من أخص أصحاب رسول الله، حيث حفر له إخوانه قبرا في المكان الذي توفي فيه ونزل الرسول بنفسه إلى حفرته وقال لأصحابه:" أعطوني أخاكم " فأضجعه رسول الله ﷺ بيده في تربته وكان الوقت مساء ورفع المصطفى يديه يقول:" اللهم إني أمسيت راضيا عن "ذي البجا دين" فا أرضى عنه . هذه صورة من الشدائد راضين صابرين منتشين ومسرورين، لأن في ذلك رضا الله سبحانه وتعالى، عندما وصل المصطفى إلى مشارف المدينة أشار المصطفى إليها وقال:" هذه طابة، ثم أشار إلى جبل أحد وقال:" هذا أحد جبل يحبنا ونحبه "

عبر وعضات من المشهد:

جبل أحد هو مجموعة صخور وأتربة لا تعي ولا تعقل أي كتلة جمادات ومع ذك المصطفى نظر إليه وتغزل بهذا الجبل، لأنه شهد موقعة أحد، وسفحه يحتضن عدد من شهداء أصحاب رسول الله مثل حمزة و"مصعب ابن عمير "، وهنا نقول إذا كان المصطفى ﷺ اهتزت مشاعره لمرأى هذا الجبل ماذا عسى أن ينال المسلم عندما يرى مثوى رسول الله ﷺ، وإذا أخذ وخاطب رسول الله بالمشاعر التي هي أضعاف المشاعر التي خاطب بها رسول الله الجبل، عندها لا يلام، بل يتأتى للمحب لرسول الله إلا أن يؤخذ، ولا يتأتى له إلا أن ينال تلك المشاعر الفياضة التي نالت المصطفى وهو يرى إلى الجبل.

قصة الثلاثة الذين تخلفوا هم "كعب ابن مالك " و " هلال ابن أمية " و " مرارة ابن الربيع "

لنصغي إلى ما قاله "كعب ابن مالك " عن نفسه والمشاعر التي انتابته وخاصة عند عودة الرسول إلى المدينة، والحزن الشديد الذي انتابه، ثم كيف عامله رسول الله ﷺ لما وصل رسول الله ﷺ دخل المسجد وصلى ركعتين، ثم جلس لناس الذين لم يكونوا معه في تلك الغزوة يستقبلهم، وجاء المخلفون وفي مقدمتهم المنافقون جاءوا يعتذرون، كل واحد يختلق لنفسه عذرا، والنبي يقبل أعذارهم، وعن موقف رسول الله ﷺ عن الثلاثة **يقول** "كعب ابن مالك "

" كان من خبري أني لم أكن قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنه ﷺ في تلك الغزوة، وطفقت أغدوا كي أتجهز مع المسلمين، فأرجعوا ولم أقضي شيئا فأقول في نفسي أنا قادر عليه (أي لا يعوقني شيء عن سرعة التجهيز) فلم يزل يتمادى بي حتى اشتد بالناس الجدُّ ولم أقضي من جهازي شيء. ولم يزل بي حتى أسرعوا وتفارق الغزو (أي خرجوا وفاتوا) وهممت أن أرتحل فأدركهم، وليتني فعلت، فلم يقدر لي ذلك، فكنت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله ﷺ فطفت بهم أحزنني أنني لا أرى إلا رجلا مغموسا بنفاق، أو رجلا ممن عذر الله من الضعفاء، ولما بلغني أنه توجه قافلا أي عائدا حضرني همي، فطفقت أتذكر الكذب وأقول بماذا سأخرج من سخط رسول الله ﷺ غدا واستعنت بذلك من كل ذي رأي من أهلي أستشيره، ولما قيل أن رسول الله ﷺ قد أقبل، زاح عني الباطل وأجمعت أن أصدقه. فجئته ولما سلمت عليه تبسم تبسُم المغضب فجئت أمشي حتى جلست بين يديه. فقال لي:" ما خلفك ؟ ألم تكن قد ابتعت ظهرك " فقلت: بلى إني والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أني سأخرج من سخطه بعذر ولقد أُعطيت جدلا ولكني والله لقد علمت فإن حدثك اليوم حديث كذب ترضى به عني، ليوشكن الله أن يسخطك عليَّ، ولئن حدثك حديث صدق تجد علي فيه، إني لأرجو فيه عفو الله. والله ما كان لي من عذر، والله ما كنت أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك " فقال رسول الله ﷺ " أما هذا فقد صدق فقم حتى يقضي الله فيك " فقمت، وثار رجال من بني سلمة فاتبعوني يؤنبونني (أي يعتبون عليه أن يعتذر مثل ما اعتذر أولائك) فقلت: هل لقي هذا معي أحد ؟ قالوا: نعم رجلان قالا مثل ما قلت فقيل لهما مثل ما قيل لك. فقلت: من هما فقالوا:" هلال ابن أمية " و " مرارة ابن الربيع " فذكرا لي رجلين صالحين شهدا بدر لي فيهما أسوة. ونهى رسول الله ﷺ عن كلامنا أي الثلاثة . فاجتنبنا الناس ، وتغيروا لنا حتى تنكرت لي الأرض، فما هي بالتي أعرفها فلبثنا على ذلك خمسين ليلة، فأما صاحباي فاستكنا وقعدا في بيوتهما يبكيان، وأما

أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم فكنت أخرج وأشهد الصلاة مع المسلمين وأطوف في الأسواق ولا يكلمني ، وأتي رسول الله ﷺ فأسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة، فأقول في نفسي هل حرك شفتيه برد السلام علي أم لا. ثم أصلي قريبا منه أسارقه النظر فإذا أقبلت على صلاتي أقبل علي، وإذا التفت نحوه أعرض عني. وبينما أنا أمشي بسوق المدينة وإذا قبطي من أقباط الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول من الذي يدلني على "كعب ابن مالك " ؟ فطفق الناس يشيرون له حتى إذا جاءني دفع إلي كتابا من غسان فإذا فيه " أما بعد فإنه قد بلغني أن صاحبك قد جفاك ولم يجعلك الله في دار هوان ولا مضيعة فالحق بنا نواسك " فقلت لما قرأتها " وهذا أيضا من البلاء " فتيممت بها التنور فسجرته بها. حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين إذا رسولِ رسولُ الله ﷺ يأتيني ويقول:"إن رسول الله يأمرك أن تعتزل امرأتك " فقلت أطلقها أم ماذا أفعل ؟ قال:" لا بل اعتزلها ولا تقربها " وأرسل إلى صاحباي بمثل ذلك. فقلت لامرأتي الحقي بأهلك، فكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر. فلبثت بعد ذلك عشر ليالي حيت كملت بذلك خمسون ليلة من حين نهى رسول الله عن كلامنا. فلما صليت صلاة الفجر وأنا على ظهر بيت من بيوتنا وبين أنا جالس على الحال التي ذكر الله قد ضاقت علي نفسي وضاقت بي الأرض بما رحبت، سمعت صوت صارخ أوفى بأعلى جبل سلع بأعلى صوته. " يا كعب ابن مالك أبشر " فخررت ساجدا فعرفت أنه قد جاء الفرج، وأذن رسول الله بتوبة الله علي عقب صلاة الفجر. فذهب الناس يبشروننا، وذهبوا قبل صاحباي يبشرون. ولما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني فنزعت ثوبيَّ فكسوته إياهما ببشراه، والله لا أملك غيرهما يومئذ، واستعرت ثوبين فلبستهما، وانطلقت إلى رسول الله ﷺ فتلقاني الناس فوجا فَوجًا يهنئونني بتوبة، فدخلت المسجد فإذا رسول الله ﷺ جالس وحوله الناس فقام إليَّ

" طلحة ابن عبد الله " يهرول حتى صافحني وهنأني، قال كعب فلما سلمت على رسول الله ﷺ قال وهو يبرق وجهه من السرور:" أبشر بخير يوم طلع عليك منذ ولدتك أمك ". قال: قلت أمن عندك يا رسول أم من عند الله تعالى ؟ قال:" لا بل من عند الله . قلت يا رسول الله إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله ورسوله. فقال رسول الله: أمسك عليك بعض مالك، فهو خير لك. فقلتُ:" يا رسول الله إنما نجاني الصدق، وإن من توبتي أن لا أحدث إلا صدقا ما بقيت. وأنزل الله تعالى على رسوله:" لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في

ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم إنه بهم رءوف رحيم وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين" هذه الآيات إعلانا عن توبة الله تعالى عن الثلاثة الذين تخلفوا عن رسول الله في غزوة تبوك .التربية كانت للذين يحبهم لله ورسوله.

﴿تحليل المشهد﴾

- الفقهاء اختلفوا لو أن إنسان نذر كل ماله صدقة، هل يجب أن يخرج عن ماله كله، منهم من قال نعم إذا قال ذلك، أما الأحناف قالوا هذا النذر لا يقع إلا على الزكوي من ماله، أما ما عدا ذلك فلا.
- دل ما فعله مالك على مشروعية سجدة الشكر،أي نعمة أنعمها الله تعالى عليك ينبغي أن تسجد شكرا لله عليها،وعمل الصحابة حجة لا سيما علم رسول الله بها وعدم إنكاره لها وتنطبق عليه شرائط الوضوء.

﴿المشهد الأربعين﴾

حج أبي بكر رضي الله عنه بالناس سنة تسع

عندما قفل رسول الله عائدا من تبوك في نفس السنة، أراد الحج ثم قال إنما يحضر المشركون فيطوفون عراة فلا أحب أن أحج حتى لا يكون ذلك، أي حتى لا يقال أن الرسول رضي بذلك، فأرسل أبا بكر رضي الله عنه ومعه علي رضي الله عنه، ينهيان المشركين عن حج بعد ذلك العام بهذه الطريقة ويعطيانهم مهلة لدخول في الإسلام أربعة أشهر، ثم ليس بينهم وبين المسلمين إلا القتال. يروي البخاري في صحيحه أن أبا بكر بعث في الحجة التي أمره بها رسول الله قبل حجة الوداع يوم النحر في رهط يؤذن في الناس "لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان " وروى "محمد ابن كعب القرضي " وغيره أن النبي ﷺ بعث أبا بكر أميرا على الموسم سنة تسع من الهجرة، وبعث علي بثلاثين أو أربعين آية من براءة، كلفه أن يتلوها على سمع المشركين فقرأها على المشركين، يجلهم ويمهلهم أربعة أشهر يسيحون في الأرض، فقرأها عليهم يوم عرفة، أجَّلهم عشرين من ذي الحجة ومحرم وصفر وربيع الأول بكامله، وعشرة من ربيع الآخر، وقرأها عليهم في

منازلهم وأينما وجدوا يكررها عليهم وقال:" لا يحجنا بعد عامنا هذا مشرك ولا يطوف بالبيت عريان " منع المشركين من الطواف الذي كانوا يطوفونه وقال عنهم الله تعالى:" وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية " المكاء تصفير وتصدية أي التصفيق.

(الدرس 55)

﴿تحليل المشهد﴾

ما ينبغي أن نفقهه من حج أبا بكر بالناس بعد غزوة تبوك:

– المشركين كانوا يعظمون بيت الله الحرام، كانوا قد ورثوا من أبو الأنبياء سيدنا إبراهيم مشاعر الحج، لكنهم أقحموا مع شعائر الحج كثير من الموبقات وأعمال سيئة يبرأ منها خليل الرحمان سيدنا إبراهيم، وبعد الفتح كان المشركون يطوفون مع المسلمين رافعين أصواتهم لإغلاط المسلمين أثناء ذلك ويقولون " لا شريك لك إلا شريكا لك تملكه وما ملك ". كان الرسول يغظ الطرف لوجود عهود. لكن في العام التاسع أمر أبا بكر أن يأمر المشركين أن لهم فرصة أربع أشهر، بعدها لا يقبل من مشرك أن يطوف بالبيت بهذا الشكل. أما من كانت له عهود مع رسول الله قال تبقى العهود على ما هي عليه مادام المشركين ملتزمون بها وفي هذا قال الله تعالى:

" إِلا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ " نفهم من هذا كله أن الجهاد في الإسلام بعدما استقر وتكاملت أحكام الشريعة الإسلامية، جهاد متكامل لا يقف عند ما يسمى حرب دفاعية،ولا يقف بما يسمى حرب هجومية، إنما هو الجهاد الذي يبتغى منه إعلاء كلمة الله سبحانه وتعالى، وكلما كان الطريق لذلك معبدا فالجهاد لا يعني عندها أكثر من حوار ودعوة باللسان، وإن وجدت عقبات أثناء ذلك كصد والمنع والردع وما إلى ذلك، وجب مقاومة ذلك.وصدر سورة براءة التي أمر الله نبيه أن يبلغها للمشركين فأمر أبا بكر بذلك هي في قوله تعالى:" بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (1) فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ (2) وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (3) إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (4) فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا

الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (5) " من خلال الآيات والتي بعدها نفهم أن الجهاد معناه إبلاغ رسالات الله إلى الناس. والجهاد وسيلة لتعبيد الطريق إلى قلوب الناس وأذانهم لا أكثر. دون إجبار أحد على الدخول في الإسلام. ودليل ذلك قوله تعالى:" وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون " أي من طلب جوارك يا رسول الله فأجره واتركه يتعرف على الإسلام والمسلمين، وإذا لم يشأ الدخول في الإسلام وأراد الخروج عندها أبلغه مأمنه. أي أتركه يخرج.

هنا ولي أمر المسلمين هو الذي يحكم ويقضي على مواجهة من صدنا على تبليغ رسالة الله لناس، ويحكم بإمكانية ذلك أو لا " ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها "

(الدرس 56)

﴿المشهد الواحد و الأربعين﴾

مسجد الضرار

وهو يأتي بعد رجوع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك، حيث يروي علماء السيرة والسنة أنه كان في المدينة رجل من المشركين كان قد تنصر في الجاهلية اسمه " أبو عامر الراهب " وكان يتشوف إلى الزعامة والرئاسة، ولما قدم رسول الله مهاجرا إلى المدينة واجتمع عليه المسلمون وتحولت المدينة إلى أول دار إسلام، حزن وجزع لذلك هذا " أبو عامر الراهب " وأظهر العداوة لرسول الله ﷺ، ولم يجد لنفسه مقاما مستقرا بالمدينة فتوجه إلى مكة، وأقام بين ظهراني المشركين يطمع أن يرى النصر عندهم ويتوقع أن يقف معهم في الوقوف في وجه رسول الله ﷺ، ولكن رأى بعد حين أن أمر قريش آلا إلى الضعف، وانتهى إلى فتح مكة، فتوجه لاجئا إلى هرقل بالشام، واتصل به وطلب منه أن يعينه على رسول الله ﷺ. فأكرم هرقل وفادته، وأطمعه هرقل من أن هذا الذي يرجوه سيتحقق فتأمل " أبو عامر الراهب " خيرا من بقائه في الشام، وأصبح يراسل المنافقين من مَنْ يعلم حالهم بالمدينة، وينسق معهم الخطط الرامية إلى الكيد لرسول الله ﷺ، من الخطط أن يبنوا في الظاهر مسجدا ليكون ملتقى ومرفض لهم ولكي يتلقا فيه جماعة " أبو عامر الراهب " ويعدوا فيه مؤامراتهم الرامية إلى القضاء على الإسلام والكيد لرسول الله. وفعلا استجابوا

وبنو مسجد على مقربة من مسجد قباء، وصادف انتهاءهم من بناء المسجد قبيل توجه رسول الله إلى تبوك، فجاء ثلة من هؤلاء المنافقين وقالوا:

" يا رسول الله إن أعددنا مسجدا هنا في ضاحية من ضواحي المدينة للمريض والمقعد والليلة الشاتية فلعلك تأتي وتصلي لنا في هذا المسجد " لكي يكون ذلك إعلانا عن رضا رسول الله ﷺ عنه. فقال لهم المصطفى ﷺ:" نحن الآن على سفر ولكن إذا عدنا إن شاء الله " . ولما قفل رسول الله راجعا إلى المدينة المنورة من تبوك، ولم يبقى بينه وبين إلا يوم أو بعضه نزل سيدنا جبريل على رسول الله ﷺ يخبره بهذا المسجد الذي سماه الله عز وجل ضرارا وأنبأه بأن لا يذهب لصلاة فيه.، وأنه بني ليكون منطلق عدوان ومرصد كيد وخطط للإيقاع بالمسلمين . فبعث رسول الله إلى ذلك المسجد من هدمه، وجعله أثرا بعد عين. في حق هذا المسجد والذين شادوه نزل قوله تعالى:" والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين و إرصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون لا تقم فيه أبدا لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين "

﴿تحليل المشهد﴾

- هذا الكيد الذي خطط له " أبو عامر الراهب " كشف عن نفاق المنافقين. وهذا الموقف الذي كشفوا به هل حولهم من منافقين إلى كفرة ؟ أما عن فضحهم فإن كتاب الله فضحهم على رؤوس الأشهاد، ورغم ذلك ظلوا منافقين في تطبيق أحكام الشريعة عليهم، وهذا لأن في الشريعة فرق كبير بين ارتكاب جرائم كبيرة في حق الإسلام والمسلمين وبين المعتقد. أي في حالة محالفة المسلم للعدو وارتكابه جرائم في حق المسلمين عندها نضرب على يديه ونعاقبه.ولا يجوز لنا اختراق الظاهر إلى الباطن.

- الفئة التي ترتكب جريمة من الجرائم لا شك أنها تتعرض للعقاب، والشريعة الإسلامية تلزم بإنزال العقوبة في حق هؤلاء الجناة. لكن السؤال الذي طرحه الفقهاء هو هل يجوز لنا أن نعاقب الجاني بالمال أي إتلاف شيء

له ؟ قال جمهور الفقهاء المعاقبة بالمال أنواع، منها المعاقبة بالمال إتلافا جائز بشرط ان تكون الجريمة مالية مثل رجل يبيع حليب ممزوج بالماء يجوز أن نريقه، وهذا من قبل رئيس الدولة أو القاضي

، وهذا ما فعله سيدنا عمر رضي الله عنه. وكما فعل المصطفى بتهديم مسجد ضرار. أما الجناية إن لم تكن مال، جمهور العلماء قالوا غير جائز العقاب بالمال. وإنما بأنواع أخرى من العقاب و التعزير. وسأل الفقهاء هل يجوز لدولة أن تعاقب الجاني باستلاب المال وامتلاكه ؟ جمهور الفقهاء قالوا هذا غير جائز. والسبب أنهم قالوا أن العقاب فيما يقرره المنطق وعلم الاجتماع ينبغي أن يكون مبعثا لألم، ولا ينبغي أن يكون مبعثا لسرور وخير من جانب أخر. لأن المجتمع كله مطالب من تطهير المجتمع من الجريمة، أما جعل العقاب بأخذ المال نعم هو ألم للجاني، ولكن للأخذ هو مبعث سرور، وهكذا هذه الجهة تنتظر كثرة الجرائم ليكون حظها من هذا النعيم أكثر وبتالي يكون المجتمع بعضه ضد بعض. ودليل أخر على عدم جواز أخذ المال من الجاني أن مصادر المال خمسة منها إحراز المباحات، الميراث، العقود والتجارة وغيرها.

﴿المشهد الثاني و الأربعين﴾

وفد ثقيف ودخولهم الإسلام

يروي علماء السيرة وغيرهم أنه لما قدم رسول الله المدينة من تبوك في شهر رمضان، وما إن استقر به المقام في المدينة المنورة حتى أقبل إليه وفد من الطائف التي كان النبي قد حاصرها بضع وعشرين ليلة بعد غزوة حنين. أهالي الطائف وهم ثقيف تشاوروا فيما بينهم ورأوا أنه لا طاقة لهم بحرب رسول الله ﷺ، وأن أمره يترسخ، فأرسلوا وفدا كبيرا منهم يرأسه "كنانة أبن عبد ياليل " ولما دنو إلى المدينة المنورة أول من رآهم " مغيرة ابن شعبة " وعلم مدى فرح رسول الله بهذا الوفد، فأسرع يبشر المصطفى ﷺ بقدوم هذا الوفد. فاستقبلهم في المسجد وبنى لهم خياما حول المسجد، وجاءوا لمناقشة رسول الله وليسألوه وليطرحوا شبهاتهم وما إلى ذلك. وفي المسجد هم جالسون والرسول واقف يكلمهم ويدعوهم للإسلام، ويجيب عن أسئلتهم الساعات الطويلة، يتعب فيعتد على أحد رجليه ليريح الأخرى وهكذا. عند ذهابهم للمسجد يتركون أصغر واحد فيهم لحراسة أمتعتهم بالخيام واسمه " عثمان ابن أبي العاص " فإذا ما رجعوا من مجلس رسول الله إلى خيامهم، تسلل هو منهم وعاد إلى رسول الله ﷺ يريد أن يستفيد مما استفاد منه إخوانه، فأعجب ذلك رسول الله منه. أقام هذا الوفد عدة أيام عند رسول الله ﷺ أخيرا دخل الإسلام قلوبهم، وكان

فيهم قاتل حمزة وهو" الوحشي ".وعندما كان الرسول يقف يكلمهم وإذا به تقع عيناه على وحشي تأمله فدار وحشي وجهه عنه، فقال له رسول الله:" إن استطعت أن تغيب وجهك عني فافعل " البعض انتقد المصطفى على هذا ظنا منه أنه قد أسلم، الواقع لا حيث كان شأنه شأن الآخرين.

لما دخلوا الإسلام قال رئيسهم " كنانة أبن عبد ياليل " قال أفرأيت الزنا إننا نغترب ولا بد لنا منه " فتلا عليهم قوله تعالى:" ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا " قال:" أفرأيت الربا فإن أموالنا كلها منه. وتلا عليهم قوله تعالى: " يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين" وأقنعهم المصطفى ﷺ **بأن** الدين يؤخذ كله ولا يتجزأ، قالوا و الخمرة نحن نقتاتها أكثر من الحنطة فتلا عليهم قوله تعالى:" يأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون " وقالوا خمس صلوات في اليوم والليلة هذا أمر عسير علينا فلو أنك أنظرتنا قليلا حتى نتمرس عليها فقال ﷺ " لا خير في دين لا صلاة فيه " قالوا هذه اللات و العزى التي في الطائف لا تقترب منها فإن أهلها يفتتنون قال:" لا مادام الإسلام قد دخل قلوبكم ما ينبغي بقاء هذه الآلهة المزيفون " وقال لهم " سأكفيكم الأمر في هذا"

وهكذا عادوا إلى الطائف مؤمنين وقد حسن إسلامهم كأحسن طائفة من العرب دخلوا الإسلام. أرسل المصطفى ﷺ من ورائهم " خالد ابن الوليد " و" المغيرة ابن شعبة " و " سفيان ابن الحارث " من أجل أن يكسروا ويحطموا هذه الآلهة المزيفة. عندها خرجت نساء الطائف تعول وتولول أن آلهتهم تحطم. وهكذا دخلت الطائف الإسلام استجابة من الله لدعاء رسوله ﷺ.

(الدرس 57)

تتابع وفود العرب ودخولهم في دين الله

يقول علماء السيرة أن رسول الله لما افتتح مكة وفرغ من غزوة تبوك، وجاء وفد تقيف وعادوا إلى الطائف مسلمين مؤمنين وقد حسن إسلامهم، ضربت إلى رسول الله ﷺ وفود العرب من كل جهة وصوب مقبلين إلى الإسلام داخلين في دين الله عز وجل، ذلك لأن قبائل العرب كانت تنظر وتراقب، لما وجدت أن أقوى قبيلة وهي قريش قد دخلت في دين الله سبحانه وتعالى طوعا، وأن قبيلة تقيف قد تبعتها، وأن الله سبحانه وتعالى قد أكرم رسوله والمؤمنين بالنصر على الروم في غزوة تبوك وغيرها أدركوا أن رسول الله ﷺ لا يمكن أن يقف في وجه نصر الله له أحد، ودخل الإيمان قلوبهم، بعد أن كان دخل عقولهم، لكن الكبر كان قد حال بينهم وين الاعتراف بما آمنت به

عقولهم. وهكذا أقبلوا من كل حدب وصوب، من نجد وأطرافها ومن اليمن أقبلوا يدخلون في دين الله أفواجا وكان هذا مصداق قول الله عز وجل:" إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا " علماء السيرة ذكروا قائمة طويلة لهذه الوفود التي جاءت تثرى من شتى جهات العرب مؤمنين مسلمين.

﴿تحليل المشهد﴾

ينبغي أن نتذكر ذلك اليوم الذي ذهب فيه رسول الله إلى الطائف مشيا على الأقدام عبر الوديان والشعوب والمسافة بين مكة والطائف ثمانين كيلو، واستقبل هناك بنقيض ما كان يتأمله، استقبل بالهزأ والسخرية والطرد. ها هم الذين طردوه وأدوه، يفيدون إلى رسول الله مؤمنين مسلمين عن طواعية. يومها كان مع رسول الله " زيد ابن حارثة " الذي قال لرسول الله:"كيف ندخل الآن مكة وقد بلغهم خروجنا إلى الطائف ؟" فقال له رسول الله:" يا زيد إن الله جاعل لما ترى فرجا ومخرجا " ها هو ذا مصداق قول رسول الله حيث جاءته الوفود من قريش ومن هنا وهناك، ونجد أن الرسول لم يضمر شيئا في نفسه لهؤلاء على الرغم من كل ذلك الإيذاء، ولما حاصر الرسول الطائف بعد غزوة حنين قرابة عشرين يوما، ولم يشأ الله أن يفتح على رسول الله آنذاك، وقتل عدد من الصحابة بالسهام وغيرها، عندها قال أحد الصحابة أدعوا الله على تقيف، فرفع يديه قائلا:" اللهم اهدي تقيف واتيني بهم"هذا شأن رسول، شأن من يتحرك بوحي من الله.

الأحكام والعظات

- جواز إنزال المسلمين للمشركين في المساجد، حيث دل استقبال رسول الله لوفد تقيف الذين أقبلوا مشركين، وأعلنوا عن إسلامهم فيما بعد. وحواراتهم مع رسول الله تمت بالمسجد. وقال جمهور الفقهاء هذا جائز إذا

رجونا إسلامهم، ويظهر لنا ذلك من خلال تصرفاتهم. وهناك شروط أخرى لدخول المشرك المسجد

الأول: أن يؤذن له الدخول إلى المسجد من قبل المسلمين.

ثانيا أن لا يكون هؤلاء المشركون قد تم الاتفاق بينهم وبين المسلمين يوم عقد الذمة أن لا يدخلوا المسجد.

ثالثا أن يكون دخولهم لأمر لا يتناقض مع دين الله عز وجل.إذا كان الدخول من أجل الأكل والراحة، فإن الإمام النووي يرجح أن لا يمنعوا إلا إذا تسبب بدخولهم إيذاء للمسجد.

وتبث أن رسول الله استقبل وفدا من نصارى نجران بلغ عددهم ستين شخصا استقبلهم في مسجده بالمدينة المنورة. وبالنسبة لدخول المرأة المشركة ينبغي عليها أن تحترم صاحب هذا البيت بالستر.

- ضرورة حسن معاملة الوفود والمستأمنين، والوفود هم جماعة ترسلهم دولتهم، أما المستأمن فهو الذي يأتي معبرا عن رغبته الشخصية ولا يكون ممثلا لغيره، وعندها ينبغي أن نستقبلهم استقبالا حسنا يعبر عن خلق المسلم اتجاه الآخرين نجد هذا في قوله تعالى:" وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون "

- من هو أحق الناس بالولاية عندما يريد رئيس الدولة أن يولي مسلما على بلدة ؟ أحق الناس بذلك أعلمهم بكتاب الله، وبسنة رسوله وأكثرهم تمسكا بهما، عرفنا ذلك من رسول الله عندما انتقى من وفد تقيف " عثمان ابن أبي العاص " وكان أصغرهم سنا، وكانوا يتخذونه خادما مراقبا لأمتعتهم، ولكن لما تبين لرسول الله شدة حرصه الاستماع منه ما قاله لأصحابه وهو يضحي بساعات راحته في سبيل أن يجلس لرسول الله، اختاره وليا لطائف، ووافقوا على ذلك.

- وجوب هدم الأوثان والأصنام كيفما كانت علاقة الناس بها، سواء كانت تعبد أم لا. حيث أرسل رسول الله إلى الطائف " خالد ابن الوليد " و" المغيرة ابن شعبة " و " سفيان ابن الحارث " من أجل أن يكسروا ويحطموا هذه الآلهة المزيفة التي كانوا يعبدونها.

وفد " عدي ابن حاتم " رضي الله عنه:

كان نصرانيا وهو ابن حاتم الجواد المشهور الذي كانت العرب تتحدث عن جوده شعرا ونثرا، وكان رجلا شريفا في قومه وذا أبهة ومكانة، وكان عدي يأخذ من قومه المرباع أي ربع ما تغنمه العرب في الحروب، لما سمع برسول الله ﷺ ودعوته، كره دعوته ورأى أن وجوده في المدينة سيزاحم مكانته ومجده وقيمته بين قومه، فرحل إلى بلاد الشام. وتحدث عدي عن نفسه وقال:" كرهت مكاني بالشام أشد من كرهي لرسول الله ﷺ فقلت في نفسي لو أتيته، فلو كان ملكا فلن يخفى علي، وإن كان نبيا أمنت به، وقال فخرجت حتى أتيت المدينة فأتيت مسجده فسلمت عليه، وقال لي:" من الرجل ؟" قلت: عدي ابن حاتم " فعمد بي رسول الله ﷺ إلى بيته قال

فاستوقفته امرأة عجوز ضعيفة فوقف لها طويلا، قلت في نفسي والله ما هذا بشأن ملك، ثم أدخلني داره، وهي عبارة عن أرض حفراء متربة فيها حشية من جلد محشوة ليف، فقذفها إلي وقال فاجلس عليها، قلت لا بل أنت فاجلس، فردها إلي وقال بل أنت، فجلست عليها وجلس رسول الله على التراب، قلت في نفسي والله هذا ما بشأن ملك. ثم قال رسول الله إيه يا عدي ؟ هل تعلم من إله سوى الله ؟ قلت لا والله. ثم قال هل تعلم أجل من الله ؟ قلت لا. قال: ألم تكن ركوسيا (عقيدة متطورة عن عقيدة النصرانية) قلت: بلى. قال: ألم تكن تسير في قومك بالمرباع، وهذا لم يكن جائزا في دينك أو دين غيرك. قلت: نعم. ثم قال: لعلك يا عدي إنما يمنعك من الدخول في هذا الدين ما ترى من حاجة أهله، أي الفقر. فو الله ليوشكن أن يفيض فيهم المال حتى لا يوجد من يأخذه. ولعله إنما يمنعك من دخول فيه ما ترى من كثرة عدوهم، وقلة عددهم فو الله ليوشكن أن تسير الظعينة أي المرأة من القادسية على بعيرها حتى تزور هذا البيت لا تخاف إلا الله، ولعلك إنما يمنعك من دخول في هذا الدين أنك ترى أن الملك والسلطان في غيرهم،وايم الله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت عليهم. قال: عدي فأسلمت. فقال: فرأيت اثنتين الظعينة لتسير من القادسية إلى مكة آمنة مطمئنة، وكنت في أول خيل أغارت على كنوز كسرى، وسوف تأتينا الثالثة.

﴿تحليل المشهد﴾

العبر والعضات

الشيء الذي جعلني أختار قصة وفد عدي عن غيره، هي قول بعض المتفلسفين أن التقديس يتنافى مع حرية الفكر، أي لا يجب أن يكون في الدين شيء اسمه تقديس المغيبات. ونقول نحن تقديس المسلم لحقائق الإسلام نتيجة رحلة للفكر الحر والبحث الحر، وكان التقديس نتيجة لهذه الحرية قبل أن يدخل الإسلام. وعدي ابن حاتم مارس حريته ومن خلالها بحث لعله ملك أو كاذب، فلما سار عبر هذه الرحلة مستعملا فكره وصل إلى الحقيقة عندها تقدس الحقيقة. والذي لا يبحث عن الحقيقة هو المقيد ضد الحرية، وحرم نفسه من حرية الفكر والنظر.

(الدرس 58)

إن حرية البحث والنظر مجسدة في شخصية " عدي ابن حاتم " لأنه قرر الذهاب إلى المدينة وهو في نيته إهمال عقله وفراسته لمعرفة شخص رسول الله، وأنه لن يخفى عليه أمره. عندها لاحظ عدة

مواقف من رسول الله منها وقوفه لامرأة عجوز يحدثها طويلا، ولاحظ عدي أيضا تواضع حجرة رسول الله وما فيها وسلوكه عليه الصلاة والسلام مع عدي، كلها دلائل أثبتت لعدي أنه رسول الله فعلا.

ومما قاله رسول الله لعدي فو الله ليوشكن أن يفيض فيهم المال حتى لا يوجد من يأخذه، وقال عدي وقد رأيت هذه حيث أنه في عصر عمر ابن عبد العزيز جمع مال الزكاة وأمر من يوزعها على المحتاجين، فعاد عماله بقدر كبير من المال لم يجدوا من يستحقه، فأمر بشراء أرقاء بهذه الأموال الفائضة وإعتاقها.

وقال له رسول الله أيضا فو الله ليوشكن أن تسير الظعينة أي المرأة من القادسية على بعيرها حتى تزور هذا البيت لا تخاف إلا الله، يقول عدي لقد رأيت ذلك أيضا. وكلها أدلة على نبوة المصطفى صلى الله عليه وسلم.

وهناك من استنبط مما قاله رسول الله من جواز سفر المرأة لوحدها، لكن هنا المصطفى يصف واقع سيقع ولا يتحدث عن مشروعية أمر أو عدمه. حيث أنه في موضع أخر قال:" لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الأخر أن تسافر إلا مع ذي محرم "

انتهى لقاء عدي برسول الله بإعلان إسلامه، وقد حسن إسلامه عقيدة وسلوكا رضي الله عنه.

﴿المشهد الثالث و الأربعين﴾

بعوث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الناس

لتعليمهم مبادئ الإسلام

أرسل رسول الله عدد كبير من أصحابه لتعليم الناس مبادئ الإسلام وخاصة إلى جنوب الجزيرة العربية.

مثلا أرسل " خالد ابن الوليد إلى نجران، وأرسل " علي رضي الله عنه " إلى جهة من جهات اليمن، وأرسل " أبا موسى الأشعري " و " معاد ابن جبل " أيضا إلى اليمن وكل في جهة معينة.

وورد في الصحيح فيما اتفق عليه الشيخان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعهما ووصاهما قائلا:" يسرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا وتطاوعا أي تعاونا " ثم قال لمعاد:" إنك ستأتي قوما من أهل الكتاب، فإذا جئتهم فادعوهم أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، فإن أطاعوا لك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة، فإن هم أطاعوا لك، فأخبرهم أن الله تعالى قد فرض

عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم وإياك من كرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب " وخرج رسول الله يودع معاد وكان راكب الناقة ورسول الله تحت الراحلة يمشي، وأصر على ذلك ولما ودعه وأراد العودة قال له رسول الله ﷺ:" يا معاد إنك عسى أن لا تلقاني بعد عامي هذا أبدا، ولعلك إن عدت أن تمر بمسجدي هذا وقبري" فبكى سيدنا معاد لهذا الذي قاله رسول الله ﷺ، ولبث معاد في اليمن وجاءه نبأ وفاة رسول الله وهو هناك. ولما عاد نفذ ما قد أوصاه به رسول الله، فاتجه رأسا إلى مثوى رسول الله ﷺ.

﴿تحليل المشهد﴾

العبر والعضات :

1. نفهم من هذا المشهد أن تعريف الناس بالإسلام وإبلاغ رسالة الله سبحانه وتعالى إلى العالم فرض كفائي أناطه الله تعالى بأعناق المجموعة المسلمة التي ترفع المسؤولية عن البقية. وإذا لم يقع العدد الكافي لتبليغ رسالة الله فكل المسلمون أثم، ونجد هذا في قوله تعالى:" ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون " ولتكن دليل على الواجب وأنه فرض كفائي مع توفر العدد الكافي. لكن مع الأسف هذا العصر اشتدت فيه حاجة الناس للإسلام، والمسلمون متقاعسون عن أداء واجب التبليغ رغم أن أدوات التبليغ هي من أسهل ما يكون اليوم عنها في ما مضى. (والشيخ دعا إلى قناة فضائية بمختلف اللغات لتبليغ الناس دين الله تعالى، لكن لا من مجيب نسأل الله تعالى العفو والعافية)

2. حديث الإمام أحمد عن حديث رسول الله لمعاد وكيف أوصاه وقال له:" يا معاذ لعلك أن لا تلقاني بعد عامي هذا أبدا، ولعلك إن عدت أن تمر بمسجدي هذا وقبري" جملة تدل على أن الرسول رجا من معاد أن يزور قبره، هنا دليل على أن المصطفى يريد أن نزوره ونسلم عليه، وهو مشتاق إلينا بقوله:" وددت لو أني رأيت إخواني " وزيارة قبر رسول الله كان من شأن الصحابة والسلف الصالح، وهذا هو منطق الحب لرسول الله ﷺ.

(الدرس 59)

3. إن واجب الدعوة إلى الله يخص الذكور والإناث، وقد يقال أن رسول الله بعث الرجال ولم يكن معهم النساء، العلماء قالوا أن الفارق بين الذكورة والأنوثة في مجال الدعوة ساقط الاعتبار وهو

ما يسمى بتنقيح المناط،مع شروط لابد منها، وأيضا ما يخص العروبة والعجم ساقط الاعتبار، أيضا فارق الزمن ساقط عن الاعتبار.

4. أن الرسول ﷺ لما بعث معاد وأبا موسى الأشعري نصحهما على التعاون و التطاوع وما إلى ذلك مما ذكرناه، فهمنا من هذا أن النبي عليه الصلاة والسلام علمنا أن الدعوة إلى الله تكون بتدريج، والدعوة أولا تكون إلى العقيدة، وإن استجابوا ننتقل إلى السلوك بدءا بأهم العبادات وهي الصلاة فالزكاة وهكذا. ونلاحظ بالنسبة لوفد تقيف منع عنهم التدريج في تطبيق الأحكام، الفرق بين الحالتين هو التالي أن وفد تقيف ظلوا يسألون و يستشكلون والرسول يجيبهم إلى أن دخل الإسلام قلوبهم وأعلنوا الإسلام، ومادامو كذلك عليهم أن يلتزموا جميع أوامر الإسلام ، أما عن الذين تحدث عنهم لمعاد يقول أنهم أناس غير مسلمين تدعوهم بتدريج.

﴿المشهد الرابع و الأربعين﴾

حجة الوداع

روى البخاري في صحيحه من حديث جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ مكث في المدينة تسع سنين ولم يحج، في السنة العاشرة أعلن المصطفى ﷺ أنه حاج في ذلك العام، فتسامع الناس ذلك وأخبروا بعضهم بعضا، فقدم المدينة خلق كثير، كلهم يريدون أن يأتموا برسول الله ﷺ في حجه هذا، والكثير منهم يريد أن ينتهزها فرصة للقاء رسول الله لمجيئهم من أماكن بعيدة. خرج رسول الله من المدينة بخمس ليالي بقينا من ذي القعدة، متجه إلى مكة، يقول جابر فلما استوت به ناقته صلى الله عليه وسلم في البيداء نظرت بمد بصري بين يدي رسول الله من راكب وماش، وعن يمين رسول الله نظرت فوجدت مد بصري من راكب وماش، ونظرت إلى يساره فوجدت أيضا على مد بصري أناس وهكذا من خلفه، ورسول الله بين ظهرانينا ينزل عليه القرءان.

أهل المدينة كلهم يرون أن رسول الله أهل بالحج مفردا، وهذا هو الأفضل عند السادة الشافعية وجماهير من الفقهاء، ويرى غيرهم أن رسول الله قارن الحج بالعمرة، ويرى آخرون أن رسول الله تمتع.

دخل صلى الله عليه وسلم مكة من أعلاها، ولما وصل إلى باب بني شيبة وقف ودعا بهذا الدعاء: " اللهم زد هذا البيت تشريفا وتعظيما ومهابة وتكريما، وزد من عظمه ممن حجه و اعتمره تشريفا وتكريما ومهابة وتعظيما وبرا " ثم دخل، ومر رسول الله بمناسك حجه وفي كل مرة يعلم الناس النسك الذي هم بصدده، والذي يليه وهكذا. في يوم عرفة ألقى رسول الله خطبته

الجامعة في جموع الناس الذين احتشدوا من حوله، ولم نجد من استطاع أن يحصي هذا العدد، لأنها كانت أعداد هائلة وكبيرة جدا. بعد أن حمد الله تعالى وأثنى عليه قال:

" أيها الناس اسمعوا قولي فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبدا.

أيها الناس إن دماؤكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا.

وإن كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدماي موضوع، ودماء الجاهلية موضوع، وإن أول دماء أضع من دمائنا دم " ابن ربيعة ابن الحارث "، وربا الجاهلية موضوع، وأول ربا أضع ربا " العباس ابن عبد المطلب"

أيها الناس إن الشيطان قد يئس من أن يعبد بأرضكم هذه أبدا، ولكنه وإن يطع فيما سوى ذلك فقد رضي به مما تحقرون من أعمالكم، فاحذروه على دينكم.

أيها الناس إن النسيئة زيادة في الكفر يظل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليطئوا عدة ما حرم الله، فيحلوا ما حرم الله، ويحرموا ما أحل الله. وإن الزمن قد استدار بهيئته يوم خلق الله السموات والأرض

السنة اثنا عشرة شهرا منها أربعة حرم ذو القعدة وذو الحجة ومحرم ورجب الذي بين جمادى وشعبان.

اتقوا الله في النساء فإنكم إنما أخذتموهن بأمان الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، إن لكم عليهن حقا، ولهن عليكم حقا. لكم عليهن أن لا يطأن فرشكم أحد تكرهونه أي الدار، فإن فعلن ذلك فاضربهن ضربا غير مبرح ولهن عليكم كسوتهن ورزقهن بالمعروف. فاعقلوا أيها الناس قولي وإني قد بلغت.

وإني قد تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تظلوا بعدي كتاب الله وسنة رسوله.

يا أيها الناس اسمعوا وأطيعوا وإن أمر عليكم عبد حبشي، ما أقام فيكم كتاب الله تعالى.

أرقاء كم أرقاء كم أطعموهم مما تأكلون واكسوهم مما تلبسون، وإن جاءوا بذنب لا تريدون أن تغفروه فبيعوا عباد الله ولا تعذبوهم .

أيها الناس اسمعوا قولي و أعقلوه تعلمن أن كل مسلم أخ للمسلم، وأن المسلمين إخوة، فلا يحل لإمرء من أخيه إلا ما أعطاه من طيب نفس منه فلا تظلمن أنفسكم.

10.اللهم هل بلغت وستلقون ربكم فلا ترجعوا بعدي ظلالا يضرب بعضكم رقاب بعض، ألا ليبلغ الشاهد الغائب فلعل بعض ممن يبلغه يكون أوعى من بعض ممن سمعه . فأنتم تسألون عني فماذا تقولون ؟ فصاح الجميع نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت. فابتسم رسول الله وفاض وجهه سرورا. وأخذ يشير بأصبعه إلى السماء وينكثها إلى الأرض ويقول:" اللهم اشهد اللهم اشهد اللهم اشهد.

وبقي في عرفة إلى أن غابت الشمس، ثم ذهب إلى المزدلفة والناس معه وينادي السكينة السكينَة، عندما وصل صلى المغرب والعشاء تأخيرا، وبات بالمزدلفة ثم توجه إلى منا فرمى جمرة العقبة بسبع حصيات ويكبر مع كل حصاة، ثم انصرف إلى المكان الذي نحر فيه بدنه، فنحر بيده الشريفة ثلاث وستين بدنا، ووكل علي بذبح بقية المائة، ثم اتجه رسول الله إلى مكة وصلى هنالك الظهر ثم طاف بالبيت طواف الإفاضة وأتى بني المطلب وهم ينزحون يسقون زمزم، وجاءهم المصطفى قائلا لهم:" انزعوا بني عبد المطلب يعني انزحوا من ماء زمزم فلولا أن يغلبكم الناس على سقايتكم لنزعت معكم " يعني خاف المصطفى إذا نزح معهم الناس كلهم ويغالبوا بني عبد المطلب التي جعلت لهم. فناولوه دلوا فشرب منه صلى الله عليه وسلم. وبعد أن أنهى مناسكه عاد أدراجه إلى المدينة المنورة.

﴿تحليل المشهد﴾

1. يروي الترمذي وابن ماجة أن النبي ﷺ حج ثلاث حجات قبل هجرته إلى المدينة المنورة:

الحجة الأولى أنه كان هناك من يأتي إلى الموسم والنبي ينتهز مجيء الوافدين من شتى القبائل ليسير بينهم داعيا إلى الله عز وجل، ومن جملة من جاء الأوس والخزرج وتعرف عليهم.

ـ ثم عادوا إليه في العام الموالي في موسم الحج كانت بيعة العقبة الأولى كذلك حج رسول الله، ثم وفدوا إليه في السنة الثالثة كانت بيعة العقبة الثانية، وهي الحجة الثالثة.

عند جمهور العلماء أن الحج لم يوجب ولم يفرض إلا في العام العاشر من هجرة المصطفى ﷺ ومن أهم الأدلة على ذلك ما رواه الشيخان بالحوار الذي جرى بين رسول الله ﷺ ووفد عبد القيس وقالوا لرسول الله بماذا تأمرنا يا رسول الله فقال لهم المصطفى ﷺ:" أمركم بأربع وأنهاكم عن أربع، أمركم بالإيمان بالله عز وجل إقام الصلاة إيتاء الزكاة صوم رمضان" ما ذكر الحج وهذا الوفد جاء قبل العام العاشر من الهجرة.

2. ماهو المعنى الكبير الذي ينبغي أن نقف عنده في حج المصطفى ﷺ، ولماذا أعلن في الناس أنه حاج إلى بيت الله الحرام ؟ النبي عليه الصلاة والسلام أكرمه الله عز وجل آنذاك بالفتح الذي عبر البارئ عنه بقوله:" إذا جاء نصر الله والفتح.... " وعلم المصطفى من هذا الذي خاطبه الله به أن مهمته انتهت، وأنه يوشك أن يلحق إلى الرفيق الأعلى. فأراد المصطفى ﷺ أن يجعل من حجه هذا مثابة لعدة أمور

أولا للقاء هؤلاء الذين دخلوا الإسلام حديثا، ولم يتمتعوا من رؤية رسول الله ﷺ بعد.

ثانيا ضرورة تعلمهم مناسك الحج بطريقة عملية، لما فيها من تعقيد، تبدأ وتنتهي بعد أيام.

ثالثا النبي عليه الصلاة والسلام عما قريب سيرحل، وهؤلاء الذين دخلوا الإسلام حديثا بحاجة أن يستوعبوا كليات الإسلام،إذا فينبغي أن يسمعوا منه كلمة جامعة يتبينون بها الإسلام الذي شرفهم الله عز وجل به عقيدة وسلوكا.

رابعا أراد المصطفى ﷺ أن يودعهم في هذا اللقاء،وشاء أن يستخرج منهم شهادة أنه قد أدى الأمانة التي طلبت منه.

دراسة بنود الخطاب

الرسول ﷺ كان يخاطب من أمامه والأجيال الآتية في أشخاصهم.

وافتتح رسول الله خطابه بقوله أيها الناس إن دماؤكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا. وكأن البارئ عز وجل كشف له عن سجاف الغيب، وأعلمه ربنا سبحانه وتعالى أن الانحراف الذي ستقع فيه أمته بعد الهداية إلى الإسلام إنما يتمثل في الهرج الذي سيكون وفي الفتن التي ستشتد، وفي القتل الذي سيستحر بين المسلمين أنفسهم. ولهذا افتتح رسول الله خطابه بهذا الأمر الخطير جدا، وختم به خطابه أيضا بقوله أيها الناس اسمعوا قولي و أعقلوه تعلمن أن كل مسلم أخ للمسلم، وأن المسلمين إخوة، فلا يحل لإمرء من أخيه إلا ما أعطاه من طيب نفس منه فلا تظلمن أنفسكم.

(الدرس 60)

1. البند الثاني هو وإن كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدماي موضوع، ودماء الجاهلية موضوع، وإن أول دماء أضع من دمائنا دم " ابن ربيعة ابن الحارث "، وربا الجاهلية موضوع، وأول ربا أضع ربا " العباس ابن عبد المطلب" وقد عطف العام على الخاص وهو الربا لخطورته، وكلها أمور

أصبحت رجسا ودفينا نتنا تحت قدميه، والرسول قال هذا لكي لا يقول قائل عندما ينبش هذا الدفين من الاهتمام بالقومية والعرق أنه يتقدم صعدا،النبي ﷺ أسكته وأغلق عليه هذا الباب بتعبير رسول الله تحت قدماي موضوع. والقومية انتماء نعتز به دون أن يبعدنا عن محبة الأخر واحترام انتمائه. والعقيدة شيء والقومية شيء آخر.

2. النبي أعلن أن الزمن قد استدار في ذلك العام والشهر كما لو كان يوم خلق الله تعالى السموات والأرض، حيث كان من عادة العرب في الجاهلية التلاعب بالأشهر الحرم، حيث إذا احتدم الجدال بين قبيلتين وتحول إلى خصام وحرب، والمشكلة أن الشهر شهر حرم، يتفقوا على تأخير ذلك الشهر وسمى الله هذا العمل بالنسيئة، ولا يجوز بعد هذا التلاعب بالأشهر بالزيادة أو نقصان.

3. أوصى رسول الله خيرا بالنساء كما جاء في البند، وهذا لأهمية موضوع المرأة والرسول يتحدث عن كليات الإسلام، ولذلك سبب،وهو أن المرأة في الجاهلية كانت مهدرة الحقوق، لهذا الرسول أراد أن يبين لناس أن الرجل والمرأة متساوون في الحقوق والواجبات. وأكرمهم عند الله أتقاهم. والشريعة الإسلامية هي التي كرمت المرأة وجعلت لها مكانة.

(الدرس 61)

4. وضع الرسول الناس جميعا أمام مصدرين اثنين هما كتاب الله القرءان وسنة المصطفى ﷺ بقوله وإني قد تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تظلوا بعدي كتاب الله وسنة رسوله. فإن هم تمسكوا بهذين المصدرين ضمن الله تعالى لهم سعادة الدنيا والآخرة. الحكم الذي ينبغي أن يلجأ إليه المسلمون في كل وقت هو الصادر من كتاب الله عز وجل وسنة رسوله، وفهم نصوص القرءان والسنة يرجع إلى ضرورة فهم قواعد اللغة العربية وقواعد تفسير النصوص أي علم أصول الفقه، إن لم تتوفر لدينا هذه الملكة نرجع إلى الأئمة الذين شهدت لهم الأمة بالعلم والاستقامة والصدق مع الله والإخلاص لدين الله عز وجل، وعلى رأسهم الأئمة الأربعة. وهناك أناس لا يبتغون من كتاب الله وسنة رسوله مرجعا تحت اسم العولمة والتحضر، وآخرون تحت اسم التصوف والطرقية وإرشاد وتوجيه المريدين والمريدات إلى سبحانه وتعالى وهم الأخطر، فإن أي شرود عن كتاب الله وسنة رسوله تحت أي اسم دليل الكذب على الله وعدم الإخلاص له.

5. بالنسبة لطاعة الحاكم فقهاؤنا سألوا هل يجوز الخروج على الحاكم الفاسق أي المرتكب الموبقات مع عدم إعلان كفره ؟ ينقل الإمام النووي في شرحه على صحيح مسلم بالإجماع على أنه لا يجوز الخروج عليه. وعلينا أن نأمره بطاعة الله وننهاه، ونحذره من ارتكاب الموبقات بالحكمة، ونكرر ذلك، لكن الخروج عليه لا لأن ذلك يسبب فتنة بشَّرٍ من المعصية التي نريد أن نخلص المجتمع منها. ومن جاء بخلاف ما قاله النووي وهي الإجماع، فإن ما قاله مرفوض.و"العز ابن عبد السلام" في كتابه " قواعد الأحكام " أيضا ذكر ذلك.

هناك من يسأل عن الحاكم الظالم قائلا ألا يكون ظلمه سببا مبيحا للخروج عليه ؟ أجاب المصطفى صلى الله عليه وسلم عن ذلك في الحديث الذي يرويه عبد الله ابن عمر " فيما اتفق عليه الشيخان أن النبي ﷺ قال:" أدركنا ذلك ستكون بعدي أثرة وستكون أمور تنكرونها "(**أي معاصي لا عهد لكم بها**) فسأل ابن عمر فكيف نصنع ؟ قال:"أعطوهم ما عليكم وسلوا الله سبحانه وتعالى ما لكم " لماذا ؟ لأن ظلم ولي الأمر يسجل عليه معصية، لكن خضوعك لهذا الظلم لا يسجل عليك معصية، بالعكس إذا صبرت يثيبك الله عز وجل. وحديث أخر يرويه مسلم وغيره من حديث حذيفة ابن اليمام أن النبي ﷺ قال: " سيكون بعدي أمراء تعرفون منهم وتنكرون، وسيكون فيكم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جسمان إنس، لا يستنون بسنتي، ولا يهتدون بهدايتي" فقال له حذيفة ماذا نصنع إذا أدركنا دلك ؟ قال: " تسمع وتطيع وإن ضرب ظهرك وإن أخذ مالك " وفي رواية زيادة على ذلك:

" إلا أن ترو كفرا بواحا لكم عليه من الله سلطان " في حالة أمر الحاكم لمعصية لا يطاع، وفي نفس الوقت لا تخرج عليه مادام مسلما ولا تملك حجة واضحة عن خروجه من دائرة الإسلام.

6. أراد المصطفى من خطبته تلك أن يسمع شهادة الحاضرين للخطبة أنه قد بلغ ما أمر به من رب العالمين، ويرحل إلى ربه بهذه الشهادة لذلك نظر إليهم قائلا:" وإنكم ستسألون عني فماذا أنتم قائلون ؟ " فصاحوا جميعا "نشهد أنك قد بلغت ونصحت وأديت الرسالة وأديت الأمانة ونصحت الأمة " هنا ظهرت الفرحة في عيني رسول الله ﷺ وشع نور من وجهه ورفع إصبعه إلى الأعلى وأخذ ينكتها إلى الأسفل يقول:" اللهم اشهد اللهم اشهد اللهم اشهد. وأكيد أن هذه اللحظة من أجمل اللحظات التي مر بها حبيبنا محمد ﷺ لحظة سمع فيها شهادة الآلاف المؤلفة وشهادة الأجيال كلها والتي سيمضون بها إلى ربهم يوم القيامة أنه قد أدى المهمة التي بعث بها إلى الناس.

﴿المشهد الخامس و الأربعين﴾

شكوى رسول الله ﷺ ولحاقه بالرفيق الأعلى

(الدرس 62)

بعث " أسامة ابن زيد " إلى البلقاء

عندما عاد رسول الله ﷺ إلى المدينة المنورة من حجة الوداع، بمجرد أن استقر في المدينة المنورة أمر المسلمين لتهيؤ لغزو الروم إلى المكان الذي قتل فيه "زيد ابن حارثة " رضي الله عنه، لما أرسل النبي ﷺ جيشا إلى مؤتة ، ولم يكن النبي معهم، قتل آنذاك "زيد ابن حارثة " في منطقة الكرك بالأردن الآن. والجيش الذي جهزه النبي جعله بقيادة" أسامة ابن زيد ابن حارثة " وكان شابا يافعا بين ثمانية عشرة والعشرين، وكان هذا مع بدأ شكوى رسول الله ﷺ. المنافقون ما إن سمعوا بهذا الجيش الذي أمر رسول الله عليه هذا الشاب، حتى أخذوا يثيرون القلائل ويقولون:" شاب حدث يؤمره على جلة الأنصار والمهاجرين " سمع النبي ﷺ بهذا الذي يقوله المنافقون في المجالس هنا وهناك ، فخرج رسول الله إلى الناس وقد عصب رأسه وكان بدأ مرضه الذي توفي فيه صداعا شديدا في رأسه، صعد المنبر وحمد الله وأثنى عليه : " إن تطعنوا في إمارة " أسامة ابن زيد " فقد طعنتم في إمارة أبيه من قبله وايم الله إن كان لا خليقا بها زيد وايم الله لأن كان من أحب الناس إلي، وايم الله إن هذا لها لا خليق، وايم الله إن كان من أحبهم إليَّ من بعده، فأصيكم به فإنه من صالحيكم " فعاد رسول الله إلى بيته. تجهز الناس وأوعب سيدنا أسامة الجيش وخرج إلى حوالي فرسخ خارج المدينة أي خمسة كيلومتر، ولكن الصحابة سمعوا بمرض رسول الله ﷺ فرأى أسامة أن يتأخروا وينتظروا إلى أن يطمئنوا إلى شفاء رسول الله ﷺ، في هذه الأثناء اشتد الوجع برسول الله ﷺ وتفاقم المرض الذي بدأ بصداع برأسه، ثم تحول إلى حمى. يروي الإمام أحمد وابن إسحاق وابن سعد وأبو داوود وابن ماجة عن أبو مويهبة وهو من خدم رسول الله ﷺ قال:" بعثني رسول الله من جوف الليل أي نادني فقال لي:" يا أبا مويهبة قد أمرت أن أستغفر لأهل البقيع أي أمرني الله عز وجل أن أخرج و أدعوا لأهل البقيع فانطلق معي " فانطلقت معه، فلما وقفنا على أهل البقيع قال:" السلام عليكم يا أهل المقابر ليهنأ ما أصبحت فيما أصبح الناس فيه، أقبلت الفتن مثل قطع الليل المظلم، يتبع أخرها أولاها، والآخرة شر من الأولى" يقول أبو مويهبة ثم أقبل

إلي فقال:" إني قد أعطيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها، فخيرت بين ذلك وبين لقاء ربي والجنة " فقلت له:" بأبي وأمي أنت فاختر مفاتيح الدنيا وتخلد فيها ثم الجنة " قال:" لا والله يا أبا مويهبة قد اخترت لقاء ربي والجنة" ثم استغفر لأهل البقيع، فعاد إلى داره واشتد وجعه "

الإمام مالك يروي في موطئه:" أن النبي خرج وسلم على أهل البقيع وقال:" وددت لو أني رأيت إخواننا ؟ قالوا: ألسنا إخوانك ؟ قال بل أنتم أصحابي....إلى آخر الحديث " وهذا كان قبل الأخر.

عن مرض رسول الله روت عائشة رضي الله عنها" أنه ﷺ لما رجع من البقيع استقبلته وهي تقول وآآآ رأساه، تشكوا من وجع في رأسها، فقال لها رسول الله ﷺ بل أنا يا عائشة وآ رأساه، ثم اشتد عليه الوجع وتحول وجع الرأس إلى حمى شديدة ، كانت تنتابه بين الحين والأخر.

كان بدأ وجعه صلى الله عليه وسلم في أواخر شهر صفر من السنة الحادية عشرة من هجرته صلى الله عليه وسلم، وقد صح أن السيدة عائشة رضي الله عنها كانت ترقيه بمعودات من القرءان، روى ذلك البخاري ومسلم عن عروة عن عائشة رضي الله عنها أنها أخبرته أن رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى نفث على نفسه بالمعودات، أي يفتح كفيه ويقرأ وينفخ فيهما بدون ريق ثم مسح جسمه بكفيه. تقول السيدة عائشة ولما اشتد به المرض أخذت أرقيه بما كان يرقي به نفسه من المعودتين وآيات أخرى حيث كنت أفتح يديه وأقرأ ثم أنفخ فيهما وأمسح بهما جسده. وشعرت نساؤه أنه صلى الله عليه وسلم كان يفضل أن يمرض ببيت عائشة، ووافقن على ذلك، فخرج من عند ميمونة متكئا على " الفضل ابن عباس " و " علي رضي الله عنهما " وقد اشتد به المرض إلى بيت السيدة عائشة. وهناك اشتد القلق بأصحاب رسول الله، فأحب المصطفى أن يخرج إليهم ويلقاهم ويحدثهم ويطمئنهم، لكن الحمى شديدة كانت، فقال لنسائه:" أهريقوا علي من سبع قرب لم تحلل أوكيتهن لعلي أعهد إلى الناس (أي أخرج إليهم لأكلمهم). وتقول عائشة أجلسناه في مخضب أي وعاء كبير وأخذن يرقن عليه من هذا الماء من سبع قرب إلى أن أشار عليهن أي يكفي. ثم خرج النبي ﷺ إلى الناس معصبا رأسه وجلس على المنبر وحمد الله ثم أثنى عليه ثم قال:" عبد خيره الله بين أن يؤتيه زهرة الدنيا وبين ما عنده، فاختار ما عنده " فبكى أبا بكر رضي الله عنه علم ما يقصده رسول الله، وناداه قائلا:" فديناك بآبائنا وأمهاتنا" فقال عليه الصلاة والسلام:" على رسلك يا أبا بكر، أيها الناس إن أمن الناس عليَّ في ماله وصحبته أبو بكر ولو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا، ولكن أخوة الإسلام لا تبقين في المسجد خوخة إلا خوخة أبي بكر (أي

الباب) وإني فرط لكم (أي أسبقكم لأستقبلكم) وأنا شهيد عليكم وإني والله ما أخاف أن تشركوا من بعدي، ولكني أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوا فيه " ثم عاد رسول الله إلى بيته، واشتد عليه الوجع واشتدت الحمى مع الصداع. روت عائشة رضي الله عنها قالت:" قال لي رسول الله ﷺ ادعي لي أباك وأخاك حتى أكتب كتابا فإني أخاف أن يتمنى متمن ويقول قائل أنا أولى، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر"

وروى ابن عباس رضي الله عنه قال:" لما اشتد برسول الله ﷺ المرض قال لرجال كانوا في البيت هلموا أكتب لكم كتابا لا تظلوا بعده " فقال بعضهم وهم جلوس عند رسول الله:" إن رسول الله ﷺ قد غلبه الوجع وعندكم القرءان وحسبنا كتاب الله، فاختلف أهل البيت واختصموا ، بعضهم يقول لا بل كلفنا أن نكتب كتابا وأخر يقول لا نكلفه شططا، ولما كثر اللغط قال لهم رسول الله قوموا.

ولم يعد رسول الله يطيق الخروج إلى الصلاة فقال لعائشة رضي الله عنها:" مروا أبا بكر فليصلي بالناس " فقالت يا رسول الله إن أبي رجل أسيف أي رقيق القلب وإنه إذا قام مقامك لم يكد يسمع الناس من بكائه " فقال عليه الصلاة والسلام:" إنكن صواحبات يوسف أقول مروا أبا بكر فليصلي بالناس " وكان أبا بكر مند ذلك الوقت هو يصلي إماما بالناس. وخرج رسول الله خلال تلك الفترة مرة وقد شعر بخفة، فوجد أبا بكر يصلي، فاستأخر أبا بكر أي أراد التأخر، لكن النبي ﷺ أشار إليه أن ابق في مكانك، فصلى رسول الله جالسا إلى جانب أبا بكر، وكان أبا بكر يصلي لصلاة رسول الله والناس يصلون بصلاة أبا بكر. واستبشر الناس خيرا بخروجه ذاك، ولكن البرحاء اشتدت عليه، وكانت هذه أخر مرة يخرج فيها ﷺ إلى المسجد يصلي مع الناس. دخل في تلك الفترة سيدنا " عبد الله ابن مسعود " على رسول الله يعوده فمسا جسد رسول الله وإذا به يلتهب فقال يا رسول الله إنك لتوعك وعكا شديدا ؟ فقال عليه الصلاة والسلام:" أجل إني أوعك كما يوعك رجلان منكم " فقلت:" ذلك لأن لك أجرين ؟" فقال رسول الله ﷺ: " أجل ما من مسلم يصيبه أدى من مرض فما سواه إلا حط الله به سيئاته كما تحط الشجرة أوراقها " أي الآلام كفارة لسيئات .

وكان عليه الصلاة والسلام أثناء برحائه والشدة التي تنتابه يلقي خميصة عنه ثم يعيدها إيه ويقول:" لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد " يشير أن لا نفعل مثلهم.

ساعة وفاته: الله تعالى قال له:" إنك ميت وإنهم ميتون " قرار اتخذه الله تعالى على كل حي.

دخل فجر يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول على الناس في المسجد وهم يصلون الفجر ويؤمهم أبا بكر، وإذا بالستر الذي بين بيت السيدة عائشة والمسجد يرتفع، ويطل رسول الله من خلال تلك النافذة على المصلين وقد امتلأ بهم المسجد يضحك، ورأوه المصلين وفرحوا لرؤيته ظنوا أنه قد نشط من عقال، لكنه صلى الله عليه وسلم أشار إليهم أي تابعوا صلاتكم، ثم أرخى الستر، عاد رسول ﷺ فاضطجع إلى حجر عائشة، وأسندت عائشة رأسه إلى صدرها، وجعلت تتغشاه سكرة الموت. وتقول السيدة عائشة:" وكان بين يدي وعاء به ماء بارد، فجعل رسول الله ﷺ يدخل يده في الماء ويمسح وجهه ويقول " لا إله إلا الله إن للموت سكرات " وكانت فاطمة إلى جنبه تسمع كلامه فقالت:" وا كربا أباه " فقال لها عليه الصلاة والسلام:" ليس على أبوك كرب بعد اليوم " وتقول السيدة عائشة أن الله تعالى جمع في ذلك الوقت بين ريقي وريقه حيث دخل علي " عبد الرحمان" أخوها وبيده سواك وأنا مسندة رأسه إلى صدري فنظرته ينظر إليه أي السواك، فقلت أخذه لك فأشار برأسه نعم فكان قاس عليه، فقلت ألينه لك فأشار نعم، فلينته فأمره في فمه ﷺ وجعل يدخل يده بالماء ويمسح وجهه ويقول " لا إله إلا الله إن للموت سكرات " ثم نصب يده إلى الأعلى يقول اللهم بالرفيق الأعلى اللهم بالرفيق الأعلى حتى قبض وتوفي ﷺ. وانتشر خبر وفاته في الناس، بعدما ظنوا أنه قد تحسن عندما أطل عليهم. وأبا بكر كان في ضاحية المدينة فأقبل على عجل بعد سماعه الخبر، ودخل بيت عائشة رضي الله عنها ولم يكلم أحدا حتى وصل إلى رسول الله ﷺ وكان مغشا بثوب فكشف عن وجهه الثوب ثم أكب عليه فقبله وبكى ثم قال:" بأبي أنت وأمي لا يجمع الله عليك موتتين أما الموت التي كتبت عليك فقد انتهى " ثم خرج رضي الله عنه وإذا بعمر ابن الخطاب قد أخذه الحماسة ويخطب وينهى الناس أن يقولوا أن محمد ﷺ قد مات، وأخذ يؤكد عليهم أنه لن يموت حتى يجتث النفاق من المدينة المنورة، وتتطهر من المنافقين. لكن أبا بكر أشار إلى عمر أن يصمت، لكن لا يريد أن يصمت فتركه وتنحى جانبا وبدأ يتكلم، واتجه الناس إلى أبا بكر رضي الله عنه فقال لناس:" أيها الناس من كان منكم يعبد محمد فإن محمد قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حيٌّ لا يموت ثم تلا قوله تعالى:" وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ۚ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ

شَيْئًا ۗ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ" يقول عمر فما هو أن سمعت هذه الآية حتى علمت أن رسول الله قد مات فعقرت أي وقعت على الأرض.

أجمع الرواة وأهل العلم جميعا على أن النبي ﷺ عاش ثلاثة وستين عاما من العمر، قضى أربعين منها قبل البعثة وثلاثة وعشرين بعدها، ثلاثة عشرة عاما في مكة وعشرة أعوام في المدينة المنورة.

وعندما توفي ﷺ صح فيما يرويه البخاري وغيره أنه ما ترك أبيضا أو أصفر أي ما ترك دينارا ولا درهما ولا عبدا ولا أمة، إلا بغلته البيضاء وسلاحا وأرضا جعلها لإبن السبيل صدقة.

﴿تحليل المشهد﴾

لنقف إلى هذا الذي تحدى الله به عباده وجعله مظهر عبودية الإنسان لله أي كان، إنه الموت، لنتأمل إلى خطاب الله تعالى لمن هو أحب الخلق يقول له:" إنك ميت وإنهم ميتون " هذا القرار الذي قضى الله به عز وجل، إنه قرار عام وقوله:" قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملقيكم " وقوله:" كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة " وقوله:" أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة " مهما وصل الإنسان وأين وصل، وليخترع ما يشاء من المخترعات لن يخرج بذلك من أقطار دله وعبوديته لله تعالى، هذا ما تحدى الله به عباده.

إن أكبر مصيبة كانت للعالم كله هي وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

1. إن النبي ﷺ عندما بدأ مرضه الذي توفي فيه رأسا نصب ذلك الجيش الذي نصب فيه "أسامة ابن زيد "أميرا، وأمره أن يذهب إلى كرك حيث قتل والده " زيد ابن حارثة ". وكان أسامة شابا نعم هناك من هو أكبر منه وربما أقدر منه في فنون اللياقة والحروب وما إلى ذلك، إلا أن الرسول لم يبالي بالسن وإنما نظر إلى الحكمة التي اقتضت أن ينصب سيدنا "أسامة ابن زيد " دل ذلك على أنه لا مفاضلة في حكم الإسلام لا بسن ولا بلياقة ولا بشهرة ولا رتب، وإنما يتفاضل الناس بعضهم مع بعض بالعمل الصالح، وبإتقان المهمة التي وكلت إليه.

2. السيدة عائشة قالت أن رسول الله ﷺ كان يرقي نفسه بالمعودتين وبعض السور الأخرى ثم ينفث على يديه ويمسح بهما وجهه، وتقول في مرضه ﷺ أفعل له كذلك بيديه الشريفتين،

دل ذلك على أن الرقية مشروعة، وهي التي تكون بكتاب الله سبحانه وتعالى. وليست بطلاسم وكلمات نخترعها ونبتدعها وكان رسول الله يقول:" أعرضوا علي رقاكم " لكي يجيز أو يبطل الرقية التي تعرض عليه. وقد كانت هناك سرية لدغ زعيمهم فسألوا أليس فيكم من يرقي ؟ قالوا نعم فرقاه بسورة الفاتحة، فأعطوا لهم قطيع من الغنم، ولما وصلوا سألوا رسول الله فأجاز لهم تلك الرقية . والرسول يفعل كذلك نفس الشيء عند الذهاب إلى النوم.

(الدرس 63)

وتروي السيدة عائشة أنه كان إذا اشتكى منا أحد شيء أي مرض أو نحو ذلك أقبل إلى رسول الله ﷺ فمسحه بيمينه أي مكان الألم وقال:" أذهب البأس رب الناس وأشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك "

جمهور الفقهاء ومنهم الشافعية ذهبوا إلى أن لا مانع من أخذ أجرة من الرقية وأخذوا ذلك من حديث السرية التي مرت بقيلة لدغ زعيمها...

وعن موضوع السحر أنه ورد في صحيح البخاري ومسلم أن النبي ﷺ رقى نفسه من السحر فعفاه الله من عقابيل السحر. وخلاصة حديث سحر رسول الله أنه ﷺ شكا إلى السيدة عائشة وضعا في جسده فدعا ثم دعا فدعا فأوحى الله عز وجل إليه أن يذهب إلى بئر ذروان وأن ينزح ماءه أي يدفنها وعلم أن رجلا اسمه " لبيد ابن الأعصم "أنه أخذ مشطا ومشاطة أي شعرات وأخذ يعقد على أسنان هذا المشط ويتلوا ما يشاء من وسائل سحره وألقى ذلك في بئر ذروان، فأنبأ الله رسوله بذلك. وأوحى الله إلى رسوله أن يرقى نفسه بالمعوذتين فعفاه الله تعالى من عقابيل ذلك السحر، فأمر رسوله بسد ذلك البئر. وهذا مظهر من مظاهر عصمة الله تعالى لرسوله، وحكمة البارئ عز وجل أن يقدم هذا الرجل على هذا الفعل، وشكوى رسول الله منه من أجل أن يتساءل فيستبين الأمر فيأتيه الوحي، وأثبت الله عز وجل من خلال الحادثة عصمة رسول الله وأنه لم يتأثر بهذا السحر. ويقيننا أن الحديث صحيح، وأن ما روته السيدة عائشة لا يلحق أي نقيصة برسول الله،وهذا الذي انتاب جسده ليس له تأثير بالوحي أبدا. وإطلاع رسول الله بهذا الأمر دليل واضح على حماية البارئ برسوله ﷺ.

السحر مثل أي ضرر أخر لا يعمل عمله إلا بإذن الله تعالى وهذه هي حقيقة السحر.

3. فيما يتعلق بشخصية أبا بكر مررنا بعدة أمور أبرزت أن أبا بكر يمتاز بفضل لم يؤته كثير من الصحابة أول هذه الدلائل أنه لما خرج رسول اله معصبا رأسه، ليطمئن الناس على حاله، حمد الله وأثنى عليه ثم قال:" عبد خيره الله بين أن يختار زهرة الدنيا وما عنده فاختار ما عنده " فصاح أبا بكر فديناك بآبائنا وأمهاتنا. وقال عنه رسول الله إن من أمن الناس علي في ماله ونفسه أبا بكر ولو اتخذت خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا. وما رواه مسلم وغيره عن السيدة عائشة أن رسول الله طلب أباها وآخرين وقال:" فإني أخاف أن يتمنى متمن ويقول قائل أنا أولى، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر" كلها دلائل على المزية التي يمتاز بها أبا بكر، ودليل الثالث لما قال:" مروا أبا بكر فليصلي بالناس " وهذه الدلائل هي التي استند عليها أصحاب رسول الله رضوان الله عليهم في سقيفة بني ساعده عند وفاة رسول الله، واختيارهم أبا بكر خليفة لرسول الله ﷺ. وهذا لا يغظ عن مزايا بقية الصحابة وخاصة سيدنا علي رضي الله عنه وغيره.

4. النهي عن اتخاذ القبور مساجد حيث رأينا رسول الله يقول أثناء مرضه":" لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد "استنبط العلماء عدة أحكام من هذا الكلام وهي:

عدم اتخاذ القبور مساجد . إذا كانت الأرض موقوفة مقبرة فلا يجوز استعمالها لشيء أخر . لا يجوز دفن أي كان في المسجد مهما كانت مكانته.

5. إن الصحابة صباح يوم الاثنين أثناء صلاتهم الفجر، رفع رسول الله الستر بين حجرته والمسجد وأطل على جموع المصلين يبتسم، ووقعت أعين الصحابة على وجه رسول الله ﷺ وكادوا يفتنون في صلاتهم، وظنوا أن رسول الله قد شفي من مرضه، لكن تبين أن الأمر ليس كذلك. وعلم رسول الله أنه راحل إلى ربه أعلمه الله تعالى، فأراد أن يتخذ لنفسه زاد يخفف عنه سكرات الموت، وهو منظر الصحابة وهم يصلون خلف أبا بكر، وهي أخر لوحة رحل بها إلى ربه. نفهم من هذا أهمية الصلاة والتي هي دعامة الدين وعماده، وهي التي تتكفل بمحو ذنوبنا، وهي التي توفقنا إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهي التي ترقق قلوبنا، وهي مظهر عبودية الإنسان لربه،وهي غذاء العبودية.

6.

(الدرس 64)

﴿المشهد السادس و الأربعين﴾

في بعض صفاته ﷺ وفضل زيارة مسجده وقبره

بعد وفاة رسول الله ﷺ كفن في ثلاثة أثواب ليس بنها عباءة أو عمامة لرأس وهذا هو المسنون وبعد أن غسل وكفن، دخل الناس إليه جماعات بعد جماعة لصلاة عليه دون إمام، أول من دخل العباس عم النبي ﷺ ثم بنوا هاشم ثم المهاجرون ثم الأنصار، ودفن ﷺ في المكان الذي توفي فيه أي حجرة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها. توفي الرسول وعمره ثلاث وستون عاما عن تسع نساء، ورزق ثلاث أولاد ذكور وهم القاسم وعبد الله وإبراهيم وكلهم رحلوا صغار، وله أربع بنات زينب وفاطمة ورقية وأم كلثوم حيث أن رقية وكلثوم زوجتا سيدنا عثمان ولما توفيت الثانية قال له رسول الله والله لو كانت عندنا الثالثة لزوجناكاها، وهذا لمقام سيدنا عثمان عند رسول الله.

وقد لخص لنا سيدنا علي شمائل النبي عليه الصلاة والسلام وهي قوله:

" كان صلى الله عليه وسلم أجود الناس، وكان أجود ما يكون في شهر رمضان، وكان أحسنهم خلقا وخُلُقا، وألينهم كفا، وأطيبهم ريحا، وأحسنهم عشرة، وأشدهم لله خشية، لا يغضب لنفسه، ولا ينتقم لها، وإنما يغضب إذا انتهكت حرمات الله، فلا يقوم عندئذ لغضبه شيء حتى ينتصر للحق، وكان خلقه القرءان، وكان أكثر الناس تواضعا، يقضي حاجة أهله، ويخفض جناحه للضعفة، وكان من أشد الناس حياء، وما عاب طعام قط، إن اشتهاه أكله وإلا تركه، ولا يأكل متكئا ولا على خوان، وكان يحب الحلواء والعسل ويعجبه الدباء (اليقطين)، وكان يأتي الشهر والشهران لا يوقد في بيته النار لطعام، وكان يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة، وكان يخصف النعل، ويرقع الثوب،ويعود المريض، ويجيب من دعاه من غني أو فقير، كان فراشه من أدم أي جلد حشوه ليف، وكان متقللاً من أمتعة الدنيا كلها، وقد أعطاه الله مفاتيح خزائن الأرض كلها، فأبى أن يأخذها، واختار الآخرة عليها، وكان كثير الذكر دائم الفكر، جل ضحكه تبسم، وكان يمزح ولا يقول إلا حقا، وكان يتألف أصحابه ويكرم كريم كل قوم ويوليه أمورهم. وثبت في الصحيح عن أنس ابن مالك رضي الله عنه وهو خادم رسول الله أنه قال:" ما مسست ديباجا ولا حريرا ألين من كف رسول الله ﷺ ولا شممت رائحة قط أطيب من رائحته، ولقد خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فما قال لي قط أف ولا قال لي شيء فعلته لما فعلته ولا لشيء لم أفعله ألا فعلت كذا، كان يكثر من قوله قضاء الله خير قضاء الله خير "

وعلينا نحن أن نخذ من هذه الصفات التي نتذكرها ونتذاكرها بديلا عن عدم رؤيتنا للحبيب المصطفى ﷺ إلى أن يجمعنا الله به على أحسن حال يوم القيامة.

حكم زيارة مسجد رسول الله وقبره:

أجمعت الأمة على أن زيارة مسجد رسول الله وقبره من أعظم القربات وأجلها، والمسألة التي تم فيها الإجماع لا يجوز أن يقع فيها خلاف، وقيمة الإجماع أنه أغلق باب الاجتهاد في هذا الموضوع.

وفي هذا الموضوع فإن ابن تيمية رحمه الله خالف في هذا وأتى المخالفين من بعده تبعا له فذهب إلى أن زيارة مسجد رسول الله مشروط وكان رأيه أن الإنسان يذهب من بيته إلى المدينة المنورة قاصدا المسجد وإذا دخل المسجد يسلم على رسول الله ﷺ.

إلى أن العلماء أجمعوا على أن زيارة قبر رسول الله من أجل الأعمال ودليل الإجماع وهي

1. مشروعية زيارة القبور، ونعلم أن رسول الله كل يوم سبت يزور البقيع ويسلم على أهله، وهذا تابت في الصحيح، وقبر رسول الله قبر من القبور.

2. ما تبت من إجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم على زيارة قبره ﷺ والسلام عليه كلما مروا بالروضة الشريفة.

3. والتابعين كلهم وحتى البعيد منهم يزورون قبر رسول الله ﷺ.

4. ما رواه أحمد أن النبي ﷺ **لما ودع معاذ** وقد أرسله إلى اليمن قال له: " لعلك لن تجدني بعد اليوم أبدا، ولعلك إن عدت أن تمر بمسجدي هذا وقبري " و"لعل" إذا دخلت على "إن" تتمحض لرجاء أي معناها أرجوا.

أما الدليل الذي تفرد به ابن تيمية رحمه الله، وهو مجتهد وفي نظرنا أخطأ وفي اجتهاده أجر إن شاء الله تعالى، ودليله قول المصطفى ﷺ في الحديث الصحيح:" لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى " وقال أن شد الرحال إلى مسجد النبي لا إلى قبره. ودليله الثاني قول المصطفى ﷺ:

" لعن الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد " وحديث أخر:" لا تجعلوا قبري عيدا "كلها أدلة استدل بها ابن تيمية على أن الإنسان إذا خرج من بيته يجعل نصب عينيه زيارة المسجد وليس القبر.

من خلال ما فهمه ابن تيمية من حديث رسول الله الأول أنه لا يجوز لنا أن نشد الرحال إلى أي مكان مهما كان إلا إلى المساجد الثلاثة. ولكن نقول أن فهمنا للحديث يكون ضمن مفتاح من

مفاتيح اللغة العربية وهي أن الاستثناء في الحديث مفرغ وهو الذي حذف المستثنى منه، وذكر الاستثناء. إذا في الحديث المستثنى منه هي مساجد العالم كلها، التي مستواها عند الله واحد إلا ثلاثة منها متميزة.إذا هنا نقول ما علاقة القبور والنبي يتحدث هنا عن المساجد. وعن الحديث الثاني في لعن رسول الله اتخاذهم القبور مساجد، هنا على المسلم أن لا يجعل القبر أمامه عند الصلاة، وإنما يتحرك حيث يكون القبر عن يمينه أو يساره. وهذا ليس له علاقة أبدا بزيارة القبور.ودليله الثالث يقصد النبي أن لا نجعل زيارة قبره في موسم من المواسم، أي أتركوا زيارة قبري في أي يوم شئتم. والمعنى الثاني لا تثيروا صخبا وضجيجا عند زيارة قبري.

أدابب زيارة قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ـ أعقد العزم أولا أن تزور مسجده، وثانيا قبره، ويسن أن تغتسل قبل الدخول إلى قبره الشريف، ثم تلبس أجمل ثيابك الأفضل البياض وتطيب، ثم تأتي المسجد وتدخل الروضة وتصلي ركعتين، ثم تتجه إلى مثوى رسول الله صلى الله عليه وسلم، تقف بأدب وتنظر إلى أسفل القبر غاضا طرفك، وتسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقول:" أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وأشهد يا رسول الله أنك قد بلغت رسالة ربك ونصحت لأمتك ودعوت إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وعبدت ربك حتى أتاك اليقين فجزاك الله عن أمتك خير ما جزي به نبي عن أمته " ثم بعد ذلك تذكر أسماء من طلب منك السلام عليه قائلا يقول فلان ابن فلان السلام عليك. ثم تتجه إلى مثوى سيدنا أبا بكر وتسلم عليه وتثني عليه، فا قبر سيدنا عمر رضي الله عنهما. ثم تجعل قبر النبي عن يسارك وتتجه إلى القبلة وتدعوا الله عز وجل. وأطل في الدعاء كما شئت بثناء على الله ثم تقول:" اللهم إنك قد قلت وقولك حق " ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما " وقد أتيتك يا ربي مستغفرا من ذنبي مستشفعا برسولك إليك، فأسألك يا ربي أن تجيب شفاعته لي وأن تكرمني بالصفح الجميل " وادعوا بعد ذلك بما تشاء من الأدعية لنفسك وأقاربك وسائر المسلمين. واستحضر في قلبك أنك في المدينة التي عاش فيها رسول الله عشر سنوات. وينبغي أن يسبق هذا كله توبة نصوح، ورد المظالم إلى أصحابها، عندها إن شاء الله دعاؤك مستجاب.

الرسول ﷺ متعه الله تعالى بحياة برزخية متميزة عن بقية الموتى ودليل على هذا قوله تعالى:" ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند رهم يرزقون " وهؤلاء أكيد ليسوا أفضل من رسول الله. ورسول الله هو سيد الشهداء.

هذا الذي يروى عن الإمام " أحمد الرفاعي" لما زار قبر رسول الله وسلم عليه ثم قال:" في حالة البعد روحي كنت أرسلها تقبل الأرض عني وهي نائلتي وهذه دولة.... فامدد يمينك لكي تحظ بها شفتي " قالوا أنه خرجت يد من داخل القبر وقبلها سيدنا أحمد الرفاعي "

(الدرس 65)

﴿المشهد السادس و الأربعين﴾

خلاصة عن الخلافة الراشدة

خلافة أبي بكر الصديق

بمجرد وفاة رسول الله اجتمع أعيان المسلمين في سقيفة بني ساعده، وتشاوروا في من ينبغي أن يخلف رسول الله ﷺ في قيادة المسلمين، بعد المذاكرة والمداولة واستعراض طائفة من المقترحات المختلفة، اجتمعت كلمتهم أخيرا على أن يكون أول خليفة بعد رسول الله ﷺ ذاك الذي استخلفه رسول الله في الصلاة في مكانه، وذاك الذي كان صديقه الأكبر وصاحبه كما قال الله تعالى في الغار. فبايعوا أبا بكر الصديق خليفة لرسول الله ﷺ كلهم وحتى سيدنا علي لم يكن له خلاف في هذا الأمر، فقط تأخرت بيعته ولم تعرف المدة مجاريا في ذلك زوجته فاطمة بنت رسول الله ظنا منها أن الرسول إن ترك شيئا فهو للورثة شأنه شأن المسلمين. لكن سيدنا أبا بكر أوضح لها كلام سيدنا رسول الله الصريح في ذلك. وكان سيدنا علي في موقف حرج، وانتظر ريثما تهدأ الحالة النفسية لسيدة فاطمة، وفيما بعد بايع سيدنا أبا بكر.

أهم الأعمال التي أنجزها سيدنا أبا بكر مدة خلافته سنتين وبضعة أشهر.

1. أول عمل قام به تجهيز جيش أسامة الذي أمر به رسول الله أن يتوجه إلى بلاد الشام حيث قتل " زيد ابن حارثة"هنالك أراء طرحت تقول أما أن قد انتشرت الردة في أطراف الجزيرة العربية ينبغي أن نتريث ولا نرسل هذا الجيش إلى بلا الشام، وربما كنا بحاجة إليه لأمر أهم. ولكن أبا بكر رضي الله عنه لم يبالي بهذه الآراء، وكانت حجته أن هذا الجيش جهزه رسول الله. خرج الصديق

رضي الله عنه يودع جيش أسامة، وكان أسامة راكبا وأبا بكر يمشي وبيده زمام راحلة أسامة رضي الله عنه، فأراد أسامة أن ينزل فقال له الصديق:" لا والله لا نزلت ولا ركبت " وأوصى سيدنا أبا بكر أسامة أن لا يخونوا ولا يغدروا ولا يغلوا ولا يمثلوا ولا يقتلوا طفلا أو إمرأة أو شيخا، وأن لا يحرقوا نخلا ولا يقطعوا شجرة ولا يذبحوا شاة ولا بعير إلا للأكل. وقال لهم: إذا مررتم بقوم تفرغوا للعبادة في الصوامع فدعوهم وما تفرغوا له.

ولما أراد سيدنا أبا بكر أن يعود قال لأسامة مستأذنا:" إن أذنت بعمر المقام عندي حتى أستعين برأيه على أمور المسلمين " فقال له أسامة:" الأمر أمرك.ثم انطلق أسامة، ويقول المؤرخون بالإجماع أنه ما مر بقبيلة انتشر فيها الارتداد إلا أرجعها، حيث كانت الرهبة تشيع على كل من مر بهم هذا الجيش، ولما وصل أسامة إلى المكان الذي أمر به رسول الله ﷺ، **قاتل جيش الرومان** الذي كان كثير العدد، فنصر الله تعالى أسامة وجيشه، ورجعوا منتصرين غانمين. وسبحان الله كيف جعل الله البركة في هذا الجيش، حيث عرف المرتدين أن المسلمين يتمتعون بقوة شديدة وكان هذا سببا لرجوعهم.

2. جهز أبا بكر جيوش لمحاربة أهل الردة، ومانعي الزكاة، حيث عقد أحد عشرة لواء وأصر رضي الله عنه أن يحمل إحدى هذه الألوية واختار مكان " دو القصَّة " وانطلق ليقاتل هؤلاء المرتدين، لكن سيدنا علي وقف في وجهه، وأصر عليه أن يعود وأمسك بزمام راحلته وقال له:" لُمَّ سيفك وأمتعنا بنفسك فو الله لئن نكب المسلمون بك، لن تقوم لهم قائمة من بعدك " وأصر إصراره حتى اقتنع سيدنا أبا بكر برأي علي ورجع. بعض أصحاب رسول الله خطر في بالهم رأي أخر حيث لما وجدوا أن المسلمين يعانون من هزة شديدة بسبب وفاة رسول الله، والجراح لم تضمد بعد، وخروج هذا العدد ربما يكون له خطر على كينونة المسلمين، حتى سيدنا عمر كان رأيه التمهل، ولكن أبا بكر رضي الله عنه أصر إصراره وقال لسيدنا عمر: " رجوت نصرتك وجئتني بخذلانك أجبار في الجاهلية وخوان في الإسلام ؟؟" سبحان الله كيف تحولت القوى بينهم. وقال أيضا:" والله لو منعوني أنا قد يعطونه لرسول الله لقاتلتهم عليه ". وأيد الله المسلمون حيث رجع من رجع من الردة وقتل من قتل.

3. جهز سيدنا أبا بكر جيشا جعل قيادته إلى " خالد ابن الوليد" وأمر أن يتجه به إلى العراق وبعث معه " ابن حارثة الشيباني " ومضى سيدنا خالد وأنجز ما أمر به سيدنا أبا بكر وفتحوا بلادا كثيرة وعادوا منتصرين.

4. حدثته نفسه بغزو الروم، والروم كما قال الغزالي:" الروم إذا لم تغزى غزت " وفعلا أراد أبا بكر أن يشغلها عن غزو المسلمين ، لكنه جمع أعيان الصحابة وشاورهم في الأمر، وفيهم سيدنا علي، ولم يكتفي برأي الصحابة بل التفت إلى علي وقال:" ما تقول يا أبا الحسن ؟" قال: " أرى أنك مبارك الرأي موفق منصور إن شاء الله تعالى فاسر إلى ما قد عزمت عليه " سُرَّ أبا بكر بهذا الكلام وعزم التوجه إلى بلاد الروم. وجمع المسلمين وخطب فيهم يحثهم على الجهاد في سبيل الله، وكتب كتبا إلى الولاة يجمعهم لهذه المهمة الفريدة المتميزة، وجعل "أبا عبيدة " أميرا على الجيش المتجه إلى الشام. وودع الجيش وأوصى أفراده بتقوى الله وحسن الصحبة و المواظبة على الصلوات جماعة، وأن يصلح كل واحد نفسه حتى يصلح له الناس. وأن يكرموا رسل العدو إذا أقبلوا إلى " أبي عبيدة "،وأن يعملوا على تقليل لبثهم عندهم حتى يخرجوا من عسكرهم وهم جاهلون لأمر المسلمين.وتوجه المسلمون كلهم إلى الشام واجتمعوا في اليرموك. وأرسلوا إلى أبا بكر بكثافة جموع الروم. فكتب سيدنا أبا بكر إلى خالد بالعراق يأمره بالتوجه إلى الشام، وأن يأخذ نصف الجيش معه ويبقي النصف الأخر بالعراق ويجعل إمرته " للمثنى ابن حارة "، واتجه سيدنا خالد منفذا أمر خليفة رسول الله إلى الشام. وكتب سيدنا خالد كتابا لأبي عبيدة يقول له فيه:" أما بعد فإني أسأل الله لي و لك الأمن يوم الخوف، والعصمة في دار الدنيا من كل سوء، فقد أتاني كتاب خليفة رسول الله يأمرني فيه بالمسير إلى الشام ولقيام على جندها والتولي على أمرها، و والله ما طلبت ذلك ولا أردته، فأنت على حالك التي كنت عليها فلا نعصيك ولا نخالفك ولا نقطع دونك أمرا " قرأ أبا عبيدة كتاب خالد فقال:" حيا الله خليفة رسول الله فيما رأى وحيا الله خالد على ما صنع". وأبا بكر أرسل رسالة إلى أبا عبيدة يقول فيها:" أما بعد فإني قد وليت خالد على قتال العدو في الشام فلا تخالفه واسمع وأطع له، فإني يا أخي لم أبعته عليك لأجل أنه عندي خير منك، ولكنني ظننت أن له فطنة في الحرب في هذا المكان الحرج، أراد الله بنا وبك الخير والسلام "

اجتمع القائدان وتناسق العمل بينهما وكان كل واحد منهما ردءا لصاحبه، وكلاهما كانا منفذين لأمر خليفة

رسول الله. التحم القتال بين الجيشين، ودامت المعارك مدة من الزمن، وكانت نهايتها نصرا كبيرا للمسلمين، وقتل في هذه المعارك عدد كبير لم يحصه المؤرخون من الروم. وأسر أيضا عدد كبير منهم. في هذه الأثناء عندما وضعت الحرب أوزارها وصل الخبر لسيدنا خالد وأبا عبيدة بوفاة سيدنا أبا بكر. وأنه قد بويع من بعده لسيدنا عمر، وبمجرد أن تولى سيدنا عمر الخلافة أرسل كتابا بعزل سيدنا خالد عن تولي الجيش، وتولي سيدنا أبا عبيدة. ولكن لما بلغ الكتاب أبا عبيدة كتم الخبر عن سيدنا خالد. حتى وضعت الحرب أوزارها.

وفاة سيدنا أبا بكر: كانت في السنة الثالثة عشرة من هجرة رسول الله ﷺ وكانت وفاته في ليلة الثلاثاء لسبع بقينا من جمادى الأخرى،توفي عن ثلاث وستين من عمره. وكانت مدة خلافته سنتان وثلاثة أشهر وثلاثة أيام.قبل وفاة سيدنا أبا بكر خشي أن يختلف المسلمين فيمن ينصب بعده وأهمه هذا الأمر، فشاور أثناء مرضه طائفة من أصحاب رسول الله ﷺ، ولكنهم جميعا تركوا الأمر إليه. فارتأى أن يكون الخليفة من بعده سيدنا عمر رضي الله عنه. وهو أول من عهد بالخلافة من بعده إلى فلان من الناس. وعاهد سيدنا عمر على أن الناس من بعده سيبايعونه. خرج سيدا أبا بكر على الناس وخاطب فيهم وقال:" أنه لم يلو جهدا على من يستخلف من بعده، وأنه رأى أن يستخلف عمر، فإن رأو ذلك فليبايعوه " إذا سيدنا عمر أصبح خليفة على أساس البيعة، بعد تزكية رأي أبا بكر رضي الله عنه. وعندها كتب كتاب عهد إلى سيدنا عمر جاء فيه ما يلي:" بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عهد به أبا بكر خليفة رسول الله عند آخر عهده بالدنيا، وأول عهده بالآخرة، في الحال التي يؤمن فيها الكافر ويوقن فيها الفاجر، إني استعملت عليكم عمر ابن الخطاب فإن صبر وعدل فذلك علمي به ورأيي فيه، وإن جار وبدل فلا علم لي بالغيب، والخير أردت، ولكل امرئ ما اكتسب، وسيعلم الظالمون أي منقلب ينقلبون ".

ثم ختمه بختمه، وخرج به سيدنا عثمان فقرأه على الناس جميعا.بناء على هذا الكتاب بايع الصحابة سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه.

هناك وصية رائعة أوصى بها سيدنا أبا بكر سيدنا عمر يقول فيها:" ألم ترى يا عمر أنما خفت أعمال الكافرين عليهم، لأنها كانت خفيفة على نفوسهم، وحق لميزان أن لا يوضع فيه إلا باطل أن يكون خفيفا، ألم ترى يا عمر أنما ثقلت أعمال المسلمين لرؤيتهم لها ثقيلة وحق لميزان لا يوضع فيه غدا إلا حق أن يكون ثقيلا، ألم ترى يا عمر أن الله وضع آية الرحمة إلى جانب أية العذاب، ووضع

آية العذاب إلى جانب آية الرحمة، لكي لا يرغب مؤمن رغبة يتمنى على الله ما ليس له، ولا يرهب رهبة يلقي فيها بيديه، ألم ترى يا عمر أن الله عز وجل لا يجيز نافلة حتى تؤدى الفريضة. فإن حفظت وصيتي فلن يكون شيء أقرب إليك من الموت وهو آت ولست بمعجز "

﴿تحليل المشهد﴾

1. خلافة سيدنا أبا بكر كانت بشورى، لم تكن خلافته من نص صريح في القرءان، ولا من كلام سيدنا رسول الله ﷺ، حيث تعددت الآراء حتى استقرت إلى أبا بكر رضي الله عنه .

2. سيدنا أبا بكر أصر على أن يتوجه بنفسه لقتال المرتدين، وعقد أحد عشرة لواء، واختار أحدها أن يكون قائدا فيه إلى ذا القصة، فوقف في وجهه سيدنا علي رضي الله عنه وقال له:" يا خليفة رسول الله لُمَّ سيفك وأمتعنا بنفسك فو الله لئن نكب المسلمون بك، لن تقوم لهم قائمة من بعدك ". كلامه هذا ينسينا البيعة إن وجدت أم لم توجد من سيدنا علي لأبا بكر، وهي كلمات أجل من البيعة، إنها تدل على الحب الشديد، وتدل على وحدة الكلمة، وتدل على إقراره بقوله يا خليفة رسول الله .

3. موقف سيدنا أبا بكر في المرتدين على الرغم من في الصحابة خالفه، وموقفه من جيش أسامة على الرغم من وجود من خالفه،حيث عندما أنجز أبا بكر ما أصر عليه تبين أن الخير كل الخير في هذا الذي قضى به أبا بكر وأصر إصراره، ونفهم من هذا كله أن الخير كل الخير في خلافة أبا بكر بعد رسول الله ﷺ، وكأن الله تعالى جعل من شخصية أبا بكرهي الحل للمشكلات والمعضلات التي نبعت وظهرت بعد وفاة رسول الله ﷺ حيث أنه لولا الوقوف في وجه المرتدين لقضي على المسلمين.

4. ما كتبه بعض الناس أن سيدنا أبا بكر استقل بالأمر ونصب سيدنا عمر من بعده خليفة، لكن نقول أن أبا بكر خشي أن يختلف المسلمين من بعده، لهذا سأل من الشخص الذي تنصبونه من بعدي ؟ قالوا الأمر إليك. فقال: أنا أرتئي أن يكون الخليفة من بعدي عمر ووافقوا على ذلك، توفي أبا بكر وجد فراغ وكانت مهمة أبا بكر إنضاج أمر اتجاه الأذهان إلى سيدنا عمر للمبايعة، وهذا ما حصل.

5. ما يتعلق بتنصيب سيدنا أبا بكر" لخالد ابن الوليد "رضي الله عنه ولم يكن ذلك عن اتهام "لأبي عبيدة " والسبب أن رسالة أبا عبيدة من قوله عن كثرة جيوش الروم تدل على أنه يتوجس

خيفة من الروم، هنا لمع في ذهن سيدنا أبا بكر أن سيدنا خالد أكثر جرأة من أبا عبيدة، لهذا أعتذر سيدنا أبا بكر بلطف لأبي عبيدة موضحا له سبب تنصيبه خالد قائدا.

(الدرس 66)

خلافة سيدنا عمر رضي الله عنه

بويع للخلافة لما توفي سيدنا أبا بكر رضي الله عنه، وهذا يؤكد أن خلافته لم تتم بالعهد الذي عهد به أبا بكر، وإنما أبا بكر استُشير فأشار أن خير من ينصب من بعده "عمر ابن الخطاب "

أول عمل قام به سيدنا عمر هو عزل خالد عن القيادة في بلاد الشام، وتنصيب "أبي عبيدة ابن الجراح " وقد روي أن سيدنا عمر لما رأى خالد أتيا من بلاد الشام قال له:" والله إنك لعلي لكريم، وإنك إلي لحبيب " وأرسل إلى الولاة كلهم يقول:" أنا ما عزلت خالد عن سخطه في نفسي عليه، ولكن لشدة أموره وصدماته أشفقت على الناس من صدماته السريعة وجرأته ومغامراته " ولعله أيضا قال: " أن الناس كلهم يتصورون أن النصر آت لا ريب فيه مادام القائد هو" خالد ابن الوليد " فكأن في الناس من نسي أن النصر بيد الله عز وجل "

أعمال سيدنا عمر في سنة رابعة عشرة

- قام بفتح دمشق وحمص وبعلبك من بلاد الشام، والبصرة والأبلة، فتح بعضها صلحا وبعضها عنوة أي قتالا.
- جمع سيدنا عمر الناس في شهر رمضان على صلاة التراويح لأول مرة في المسجد، بعشرين ركعة.
- في السنة الخامسة عشرة فتحت الأردن والطبرية، وكانت وقعة اليرموك، ووقعة القادسية.
- في السنة السادسة عشرة فتحت الأهواز والمدائن من بلاد فارس، وأقام " سعد ابن أبي وقاص " صلاة الجمعة آنذاك في إيوان كسرى، الذي كان قائدا في جيش القادسية. وهنا نلفت النظر أن سيدنا عمر لما جهز جيشه للقادسية، استشار أصحابه، وكان فيهم سيدنا علي في أن يذهب هو بذاته قائدا، وقال له سيدنا علي:" إن هذا الأمر لم يكن نصره ولا خذلانه بكثرة ولا قلة، وهو دين الله الذي أظهره وجنده الذي أعده وأمده حتى بلغ ما بلغ وطلع حيث طلع، ومكان القيم بالأمر مكان النظام من الخرز، يجمعه ويضمه فإن انقطع النظام تفرق الخرز وذهب، ثم لم يجتمع بحذافيره أبدا، فكن قطبا واستدر الرحا بالعرب، وأصلهم دونك نار الحرب، إنك إن شخصت من هذه

الأرض انتقضت عليك العرب من أقطارها، حتى يكون ما تدع وراءك من العورات أهم إليك مما بين يديك "

هنا سيدنا علي ينصحه بعدم الذهاب وشبهه بنظام الذي يجمع حبات العقد إن انقطع تناثرت حباته ولن تجتمع بعد ذلك قط. في هذه السنة أيضا فتح بيت المقدس، وأقام سيدنا عمر هناك عشرة أيام وكتب كتاب الصلح المعروف والمشهور والمتداول، والمترجم إلى اللغات الأجنبية. وفي ربيع الأول من نفس السنة اعتمد سيدنا عمر باتفاق أهل الشورى والصحابة التاريخ الهجري. إذن الأمة أجمعت أن يكون تاريخها هو هجرة المصطفى ﷺ.

ـ في السنة السابعة عشرة وسع سيدنا عمر من مسجد رسول الله ﷺ، ونهى عن وضع نقوش وتصفير وتحمير، وهذا العام أيضا كان عام الرمادة والمجاعة، وخرج بأصحاب رسول الله إلى صلاة الاستسقاء وتوسل وتوسلوا معه بالعباس عم النبي ﷺ، وأساس خروجه هذا أن "بلال أبن الحارث " رضي الله عنه ذبح شاة فأفزعه هزالها الشديد ، وترك الشاة وذهب إلى مثوى رسول الله ﷺ سلم عليه وقال:" أغث أمتك يا رسول الله " فرأى في تلك الليلة رسول الله ﷺ وقال له:" إنكم ستغثون فأتي عمر وقل له عليك بالكيس الكيس " فغدا سيدنا بلال ابن الحارث " إلى سيدنا عمر فأنبأه بما فعل وبما رأى. فجمع سيدنا عمر الصحابة في المسجد واختطب فيهم وقال:" إن هذا رأى رسول الله ﷺ في الرؤيا فقال له.... " فماذا تفهمون من قوله عليك بالكيس الكيس. قالوا إنه يستعجلك بالخروج بنا إلى الاستسقاء. فخرج إلى الفناء وأصحاب رسول الله وصلوا صلاة الاستسقاء وخطب عمر ودعا، ومما دعا به أن توسل بعم رسول الله العباس، فسقوا وأكرمهم الله عز وجل بالأمطار السخية، وانطوى عام الرماد آنذاك.

ـ في السنة الثامنة عشرة وقع طاعون في جهة من جهات الشام اسمها عمواس، وكان سيدنا عمر قد رغب أن يأتي إلى الشام مرة أخرى، ولكن عندما سمع بهذا الطاعون، جمع بعض أصحابه واستشارهم، فأنبأه أحدهم بأن النبي عليه الصلاة والسلام قال:" إذا سمعتم الطاعون وقع في أرض فلا يخرج من كان في داخلها ولا يدخلن إليها من كان خارجا منها ". فرجع أحد الصحابة ولم يدخل، ورد أن أحد الصحابة قال له:" أفنفر من قضاء الله يا أمير المؤمنين ؟" قال:" نفر من قضاء الله إلى قضاء الله، أرأيت إن كان لك غنما ترعاها، ووجدت عدوة جرداء وعدوة مزدهرة يانعة، بأي

العدوتين ترعى أغنامك ؟ قال:" طبعا بالعدوى الممرعة " فقال:" هذا بقضاء الله، وذاك بقضاء الله ".

ـ في السنة العشرين فتحت مصر، واختلف العلماء في طريقة فتحها، أهي صلحا أم عنوة، وفتح المغرب الأقصى، وفيها أجلى سيدنا عمر اليهود من خيبر بسبب ارتكابهم لبعض الجرائم وأساءوا فجمع سيدنا عمر مجلس شورى، واستشارهم في هذا الأمر واتفقوا على ما قد عزم عليه.

ـ في عام الواحد والعشرين ثم فتح بلاد فارس، ودخلت في دائرة البلاد الإسلامية، وعلى أعقاب ذلك حج سيدنا عمر، حيث عندما نزل من عرفة ووصل إلى منن أناخ في مكان اسمه البطحاء واستلقى ودعا الله تعالى قائلا:" الله إن قد كبر سني وضعفت قوتي وانتشرت رعيتي فأسألك اللهم أن تأخذني إليك " في تلك السنة قتل سيدنا عمر رضي الله عنه. حيث هنالك في المدينة غلام مجوسي يكنى " بأبي لؤلؤة " واسمه " عبد المغيرة " كان يشكوا من أن الخراج الذي يكلف به كثير فدخل على سيدنا عمر وشكا أنه خراجه كثير. قال: كم يؤخذ منك ؟ذكر. قال:

" هذا ليس بكثير". فخرج مغضبا وقال:" يسعه عدله الناس كله دوني أنا " ووضع نصب عينيه الجريمة. فعمد إلى خنجر سمه، وكان ذا خبر بكثير من الأمور، وانتظر فجر يوم من الأيام ينتظر خروج عمر إلى المسجد فطعنه عدة طعنات فسقط على إثرها، ثم جعل يطعن كل من يريد أن يدنو منه، لكن أحدهم ألقى عليه ثوب فاضطربت حركته، وقتل نفسه. وعندما سأل عمر من فعل بي هذا ؟ قيل له فلان.فقال:" الحمد لله أنه لم يجعل موتي على يد رجل مسلم ". وأوصى ابنه عبد الله بأن يوفي ما عليه من الديون وهي ستة وثمانون ألف درهم. في الفترة التي كان يعاني فيها من الجراحات. سُئِل من يمكن أن يختاره لهم فاختار ستة أشخاص هم أهل الشورى، وقال:" أنا لا أتحمل أمرهم حيا وميتا اختاروا من هؤلاء من ترون " وهؤلاء الستة هم:" سيدنا عثمان ـ سيدنا علي ـ سيدنا طلحة ابن عبيد الله ـ سيدنا الزبير ابن عوام ـ سيدنا عبد الرحمان ابن عوف ـ سيدنا سعد ابن أبي وقاص ". وتوفي سيدنا عمر بعد ذلك بأيام. فقام هؤلاء الستة بتنفيد وصية سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه. فاجتمعوا بمجلس، ووقف على باب المجلس سيدنا طلحة يمنع الناس من الدخول عليهم. ثلاثة منهم تنازلوا لثلاثة، وعندئذ أخذ يطوف سيدنا عبد الرحمان ابن عوف على الناس يسأل الغادي والرائح الرجال والنساء والأطفال من الذين تفضلون سيدنا علي أم عثمان، فكان الجميع يفضلون سيدنا عثمان رضي الله عنه، وسيدنا عبد الرحمان ظل ثلاثة أيام يسأل الناس،

فاجتمع بأهل الشورى، وأنبأهم بهذا الذي كان، وكانت النتيجة اختيار سيدنا عثمان، وبايعه سيدنا علي رضي الله عنه.

﴿تحليل المشهد﴾

– هناك من لغا كثيرا وعلق على عزل سيدنا عمر لخالد ابن الوليد، والذي دفعهم إلى هذا إثارة الفتنة وإدخال الريبة في قلوب المسلمين اتجاه أصحاب رسول الله ﷺ وجاء من يقول أن "خالد ابن الوليد " قد ارتكب موبقات ولذلك عزله سيدنا عمر، ولعلهم قالوا أن في حروب الردة قتل سيدنا خالد " مالك ابن النويرة " وبعدها تزوج زوجته، وربطوا عزله بهذا الأمر. كذب وافترى على خالد وعمر من زعم هذا. " مالك ابن النويرة " كان من الذين ارتدوا فلما رأى إقبال " فخالد ابن الوليد" إليه أخذته الرعدة فاستسلم وأظهر إسلامه، قال له سيدنا خالد كلمة. فقال ابن النويرة أوكان صاحبكم يقول ذلك ؟ أي رسول الله. فقال خالد أولا تراه لك صاحبا ؟ فقتله.وهذه هي غيرة خالد على دين الله وحبه لرسول الله. ورأينا ما قاله سيدنا عمر لخالد:" وإنك إلي لكريم وعلي لحبيب ". وروي عن سيدنا عمر كيف تأثر بوفاة سيدنا خالد رضي الله عنهم جميعا. وقد قال المصطفى عن أصحابه:" الله اللهُ في أصحابي لا تتخذوهم غرضا من بعدي، فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه " وتشعر بتقزز لما ترى أمثال هؤلاء يتحدثون عن أخطاء الصحابة رضوان الله عليهم إنها قدارة فعلا.ولا يدري من نفسه أنه كتلة من الأخطاء.

– ابن كثير في كتابه " البداية والنهاية " قال أن سيدنا خالد توفي في حمص.

– سيدنا خالد جمع الناس على صلاة التراويح بعشرين ركعة. والرسول صلى الله عليه وسلم قال:" عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدون فعضوا عليها بنواجد ". وهناك من قال أنها بدعة، والبدعة لها معنيان لغوي وهي بديع كل ما وجد واستحدث،ومعنى اصطلاحي أي ما استحدث في الدين فهو ضلالة. والتراويح من السنة الحسنة. ولا سقف لصلاة فأي عدد شئت فصلي النافلة، وهي خير مشروع.

– لنقف عند الكلمات التي قالها سيدنا علي لسيدنا عمر وقد استنصحه واستشاره بأن يكون هو القائد على جيش القاديسية. ونفهم من كلامه أن سيدنا علي:

أولا كان شديد الحب لسيدنا عمر.

ثانيا إضافة إلى ثقته التامة من أن سيدنا عمر هو الأهل في هذه المرحلة لقيادة الأمة. ولهذا شبهه بنظام الذي يجمع حبات العقد.

ثالثا كلام سيدنا علي دل على خُبرته الدقيقة السياسية، وعلى الخطر الذي يتربص بالمسلمين، وخاصة من جيوب الدول العربية التي تعاني من الاضطراب بعد وفاة رسول الله.

– بالنسبة لشخص الذي قتل سيدنا عمر وهو أبو لؤلؤة واسمه عبد المغيرة شاب مجوسي، وهو الذي غضب لما سيدنا عمر ما أصغى إليه لما اشتكى كثرة الخراج. هذا ما ذكره المؤرخون. وهناك من دقق وقال أن هناك مؤامرة يهودية مجوسية تكاملت خيوطها وجمعت أطرافها، وطبخت في ليل ونفدت المؤامرة بعد أن غطيت بهذا السبب. هنا نفتح باب الدواعي التي جعلت كل من أبا بكر وعمر يقدمون على فتح بلاد الشام وفارس وهذا بسبب أن خيوط المؤامرات كانت تحاك إن من بلاد الروم بشام أو من قبل بلاد الفرس بالمشرق، كلها من أجل القضاء على الإسلام، ولهذا فإن المسلمين بادروا هؤلاء واشغلوهم بالحرب قبل أن يبادروا ويشغلونا.والروم دائما تخطط للحرب لتبقى هي السائدة، والفتح الإسلامي كان شيء مرعب بالنسبة لها. وجماعات الردة قد اهتجت بقياداتها لغرض القضاء على الإسلام، لهذا ثار ضدهم سيدنا أبا بكر الذي ألهم لذلك. وكل من أبا بكر وعمر كانا مناسبين للفترة التي قضياها في الخلافة، وهذا توفيق رباني ولله الحمد. تولى سيدنا عمر الخلافة في السنة الثالثة عشرة من الهجرة، وتوفي في العام الرابع والعشرين أي مدة أحدى عشرة عاما ونيف.

(الدرس67)

خلافة سيدنا عثمان رضي الله عنه

بويع سيدنا عثمان في العام الرابع والعشرين من هجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم.

أعمال سيدنا عثمان في مرحلة خلافته:

ـ في السنة الأولى من خلافته ثم فتح بلاد الري وهي منطقة كبيرة من بلاد الفرس،

وفي هذه السنة أصاب الناس مرض ولم ينجوا منه سيدنا عثمان رضي الله عنه الذي حيل بينه وبين عزمه على الحج في تلك السنة.

ـ عزل سيدنا " المغيرة ابن شعبة " ونصب في مكانه " سعد ابن أبي وقاص ". وفي عام الخامس والعشرين عزل سيدنا " " سعد ابن أبي وقاص " من إمارة الكوفة وولى عليها " الوليد ابن عقبة ابن

أبي مُعَيْد " والوليد هو أخو سيدنا عثمان لأمه، وكان هذا التنصيب مثار جدل وانتقاد من بعض الصحابة.

ـ في العام السادس والعشرين من الهجرة وسع سيدنا عثمان المسجد الحرام، واشترى بعض البيوت المحيطة بالمسجد بأثمانها وأدخلها بالمسجد الحرام.

ـ في العام السابع والعشرين كان معاوية واليا على بلاد الشام، غز معاوية قبرص فركب البحر بالجيوش، وقد أنبأ رسول الله ﷺ في حديث صحيح ووصفهم بأنهم أناس يركبون سباج البحر، وكان معهم " عبادة ابن الصامت " وزوجته "أم حرام بنت بلحان الأنصارية " سقطت عن دابتها فتوفيت في ذلك المكان. وفي هذه السنة أيضا عزل عثمان " عمرو ابن العاص " وكان واليا على مصر في أيام سيدنا عمر وولى في مكانه " عبد الله ابن سعد ابن أبي صرح" وقام هذا بأعمال كبيرة حيث غز إفريقيا فافتتحها كلها سهلا وجبلا، وفتحت الأندلس على يده أيضا في ذلك العام، وكأنه جعل من ذلك كفارة لعهد سابق مضى.

ـ في السنة التاسعة والعشرين فتحت مدن كثيرة أخرى، ووسع أيضا من الحرم النبوي وبناه بالحجارة المنقوشة لأول مرة وجعل عموده حجارة وسقفه الساج نوع من الخشب، وجعل طوله مائة وستين ذراعا وعرضه مائة وخمسين ذراعا. قام عثمان رضي الله عنه بتوسيع الحرمين المكي والمدني.

ـ في العام الثلاثين فتحت بلاد خراسان وكثر الخراج واندلقت الغنائم والأموال على المسلمين.

ـ وفي سنة اثنتين وثلاثين توفي عدد من أصحاب رسول الله رضوان الله عليهم منهم العباس ابن عبد المطلب عم النبي ﷺ و"عبد الرحمان ابن عوف " و" عبد الله ابن مسعود " و" أبو الدرداء " و " أبو ذر الغفاري "

سياسة سيدنا عثمان في اختيار الولاة:

من المعروف لدارسين التاريخ أن سيدنا عثمان كان يستعين في التوظيف أقاربه من بني أمية، وقد اقتضى ذلك من أن يعزل عدد من الذين اختارهم سيدنا عمر. هذه السياسة جرت عليه انتقاد كثير من الصحابة. وهذا الانتقاد هي الورقة التي تمسك بها " عبد الله ابن سبأ " والذي يكنى بابن السوداء وهو من يهود اليمن تظاهر بالإسلام، وهيج بذلك أسباب الفتنة.

ابن كثير في كتابه "البداية والنهاية "ذكر هذا وننقل ما قاله:" جمهور من أهل الكوفة ثاروا على" سعيد ابن العاص " وتألبوا عليه وبعثوا إلى عثمان من يناظره فيما فعل وفيما اعتمد من عدد كبير من

الصحابة الذين كان أهل الكوفة مسترحين إليهم، وتوظيف جماعة من بني أمية في مكانهم. فدخلوا عليه وأغلظوا عليه القول، فشق ذلك على سيدنا عثمان فبعث إلى أمراء الأجناد من بلاد بعيدة وقريبة فأحضرهم إليه يستشيرهم. فاجتمع معهم " معاوية ابن أبي سفيان " حيث جاء من الشام و " عمرو ابن العاص " من مصر و " عبد الله ابن سعد ابن أبي سرح"من المغرب و " سعيد ابن العاص " أمير الكوفة وغيرهم، استشارهم فأدلى كل واحد منهم برأيه وانتهى رأي عثمان بعد الاستشارة على أن يبقي كل شيء على ما هو عليه.وأن يتألف قلوب الثائرين بالوسائل المختلفة وبالمال، وأمر بهم فبعثوا إلى الغزو والثبور أي فرقهم "

نشأ على إثر ذلك في مصر طائفة من أبناء الصحابة يؤلبون الناس على عثمان بقيادة " عبد الله ابن سبأ " وينكرون على سيدنا عثمان الكثير من أعماله. وكان السبب هو هذا عبد الله اليهودي الذي جاء من اليمن يحرض هؤلاء الصغار قائلا لهم:" إن سيدنا محمد ﷺ ذو مكانة أعلى من سيدنا عيسى، فإذا كان سيدنا عيسى سيعود قبل أن يتوفاه الله فسيدنا محمد أولى، ولا شك أنه سيعود في شخص علي رضي الله عنه، هكذا كان يغرس في هؤلاء الصغار ويؤلبهم على سيدنا عثمان، إلى أن اجتمع له كم كبير، فاستنفر هذا اليهودي حوالي ست مائة شخص، فاتجهوا بحسب الظاهر إلى العمرة، والواقع أنهم جاءوا ليثوروا على عثمان. ولما دنوا من المدينة المنورة وعلم بهم سيدنا عثمان، وعلم بالعبث الذي عبث به ابن السوداء بعقولهم. اقترح سيدنا عثمان على علي أن يذهب فيصدهم، فقال:" أنا أكفيك هم " فخرج سيدنا علي فصدهم وردهم وقاتلهم، فولوا الأدبار فالتفت بعضهم إلى بعض وقالوا: هذا هو الذي ندافع عنه وجئنا كي نعطيه الولاء فعل ذلك ؟؟ رجعوا. هذه مقدمة الفتنة. ولما رجع علي إلى عثمان أخبره برجوعهم وطمأنه. ثم اقترح سيدنا علي على سيدنا عثمان أن يقوم فيخطب في الناس وأن يعتذر إليهم مما كان قد وقع منه، من الإيثار إلى بعض أقاربه على بعض من مَنْ ولاهم سيدنا عمر أثناء خلافته.فقبل عثمان مشورته وخطب الناس يوم جمعة وقال لهم فيما قال:" اللهم إني أستغفرك وأتوب إليك، اللهم إني أول تائب مما كان مني " واستعبر باكيا وبكى المسلمون أجمعون الذين كانوا بالمسجد وعاد وأكد لهم نزوعه عما نقم الناس عليه من أجله، وأنه سينحي عنهم "مروان ابن الحكم "ودويه.

ولما عاد إلى داره دخل عليه" مروان ابن الحكم"ناقما منه وقال له فيما قال:"لوددت أن مقالتك هذه كانت وأنت ممنع منيع(أي أثناء القوة وليس وأنت ضعيف) ، وكنت إذا أول من رضي بها

وأعان عليها، ولكنك قلت حين جاوز الحزام الطبيين وبلغ السيل الزبى، والله لا إقامة على خطيئة يستغفر منها خيرا من توبة خوفا عليها، وإنك لو شئت لعزمت التوبة، ولم تقر لنا بالخطيئة " ثم أخبره مروان أن بالباب جماعة من الصحابة يريدون أن يدخلوا عليه، فقال له سيدنا عثمان:" أخرج إليهم وقل لهم ما تشاء " وخرج إليهم مروان فقال كلاما أفسد كل ما قد أصلحه سيدنا عثمان، وفيما قال:" جئتم تريدون أن تنزعوا ملكنا من أيدينا أخرجوا عنا فما والله إن لمتمونا ليمرن عليكم أمر يسوؤكم ولا تحمدون غبه "

هذا الخبر وصل إلى سيدنا علي عمل "مروان ابن الحكم " فجاء مغضبا، حتى دخل على سيدنا عثمان فقال له:

" أما رضيت من مروان ولا رضي منك إلا بتحويلك عن دينك وعقلك ؟والله ما مروان بذي رأي في دينه ولا في نفسه ويم الله إني لا أراه سيوردك ثم لا يصدرك (أي يدفعك إلى الخطر ولا ينتشلك منه) وما أنا بعائد إليك بعد هذا بمعاتبتك" فلما خرج سيدنا علي كانت زوجته نائلة تسمع، دخلت وقالت لسيدنا عثمان:" أأتكلم أم أسكت ؟"فقال لها:" بل تكلمي " فقالت:" سمعت قول علي أنه ليس يعاودك، وقد أطعت مروان حيث شاء " قال:" فأشيري علي" قالت:" تتقي الله وحده لا شريك له وتتبع سنة صاحبيك من قبلك، فإنك متى أطعت مروان قتلك، ومروان ليس له عند الله قدر ولا رهبة ولا محبة، فأرسل إلى علي فاصطلحه فإن له قرابة منك وهو لا يعصى" فأرسل سيدنا عثمان إلى علي فأبى أن يأتيه. وقال إني أعلمته أني لست بعائد.

هذا الموقف الذي ينقله لنا ابن كثير رحمه الله يشكل مقدمة الفتنة. وفي الواقع إن سيدنا عثمان وفي المدة الطويلة التي أمسك فيها بزمام الخلافة ما نقم منه من الصحابة أحد في أول الأمر بل كان أحب إلى كثير من القرشيين والصحابة أكثر من سيدنا عمر، نظرا إلى أن سيدنا عمر كان قاسيا أما سيدنا عثمان كان معروفا بلين والتواضع، لكنهم تغيروا عليه لما أخذ يستعمل أقاربه وأهل بيته، وكان إذا عوتب بهذا يعتذر بأنه مكلف بأن يوصل رحمه، وأنه ما أعطى واحدا منهم وظيفة إلا عن جدارة مثل " سعد ابن أبي سرح " الذي فتحت بيده كل إفريقيا. ويقول سيدنا عثمان أن قرابة هؤلاء لي لا تنسخ مزياهم.

ابن عساكر في تاريخه يروي عن الزهري المحدث أنه سأل " سعيد ابن المسيب ":" هل أنت مخبري كيف قتل عثمان ؟ وما كان شأن الناس وشأنه ؟ " فقال له " سعيد ابن المسيب " وهو من كبار التابعين فقال رضي الله عنه:

" قتل عثمان مظلوما، ومن قتله كان ظالما، ومن خذله كان معذورا " ثم قصا تفاصيل مقتل عثمان " وهي:

جاء أهل مصر" إلى سيدنا عثمان يشتكون" سعد ابن أبي سرح " وشدته عليهم . كتب سيدنا عثمان إلى ابن أبي سرح كتابا ينصحه ويتهدده أن أهالي مصر يشكوك. فأبى ابن أبي سرح أن يتقبل نصيحة سيدنا عثمان، وأغلظ وأساء إلى من ذهبوا، فشكوه إلى سيدنا عثمان. ثم إن كبار الصحابة مثل سيدنا علي وطلحة وابن الزبير وعائشة اقترحوا على سيدنا عثمان عزل ابن أبي سرح، وأن يولى على مصر غيره. فقال لهم اختاروا من تشاءون له بديلا قالوا:" نختار "محمد ابن أبي بكر " قال حسنا، وأرسل كتابا بعزل ابن أبي سرح وتنصيب "محمد ابن أبي بكر" مكانه. وذهب جماعة من الصحابة إلى مصر لينفذوا هذا الأمر وفيهم "محمد ابن أبي بكر" في الطريق بعد أن ابتعدوا عن المدينة مقدار ثلاثة أيام، فوجئوا بغلام أسود على بعير يخبطه ويستعجله، فأوقفوه وقالوا له:" ما شأنك ؟ كأنك هارب أو طالب " فقال لهم:" أنا غلام أمير المؤمنين وجهني إلى عامل مصر " ولما قالوا غلام من أنت ؟ تلعثم مرة يقول أنا غلام أمير المؤمنين ومرة يقول أنا غلام "مروان ابن الحكم " فأوقفوه وفتشوه واستخرجوا من أمتعته كتابا. فجمع "محمد ابن أبي بكر" من كان عنده في الطريق من الأنصار والمهاجرين، ثم فض الكتاب أمامهم فإذا فيه:" إذا أتاك" محمد ابن أبي بكر"وفلان وفلان فاحتل في قتلهم وأبطل كتابه، وقر على عملك حتى يأتيك رأي وأحبس من يجيء إلي يتظلم منك " رجع هؤلاء الصحابة إلى المدينة وجمعوا طائفة من أبرز صحابة رسول الله ﷺ ودخلوا على سيدنا عثمان واطلعوا قبل كل شيء على هذا الكتاب الذي أثار حنقا وغيظا في صدور الصحابة. لأنهم تصوروا أنه من خط عثمان، والأمر لم يكن كذلك. فدخلوا جميعا، فقال سيدنا علي لسيدنا عثمان:" هذا الغلام غلامك ؟ فقال: نعم.قال: والبعير بعيرك ؟ قال: نعم. فقال: فأنت كتبت هذا الكتاب ؟ فقال: لا، وحلف بالله ما كتبت هذا الكتاب ولا أمرت به ولا علم لي به. فقال له علي: والخاتم خاتمك ؟ قال: نعم. قال:" كيف يخرج غلامك ببعيرك وبكتاب عليه خاتمك ولا تعلم به ؟ فحلف بالله ما كتبت هذا الكتاب ولا أمرت به ولا وجهت هذا الغلام إلى

مصر قط. فصدقوه. ثم نظروا في الخط فعلموا أنه خط " مروان ابن الحكم " فسألوه أن يدفع إليهم مروان. فأبى. وكان مروان معه في الدار في مكان أخر. فخرج الجمع من عنده غضاباً لأنه لم يسلمهم مروان. وعلموا أن عثمان لا يحلفوا كاذبا. وانتشر الخبر في المدينة فأقبل الناس وحاصروا دار سيدنا عثمان، ومنعوه من الماء، وهم ثلة من الذين كانوا يحبون أن يصطادوا بالماء العكر، والقيادة بيد " عبد الله ابن سبأ " بلغ سيدنا علي أن دار سيدنا عثمان قد حوصرت، فأنكر عليهم ذلك. وقالوا: إنما أردنا مروان، وأما عثمان فلا شأن لنا به ولا نريد به أدى. ثم أمر ابنيه الحسن والحسين رضي الله عنهما أن يذهبا بسيفيهما ويقفا حارسين على باب سيدنا عثمان، وأن يردا كل من يأتي بقصد سيء باقتحام الدار. والموقف خطير وهي مغامرة من سيدنا علي بابنيه.وذهبا فعلا ووقفا حارسين على دار سيدنا عثمان، ووقف كثير من الصحابة يدعمون هاتين الزهرتين ابني سيدنا علي رضي الله عنه. وتزاحم الغوغاء يريدون الوصول إليه، لكن كانا سيدنا الحسن والحسين ومن معهم، فتصوروا الدار من الأعلى، ونزل بعض الغوغاء لا يعرف من هم، نزلوا إلى الدار واحتوشت سيدنا عثمان سيوفهم من يمين وشمال وقتل بهذه الطريقة. ولما بلغ الخبر سيدنا علي رضي الله عنه أسرع واتجه رأسا إلى ابنيه، وقال لهما وهو مغضب كيف قتل أمير المؤمنين وأنتما على الباب ؟ ورفع يده ولطم الحسن وضرب صدر الحسين، وشتم "محمد ابن طلحة "و "عبد الله ابن الزبير" ولم يعلم أن القتلة تصوروا الدار.

بويع لسيدنا علي رضي الله عنه في ذلك اليوم حيث هرع إليه جمع من الناس وقالوا لا بد من أمير قبل كل شيء فمد يدك لنبايعك فقال لهم:" ليس الأمر إليكم، وإنما الأمر أولا لأهل بدر " وجيء بأهل بدر فأجمع الكل على مبايعة سيدنا علي رضي الله عنه، فبايعه الناس جميعا في بياض ذلك اليوم. وما إن استتب الأمر لعلي حتى فر مروان إلى حيث لم يعلم هو وابنه. وجاء على إلى امرأة عثمان يسألها عن قاتلي عثمان فقالت لا أدري، دخل عليه رجلان لا أعرفهما ومعهما "محمد ابن أبي بكر " فقتلاه، ووصفت أحدهما أنه أزرق العينين أشقر اللون جاءوا من مصر.

يقول عساكر نقلا عن كنانة مولى صفية قال:" قتل عثمان رجل من أهل مصر أزرق أشقر "

أخرج ابن عساكر عن أبي ثور الفهمي قال:" دخلت على عثمان وهو محاصر فقال:" لقد اختبأت عند ربي عشرا إني لرابع أربعة في الإسلام، وجهزت جيش العسرة، وأنكحني رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنته، ثم توفيت فأنكحني ابنته الأخرى، وما تمنيت ولا تمنيت ولا وضعت يميني على فرجي

مند بايعت رسول الله ﷺ وما مرت بي جمعة مند أسلمت إلا وأنا أعتق فيها رقبة إلا أن يكون لي فيها شيء فأعتقها بعد ذلك، ولا زنيت في جاهلية ولا إسلام قط، ولا سرقت في جاهلية ولا إسلام قط، ولقد جمعت القرءان على عهد رسول الله ﷺ، وأهم من ذلك كله شهادة رسول الله ﷺ عندما قال:" ما ضر عثمان ما فعل بعد اليوم "، وعندما توفيت الزوجة الثانية لعثمان قال له رسول الله والله لو كانت عندنا الثالثة لزوجنكاها ".

﴿تحليل المشهد﴾

1. لاحظنا كثرة الفتوحات التي تحققت على يد سيدنا عثمان إدبان خلافته، هذا يدل دلالة واضحة على أن الناس الذين وظفهم سيدنا عثمان قد برهنوا على جدارتهم، وأثبتوا أهليتهم للوظائف التي كلفوا بها، وإلا لما رأينا هذه الفتوحات الكثيرة والكبيرة. وهذه الجدارة التي تجلت في هؤلاء الذين عينهم عثمان لا يعني أنهم ليسوا معصومين. ولا معصوم بعد الأنبياء والرسل قط، والتقاط أخطاء الأخرين ليس أمرا إيجابيا في أي حال من الأحوال.

2. بالنسبة لظاهرة التي لاحظها المؤرخون أن سيدنا عثمان كان يقرب أقاربه، نحن يمكن أن نرى في هذا أمرا ما ينبغي أن يكون، لكن لا يعني هذا أن سيدنا عثمان ارتكب أمرا إذًا أي كبيرا، وأنه يستأهل ما فعله الغوغائيون. لا فالرجل مجتهد ثم إنه إما أن أصاب أو أخطأ، ولا نستطيع نحن أن نحكم أو نجزم خطأه أو صوابه.

ـ لنفرض أن أحد الصحابة أخطأ في أمر ما. هل يجوز أن نتجه بسوء الأدب إلى قولنا أنه أخطأ، وهذا أمر خطير جدا جدًا. وقد حذرنا رسول الله ﷺ من أن نخوض في الحديث عن أصحابه رضوان الله عليهم جميعا ألم يقل:" الله الله في أصحابي فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه " وهذا يجعلنا نقول أن من مدّض لسانه بقالة سوء إلى أي أحد من أصحاب رسول الله هذا يجعله شقيا إلى أبد الأبد، وقد يكون هذا سببا لموته على الكفر الذي له أسباب خفية وظاهرة، من أهمها سوء الأدب على من أحبهم الله. وفي حديث قدسي:" من عاد لي وليا فقد آذنته بالحرب "

3. لاحظنا أن هنالك أمرين متلازمين اسم شخص هو " عبد الله ابن سبأ " وظهور الفتنة شيئا فشيئا، هذا الرجل من يهود اليمن دخل الإسلام كشأن اليهود قديما وحديثا، حيث أنهم يخططون لمؤامراتهم القدرة في السراديب المظلمة، وتاريخ اليهود في هذا معروف، حاول ذلك في

اليمن فلم يستطيع، وحاول في أيام الردة فلم يستطع، واستغل فرصة فتح مصر ووجود أناس لم يتعمق الشعور الإسلامي في كياناتهم إذا هو يستطيع أن يفعل فعله هناك. وفعلا جمع تحته عدد كبير من الناس تحت شعار ديني، صداه ولحمته حب رسول الله ولا يفتأ يكرر هذا الكلام. ولا أحد كشف أمره القدري هذا العصر أو كتب عنه وأكيد هم تلامذته لدرجة أنه هناك من قال عنه أنه شخصية وهمية. وجميع كتب التاريخ كتبت عنه وذُكرت فيها ترجمته وهذه هي التي تربطني عن ذلك العصر.

4. لاحظنا أن أول من بايع سيدنا عثمان هو سيدنا علي رضي الله عنهما وهذا موقف الحب والغيرة من علي لعثمان، وما القسوة التي لوحظت في الأخير إلا دليل حب ولذلك أرسل ابنيه لحراسته في أحلك الساعات. ومادمنا صادقين نحن في حبنا لسيدنا علي ينبغي أن نحب من أحبهم سيدنا علي رضي الله عنهم جميعا.

(الدرس 68)

خلافة سيدنا علي رضي الله عنه

بويع لسيدنا علي رضي الله عنه بالخلافة في أواسط شهر ذي الحجة سنة ثلاثة وثلاثين يوم مقتل عثمان رضي الله عنه، ومدة خلافته مليئة بسلسلة الاضطرابات والحروب والفتن، ابتدأت بما يسمى وقعة الجمل ،ثم وقعة الصفين،ثم مشكلة الخوارج التي انتهت بمقتل سيدنا علي رضي الله عنه، في الظاهر أن الجريمة من الخوارج، والواقع أن هناك يد يهودية تحرك وتسخر لذلك لا شك في هذا.

واقعة الجمل

إن مقتل سيدنا عثمان كان بيد طائفة من البغاة، ومن ورائهم يد يهودية ماكرة، وكان يجسدها اليهودي الماكر الذي تزي بزي الإسلام وهو " عبد الله ابن سبأ "، وكان لابد من معاقبة المجرمين وإخضاعهم لسلطان القصاص وهذا كان رأي يتقاسمه كل الصحابة، لكن سيدنا علي كان يرى أنه كي ينجح في العثور على هؤلاء القتلة وفي إخضاعهم لسلطان القصاص، من أن تستقر الأمور وتنهي هذه الهزة التي أعقبت انتقال الخلافة من عثمان إلى علي رضي الله عنهما، وهذه رؤية سياسية ثاقبة، في حين أن بعض الصحابة منهم طلحة الزبير السيدة عائشة كانوا يرون أن الأمر بالعكس لابد من العثور على قتلة سيدنا عثمان والقضاء عليهم ومن ثم تستقر الأمور. الذي ثم بعد ذلك في الاختلاف في الاجتهاد، أن كل الذين رأوا البدء في البحث عن القتلة اتجهوا إلى البصرة وفيهم

السيدة عائشة وطلحة والزبير للبحث عن قتلة سيدنا عثمان بالاستعانة بمسلمي البصرة. بلغ الأمر سيدنا علي فأرسل جيشا هو الأخر إلى البصرة وأرسل معهم سيدنا " القعقاع ابن عمر " إلى طلحة والزبير والسيدة عائشة يسألهم ما الغرض من المجيء إلى البصرة، بدأ القعقاع بسيدة عائشة فقال:" يا أماه ما أقدمك على هذا البلد ؟ قالت:

" الإصلاح بين الناس، بالبحث مع الناس بقتلة سيدنا عثمان وتقديمهم للقضاء وعندئذ تهدأ الفتنة ".ثم توجه القعقاع إلى كل من طلحة والزبير على انفراد فسألهما أيضا فكان الجواب نفسه. وتكلموا في هذا الأمر، وأبدى سيدنا علي مرة أخرى رأيه وقال:" إنه ليس أقل منهم اهتماما بضرورة القضاء على هؤلاء القتلة، ولكن اتركوا لي الأمر ريتما تستقر الأمور " فاقتنعوا وتركوا الأمر لسيدنا علي رضي الله عنه. وجمع سيدنا علي الناس وخطب فيهم وبين أن الأمور انتهت إلى وفاق، وأن كل أصحاب رسول الله اتفقوا على أنه من الضروري إخضاع قتلة سيدنا عثمان للقصاص،لكن ريثما تستتب الأمور. لكن هناك من كان يحرك خيوط الفتنة وهو " عبد الله ابن سبأ " ومعه ثلة من مَن كان على شاكلته. فاجتمعوا وتدارسوا هذا الأمر وتبادلوا الرأي فقال منهم قائل " إذا ماداموا اتفقوا فا لنلحق علي بعثمان " ولكن " عبد الله ابن سبأ " سخف هذا الرأي قال لا:" الحل هو أن تختلطوا بالناس، وإذا أسدل الليل ظلامه، ولم تعد تتعارف الوجوه يدخل قسم منكم في صف السيدة عائشة وطلحة والزبير، وقسم يختلط مع الجيش الذي مع سيدنا علي، وقبيل الفجر ابدءوا بقتالهم، ولسوف تختلط الأمور وهذا هو الحل " وهذا ما طبق.

حيث بات القوم كلهم بأحسن ليلة ، ولكن في وقت الغلس تسرب جماعة من " عبد الله ابن سبأ " إلى صفوف الناس الذين كانوا مع السيدة عائشة وهم نيام فجردوا سيوفهم ونزلوا فيهم قتالا، وظنوا أن جماعة سيدنا علي غدروا بهم. فئة أخرى دخلت في صفوف جماعة سيدنا علي وفعلوا الفعل ذاته، استيقظوا على أصوات السيوف، ولم يشكوا أن جماعة السيدة عائشة قد غدروا. الظلام دامس وهم يدافعون عن أنفسهم لا يعلم أحدهم من يقاتل. هذه هي

وقعة الجمل ، لم يقع حربا نهائيا بين جماعة السيدة عائشة وجماعة سيدنا علي، ولم يسل السيف بينهم نهائيا. لما إنجاب الظلام وتبين الأمر تنبهوا لكن بعد أن قتل عدد كبير من هؤلاء وهؤلاء. وأقبل سيدنا علي يريد أن يطمئن إلى مصير السيدة عائشة. فقال لها:" كيف أنت يا أماه ؟ قالت:

بخير. فقال: يغفر الله لك.ثم جاء وجوه الناس والصحابة يسلمون عليها، واعتذر القوم بعضهم لبعض. واختفى هؤلاء الذين فعلوا هذه الفعلة.

واقعة الصفين

رجع سيدنا علي رضي الله عنه إلى الكوفة، ورجعت السيدة عائشة رضي الله عنها إلى المدينة المنورة، وسيدنا علي مقر خلافته الكوفة، وأرسل فور وصوله إلى معاوية رضي الله عنه ينبئه فيها من أن البيعة الشرعية قد صحت لسيدنا علي ويعلمه باجتماع المهاجرين والأنصار على ذلك، ويدعوه إلى هذه البيعة. ولكن معاوية كان يرى أن بيعة علي لم تنعقد. ويرى أن انعقادها يتم في اجتماع أهل الحل والعقد،وهم منتشرون في البلاد الإسلامية التي اتسعت أفاقها. فامتنع للاستجابة لدعوة سيدنا علي رضي الله عنه. واستعجله من جانب أخر لقتلة عثمان رضي الله عنه. أما سيدنا علي وجميع الصحابة بالمدينة المنورة كانوا يرون أن البيعة قد تمت، أما عن مسألة قتلة عثمان فلابد من البحث عنهم أولا، وهذا يتم بعد الاستقرار، وهذا ما اتفقت عليه جماعة المسلمين من الأنصار والمهاجرين. لما بلغ سيدنا علي رفض معاوية البيعة أعده باغيا، والبغاة هم الذي ثاروا على الحاكم الذي استتب له الأمر والحكم ولهم اجتهادهم الذي به خالفوا كلمة جماعة المسلمين. خرج سيدنا علي لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر رجب سنة ست وثلاثين للهجرة، فا عسكر بنخيلة، وقدم عليه سيدنا ابن العباس من البصرة، وعبأ سيدنا علي جيوشه متوجها لمحاربة أهل الشام وإجبارهم على الخضوع لجماعة المسلمين. لما علم معاوية بذلك سار هو الأخر بجيشه من الشام، فاجتمع الطرفان في سهل صفين على نهر الفرات، وبقي الطرفان مدة من الزمن يتراسلان ويتفاوضان، وأخذ سيدنا علي ينصح ويذكر معاوية بما يدعو إليه كتاب الله فيما يتعلق بالبغي، ولكن لا فائدة. إلى أن دخل شهر محرم وعندئذ اتفق الطرفان على هدنة لمدة شهر. لعلى الله سبحانه وتعالى يحدث أمرا ويجمع الطرفان على وفاق. بعد الهدنة عاد معاوية ومعه عمر ابن العاص وعبأ الجيش ميمنة وميسرة وكان عدد الجيش عشرون ألفا، والذين مع سيدنا علي حوالي ثلاثين ألف اقتتلوا في سهل صفين مدة أسبوع، في اليوم السابع بدأت مقدمات الهزيمة تظهر في جيش معاوية، وفي اليوم الذي يليه، عندئذ اقترح عمرو ابن العاص على معاوية أن يوقف القتال وأن يدعوا الجميع سيدنا علي إلى الاحتكام إلى كتاب الله سبحانه وتعالى. وما حدث أن جماعة سيدنا معاوية رفعوا المصاحف على الرماح ونادوا بضرورة الرجوع إلى كتاب الله وغمد الأسلحة. سيدنا علي وجد أن هذه خدعة لم يشأ

أن يوافق عليها، لكن جل من كانوا معه ألجئوه واضطروه إلى أن يوافق، لعل هنالك خيرا يتحقق من وراء ذلك. فهدأ القتال واتفق الجميع إلى الرجوع إلى ما يقضي به كتاب الله سبحانه وتعالى.اختار أهل الشام ممثلا لهم " عمرو ابن العاص " واختار أهل البصرة ممثلا لهم " أبا موسى الأشعري ". لكن قبل أن يجتمعا ظهر الشقاق في جيش سيدنا علي، أبطاله هم الذين سموا فيما بعد بالخوارج، رغم أنهم هم الذين جبروا سيدنا علي على التحكيم، ثم نكصوا وانشقوا. فاضطر سيدنا علي قبل التفاوض مع معاوية الرجوع إلى هؤلاء المنشقين فيقنعهم فخرج إليهم وكانوا بضعة ألاف فكان هذا الحوار:

قال سيدنا علي:" لماذا خرجتم ؟

قالوا:" حكومتك يوم صفين، أي أنك خضعت لتحكيم.

قال:" ولكني اشترطت على الحكمين أن يحييا ما أحيا القرءان وأن يميتا ما أمته القرءان "

فقالوا: فخبرنا أتراه عدلا تحكيم الرجال في الدماء ؟.

فقال:" إن لم نحكم الرجال، إنما حكمنا القرءان، وهو كتاب مسطور بين دفتين لا ينطق إنما يتكلم به الرجال.

قالوا: فلما جعلتم الأجل بينكم ؟

قال: ليعلم الجاهل ويتثبت العالم، ولعل الله يصلح بهذه الهدنة هذه الأمة.

عندئذ رجعوا إلى رأيه فقال: أدخلوا مصركم يرحمكم الله، فدخلوا عن أخرهم.

انتهت الهدنة ودخل شهر رمضان من السنة السابعة والثلاثين عندئذ أرسل سيدنا علي " أبا موسى الأشعري " ممثلا لأهل البصرة، وأرسل معاوية عمرو ابن العاص " ممثلا لأهل الشام فاجتمع الفريقان في مكان يسمى " دومة الجندل " وبعد أن حمدا الله وأثنيا عليه وتناصحا اتفقا على أن يدعى بصحيفة وكاتب وأن يمليا على الكاتب ما قد يتفقان عليه. لكنهما لم يتفقا أخيرا على من يولي أمر هذه الأمة، فاجتمعا على أن يخلع كل منهما صاحبه،والكل يجتمع مع المسلمين على اختيار من يرون.ثم اتجها الطرفان إلى جموع المسلمين. فقدم "عمرو ابن العاص " أبا موسى الأشعري أن يكون هو المتكلم أولا، فتقدم وحمد الله وصلى على رسول الله ﷺ ثم قال:

" أيها الناس إن نظرنا في أمر هذه الأمة فلم نرى أمرا أصلح لها ولا ألم لشعثها من أمر اتفقت أنا وعمر عليه وهو أن نخلع علي ومعاوية " ثم تنحى وجاء " عمرو ابن العاص " فقام مقامه وحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

" إن هذا قد قال ما سمعتم، وإنه قد خلع صاحبه وإني قد خلعته أي علي كما قد خلعه، و أثبتت صاحبي معاوية فإنه ولي عثمان ابن عفان " والطالب بدمه وهو أحق الناس بمقامه " وتفرق الناس. وأما "عمرو ابن العاص" فرجع مرفوع الرأس إلى معاوية، وأما أبا موسى ففر مستحي من علي لأن المكيدة سرت عليه . وهنا استشرى موقف الخوارج، وبعد أن كان موقفهم موقف خصومة تحول إلى موقف عداء وتكفير أيضا بالنسبة لكثير منهم. وحاورهم سيدنا علي وحاول، إلى أن محاورته لهم لم تجدي قط. ومعظم هؤلاء الخوارج كانوا من الأعراب الذين وصفهم البارئ في محكم كتابه بالغلاظ وقسوة القلب و جلافة الفكر. توجه عندئذ سيدنا علي بجيشه قاصدا الشام حيث تأكد أن هذه خدعة ليس تحكيما لكتاب الله عز وجل، أثناء توجهه سمع أن الخوارج قد ثارت ثائرتهم وعاثوا في الأرض فسادا وقتلوا وسفكوا دماء نساء وأطفال وما إلى ذلك، فرجع سيدنا علي ورأى أنه من الضروري أن يخمد هذه الفتنة أولا، ولكن لم يستطع أن يخمد هذه الفتنة حيث استشرى أمرهم، وكتب التاريخ تتحدث عن محاورات ومناقشات طويلة جرت بين سيدنا على وهؤلاء الأجلاف. وهم أناس لا يحكمون بسنة رسول الله ويتعاملون مع نصوص القرءان فقط، وسيدنا علي يحكمهم بنصوص القرءان، ولكن لم يجدي ذلك نفعا معهم. وهكذا قامت الحرب بين سيدنا علي والخوارج. و نادى سيدنا علي فيهم:" أن كل من انحاز عن خندق القتال إلى داره ومدينته فهو آمن، وكل من أعلن استسلامه فهو آمن. ومن بدأ القتال نقاتله من أجل الدفاع. الواقع أن عددا كبيرا منهم انفضوا ورجعوا إلى بلادهم، وقسم منهم استسلم، وبقيت الآلاف، وعندما بدءوا القتال قاتلهم سيدنا علي فقتلوا جميعا تقريبا.وانتهت مشكلة الخوارج، ومع ذلك لم يصفوا الجو لسيدنا علي لذهاب إلى الشام ليرى موقفه مع معاوية.اشتد الأمر على سيدنا علي حتى كره حياته وكان يقول ويكررها:" فالذي خلق الحب وبرأ النسمة لَتُخْضَبَنَّ هذه من هذه (أي لحيته من رأسه) فما يحبس أشقاها؟ "

"عبد الرحمان ابن ملجم " كان واحدا من هؤلاء المتطرفين الخوارج، وكان قد خطب فتاة فائقة الجمال اسمها قطام فاشترطت عليه لكي توافق أن يقتل سيدنا علي رضي الله عنه وقال:" والله ما جاء بي إلى هذا البلد إلى قصد قتله " فتزوج بها، ولكنه خطط لقتل سيدنا علي.

في ليلة الجمعة من سبعة عشرة ليلة مضت من شهر رمضان عام أربعين لهجرة، كان يترصد هذا الرجل لسيدنا علي رضي الله عنه، مقابل السدة التي كان يخرج منها سيدنا علي عادة. خرج سيدنا علي كعادته وفي طريقه يوقظ الناس لصلاة الفجر، ويسير بهم إلى المسجد، فاجأه ابن ملجم وضربه بالسيف على رأسه فسال دمه على لحيته رضي الله عنه. فقال سيدنا علي:" إن متت فاقتلوه، وإن عشت أنا أعلم ماذا أصنع به ".فلما احتضر جعل يكرر رضي الله عنه لا إله إلا الله لا إله إلا الله حتى توفي رضي الله عنه.

الذي رجحه ابن كثير أنه دفن بدار الإمامة بالكوفة، وأكثر المؤرخين قالوا أن أقاربه عموا قبره خيفة عليه من الخوارج. أما ابن الملجم فقد قتله الحسن رضي الله عنه، ثم أحرقت جثته.

﴿تحليل المشهد﴾

– لاحظنا أن هنالك اتفاقا بين أصحاب رسول الله رضوان الله عليهم على ضرورة العثور على قتلة سيدنا عثمان وإخضاعهم للقصاص ، والخلاف كان في الطريقة التي ينبغي أن تتبع في التنفيذ، سيدنا علي كان قد بويع خليفة كان يلاحظ المشكلة التي تقف عثرة بينه وبين هذا الأمر، وهي الاضطراب ولا يتأتى القيام بهذا الأمر إلا بعد الاستقرار، حيث كان معاوية يتربص في بلاد الشام، وفئة من الثائرين الذين تأثروا جدا بمقتل عثمان وجدوا أن الوقت أقرب من ذلك. وفي الأخير اتفقت الفئتين على رأي سيدنا علي، واتفقوا على عودة كل جماعة إلى مكانها وهي الكوفة حيث إمارة سيدنا علي وجماعة السيدة عائشة إلى المدينة.

– عن وقعة الجمل وحديث الناس عنها حجمها الحقيقي صغير جدا كما رأينا، وهي عبارة عن دخان لفتنة قدرة عصف بها " عبد الله ابن سبأ" وهو الذي خطط لها. وأكثر من يكتب تاريخنا اليوم هم عملاء لأعداء المسلمين، وعلينا أن لا نلتفت إلى الكتب الحديثة التي معظمها عبارة عن مزرعة ألغام وعمالة كتاب التاريخ للغرب إلا ما نذر. ومن أنظف كتب التاريخ كتاب " البداية والنهاية"" للحافظ ابن كثير " رحمه الله تعالى.

– بالنسبة لمعاوية وسيدنا علي هي مسألة هامة جدا جدًا ، ونقول عن اجتهادهما ما يلي:

– إن سيدنا معاوية ما كان عليه إلاَّ أن يجتهد ويتمسك بما يهتدي إليه اجتهاده، وله أعمال جليلة حيث فتح الله تعالى بيده قسم كبير من البلاد منها إفريقيا كلها تقريبا واستتب له الأمر، وله من الصفات التي تؤهله لهذه الخلافة في الواقع. ولقد رأى أن هنالك مكاسب كبيرة جدا

حققها الله تعالى على يده، وسواء كان مخطئ أو على صواب في تصوره أنه لو رفع يده عن هذه المكاسب ربما تتبدد كلها، وهكذا كان اقتناعه.

وسيدنا علي هو الأخر اجتهد ونفد ما يراه الفقهاء أنه إذا استتب الأمر لإنسان بويع له بالخلافة وشرط المبايعة تحقق إذا هو الخليفة، فإذا ثارت ثائرة زيد من الناس هنا أو هناك وخرج على البيعة، هذا نسميه باغية، ننصحه وإذا لم ينتصح يقاتل. وجمهور الفقهاء قالوا أن البيعة كانت لسيدنا علي رضي الله عنه، ومعاوية وجيشه هو جيش البغي، وقتاله كان اعتمادا على اجتهاد.

- بالنسبة لموقف عمرو ابن العاص " قد يقول أحدنا أنه موقف خدعة حيث اتفق على شيء مع " أبا موسى الأشعري " ثم فوجئ على شيء أخر. ولا نستطيع أن نقول خدعة وأن "عمرو ابن العاص" خالف في هذا أمر الله سبحانه وتعالى قاصدا متعمدا، وتلك دماء طهر الله سيوفنا منها، فلا ندنس ألسنتنا بها. وعلينا أن لا نحكم عقولنا بما فعله الاثنين،حيث لو كن في ذلك العصر أي عصر خلافة سيدنا علي ومعاوية موقفنا آنذاك له قيمته وله أثره حيث كان الأمر قائم والأبطال موجودون، ونقول هذا على حق وهذا على باطل لنقنع ذاك إلى أخره. ولكن كلامنا الآن نحمل به وزرا بدون مقابل. ومن حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه. وهكذا نكون طبقنا وصية رسول الله في قوله:" الله اللهُ في أصحابي لا تتخذوهم غرضا من بعدي" وقوله: " الله اللهَ في أصحابي فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه "

واحترامنا لأصحاب رسول الله ليس لعصمتهم، فهم بشر يصيبون ويخطئون، ومنهم من وجب عليه الحد منهم النعيمان شرب وأقيم عليه الحد وشرب وأقيم عليه الحد فسمع رسول الله أحدهم يلعنه فقال له:" لا تقل هذا مه فإنه يحب الله ورسوله ".

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ونسأله تعالى قبول الأعمال وشفاعة حبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم.